

تصوير ابو عبد الرحمن الكردي

الشباب

المسلم

في مواجهة

التحديات

تأليف / عبد الله ناصح علوان

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

الشيء الذي يستلزم

في مواجهة التحديات

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للسائر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

لصاحبها

عبد القادر محمود البكار

الطبعة الثانية

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة: القاهرة: ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران

عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر

هاتف: ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+) فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

المكتب: فرع الأزهر: ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف: ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢+)

المكتب: فرع مدينة نصر: ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع

مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف: ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢+)

المكتب: فرع الإسكندرية: ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

بريدياً: القاهرة: ص.ب ١٦١ الفورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريسد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت

على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة

أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ،

٢٠٠١م هي عفر الجائزة ترويجاً لعقد

ثالث مضي في صناعة النشر

التَّحَدِّيَاتُ

فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ

عَبْدُ اللَّهِ نَصِيحٌ عَلَوَانِي

دارُ السَّيِّدِ الْأَمْرِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للمنشر

دار السالار للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهرت ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨
ص.ب ١٦١ الفورية فاكس ٢٦٣١٧٥٠

الطبعة الأولى الخاصة بدار السلام

(١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق وقادة الخير بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد :

فحين ذهبت إلى لندن عام / ١٤٠٥ هـ للمعالجة الطيبة من بعض ما كنت أعانيه من أمراض ، فأثناء وجودي هناك زرت المخيم الصيفي بصحبة الأخ الحبيب مدير دار الرعاية الإسلامية الدكتور محمود الخاني حفظه الله الذي أحاطني برعايته الكريمة استقبلاً وضيافةً وتوديعاً . . . فجزاه الله عني وعن المسلمين أفضل الجزاء ، وحفظه للإسلام ذخراً ، ورفعته في الدارين مقاماً علياً .

وما إن وصلنا المخيم بمعيته حتى استقبلنا إخوة - بارك الله فيهم - بالحفاوة والترحاب والتكريم . . . وبعد استراحة قليلة في المكان المخصص للضيوف كلّفْتُ من قبل الأخ المسؤول عن المخيم بإلقاء محاضرة لشباب المخيم الذي يضمّ بين جوانحه أكثر من ثلاثة مائة شاب توافدوا إلى المخيم من كل فجّ عميق . . . ولكن اعتذر عني الأخ الدكتور الخاني لحالتي الصحية من ناحية ، ودخولي المستشفى في اليوم الثاني لإجراء عملية جراحية من ناحية أخرى . . . وقد اقتنع الأخ المشرف بالبدء ، ولكن الشباب حين سمعوا بحضوري ألحوا عليّ أن ألقى عليهم ولو كلمة قصيرة لتلهفهم الزائد إلى التعرّف على شخصي الضعيف ، والاستماع إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . . .

فوافقت ووافق أخي الدكتور الخاني ، وقد رجاني أن لا أنفعل ، وأن لا أجهد نفسي أثناء المحاضرة . . . رحمةً بي ، وإشفاقاً على صحتي . . . وقد وعدته خيراً .

وقبل المحاضرة بنصف ساعة تقريباً سألتُ المسؤول عن المحاضرات في الخيم عن موضوع المحاضرة الذي يتناسب مع شعار الخيم ، ومع مشكلات الشباب . فأفاد أن شعار الخيم هو « الدعوة الإسلامية والتحديات المعاصرة » ، فالأنسب - كما قال - أن تكون المحاضرة متوافقة مع مفهوم الشعار ومقاصده . . وطلب إلي أن أفكر في اختيار الموضوع بضع دقائق ، ليعلن عنه عند بدء المحاضرة ، وفعلاً أخذت الورقة لأدوّن عليها العنوان ، والعناصر الرئيسية التي تتصل بموضوع المحاضرة ، وبعد تفكير قصير ألهمني الله أن يكون الموضوع : « الشباب المسلم في مواجهة التحديات »^(١) ، وقد جاء الموضوع والحمد لله مناسباً مع شعار الخيم ، ورغبة الشباب . . وسرعان ما أثبتته على الورقة ، وسرعان ما سجلت عناصره . . وكان ذلك كله قبل بدء المحاضرة بخمس دقائق تقريباً .

* * *

كنتُ في الحقيقة قبل أن أبدأ بالمحاضرة متوجساً خيفة في أن لا أوفق في المحاضرة لسوء صحتي من جانب ، وهول المفاجأة من جانب آخر !! ولكن الله سبحانه أعان ووفق . . بل أصبحت الأفكار والشواهد ترد إلي وتزاحم مما لم أكن أتوقعه من قبل ، واستشعرتُ في نفسي وأنا أحاضر أنني ممتلئ قوة وصحة وحيوية . . بل كنتُ استشعر كأني منذر جيش ، أهزّ بكلمتي المشاعر ، وأحرّك أوتار القلوب !! .

وقد استغرقت المحاضرة ما ينوف عن ساعة أو يزيد . . وقد عاجلتُ فيها - بقدر الإمكان - أظهر التحديات التي تواجه الشباب الإسلامي في المجتمعات الإسلامية في عصور الانتكاس والضلال ، وهاهي ذي العناصر الرئيسية الخمس التي تناولتها ، وأثيْتُ عليها ، وفصلتُ بقدر ما يسمح به الوقت فيها ، وهي على الترتيب التالي :

- ١ - تحديات الشيطان والنفس والهوى .
- ٢ - تحديات الغزو الفكري .

(١) أقيمتُ هذه المحاضرة في الخيم الصيفي الذي أقيم بالقرب من لندن عصر يوم السبت في ١٩/ ١٤٠٥ هـ الموافق ٦ تموز (يوليو) عام ١٩٨٥ م .

٣ - تحديات الانحلال الخلقي .

٤ - تحديات الحكومات العلمانية .

٥ - تحديات التأسيس من العمل الإسلامي .

وكنْتُ لا أكفي في سرد هذه التحديات ، والشواهد عليها ، وفضح المخططات التي ترتبط بها ، وإنما كنتُ أذكر الحلول والإيجابيات في مواجهتها . . . وقد جاءت المحاضرة بفضل الله وكرمه متوافقة مع شعار الخيم ، ومتجاوبة مع رغبات الشباب .

وبعد إجاباتي على الأسئلة التي وجهت إليّ من قبل الحضور . . طلبتُ من الشباب جميعاً أن يدعوا لي بالشفاء في ظهر الغيب . . مبيّناً لهم أي سادخل المستشفى غداً لإجراء عمليّة جراحية ، وقد أمّدوني جميعاً - جزاهم الله خيراً - بالدعاء الخاشع ، والتوجهات الربانية الصادقة . . فاستجاب الله لهم ، وأعطاهم سؤالهم ، وخرجتُ والحمد لله من المستشفى وقد أكرمني الله بالشفاء بعد أن عانيتُ من المرض زمناً ليس بالقصير . . فلله الحمد والمئة أولاً وآخراً .

وما إن انتهت المحاضرة حتى تحلّق بعض الشباب حولي ، ورغبوا إليّ أن أدون ما ألقيته في رسالة ، لتطبع فيما بعد ، وتنتشر في أوساط الشباب المسلم في كل مكان ، ليعمّ على الجميع نفعها ، ويستفيد منها كل من يمهّ موضوع التحديات . . منها ، وقد شكرتهم على ثقتهم الغالية ، واهتمامهم البالغ . . ووعدتهم أن أنفذ ذلك قريباً .

وفعلًا حين رجعت إلى مقرّ عملي وإقامتي « بجدة » شرعتُ بعونه تعالى بتدوين ما ألقيته في المحاضرة من أفكار وشواهد وحلول . . ولكن انفتح لي أثناء الكتابة أفكار جديدة ، وشواهد جديدة ، وحلول إيجابية جديدة . . بل تراجمت عليّ البحوث والمواضيع التي تتصل بعنوان الكتاب ، وكنْتُ أتوقّع في كل ما أكتبه عن مواجهة الشباب المسلم للتحديات المعاصرة أن لا يتجاوز المئة صفحة على الأكثر . . ولكن فصل « تحديات الحكومات العلمانية » في بلاد الإسلام أخذ مني الكثير والكثير . . حتى أخذ من الصفحات نصف الكتاب تقريباً .

* * *

وقد يقول قائل : لماذا استرسل المؤلف في فصل « تحديات الحكومات العلمانية » هذا الاسترسال الزائد ، وأظن في المعالجة والحلول هذا الإطباب الكثير ؟

أقول : لأن مجابهة التحديات للحكومات العلمانية اللادينية مرتبط بالصحة الإسلامية التي عمّت المجتمعات الإسلامية من غربها إلى شرقها . . فمن الطبيعي أن نسلط الأضواء على منشأ العلمانية ، وماذا يقصد العلماء من رفع شعاراتها ؟ وكيف دخلت بلاد الإسلام ؟ وما هي أهم وسائل العلمانيين في غلمنة البلاد الإسلامية ؟ وما هي آثارها على أمة الإسلام ؟ ولماذا يتبناها الحكام في مجتمعات المسلمين ؟ وما هي أهم المواقف الإيجابية في مواجهة الشباب لها ؟ . .

كل ذلك رأيت من الضروري أن آتي على ذكره ، وأفصل فيه . . حتى يعلم شبابنا أخطار العلمانية ، وما يريده دعائها من تغييرات عقيدية وأخلاقية واجتماعية وسياسية في بلاد الإسلام . . عسى أن يقوموا بدورهم في مناهضتها ، والحد منها ، وكسر شوكتها وعفوانها . . وإنهم لفاعلون وعازمون إن شاء الله .

* * *

ولكن كيف يناهضونها ويكسرون شوكتها ؟

هل يواجهونها بالارتجال والعفوية ؟

هل يكسرون شوكتها ببضع عشرات من الشباب الفدائي المجاهد ؟

كل هذه التساؤلات قد أجنا عليها ، ووضحنا لكل ذي عقل وبصيرة الحلول الإيجابية في مناهضة الحكم العلماني بشكل يتفق مع الواقعية والمنطق ، ويتلاءم مع سنن النصر وأسبابه في نظر الإسلام . .

ولا شك أن الشباب الإسلامي - الذين ظهر أمرهم على ساحة الصحوة الإسلامية ، وتضاعف عددهم في بلاد الإسلام في كل مكان - إذا عرفوا منهج العمل الذي عليه يسرون ، والخطوات الرتبية المركزة التي على مراحلها يعملون ويتقدمون . . فإن النصر سيكون حليفهم بإذن الله ، وإقامة حكم الله في

الأرض سوف يصلون إليه إن شاء الله . .

وفي قراءة الشباب للحلول الإيجابية في مواجهة الحكومات العلمانية في الفصل الذي نحن بصدده ، سوف يجدون المنهج واضحًا ، والخطوات مفصلة ومركزة . . حيث لا تترك مجالًا للمتبس ، ولا توقفًا لمتردّد ! ! . .

ولبيان ذلك كلّه أخذ فصل « تحديات الحكومات العلمانية » من سائر الفصول في الكتاب حصّة الأسد ، لأهمية البحث ، وارتباطه الوثيق بواقع المسلمين ، والصحوة الإسلامية التي طلع شمسها على الكون كله . .

* * *

الله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الله الكريم ، وأن يجد الشباب المسلم في هذا الكتاب أمنيّتهم الغالية ، وأملهم المنشود . . في مواجهتهم للتحديات المعاصرة كلّها . . والله سبحانه معهم ما داموا يعملون لله ، وفي سبيل الله . . وما داموا يأخذون بسنن النصر التي رسمها الإسلام . . وما داموا يسرون على طريق البناء والتغيير بحكمة وعقل وواقعية وإعداد . . والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً .

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

المؤلف

الدكتور عبد الله ناصح علوان

توطئة وتمهيد

من حين أن انحسرت الخلافة الإسلامية عن بلاد الإسلام ، وغاب الحكم الإسلامي عن واقع المسلمين تحركت قوى خارجية وداخلية ، وعالمية ومحلية تعمل ليلاً ونهاراً من أجل هدف واحد أقيم ، وغاية دينية لثيمة ألا وهي هدم العقيدة الإسلامية من قلوب الجيل المسلم ، وإخماد جذوة الجهاد في سبيل الله في نفوسهم وشعورهم حتى إذا تحوّل الجيل بشبابه وشاباته ، ورجاله ونسائه من الإيمان إلى الشك ، ومن العمل إلى التواكل ، ومن الأخلاقية إلى الانحراف أصبحت بلاد الإسلام غرضاً لكل طامع ، ولقمة سائغة لكل مريد .

وهذه القوى المتحرّكة المتضاربة متجسّدة في أعداء خمس :

- ١ - التبشير والاستعمار .
- ٢ - الشيوعية الدولية .
- ٣ - الصهيونية العالمية .
- ٤ - الصليبية الحاقدة .
- ٥ - العمالة للأجنبي .

ولكل قوة من هذه القوى المعادية تنظيمها وأسلوبها ووسائلها في إفساد الجيل المسلم ، والتآمر على شبابه وشاباته ، ثم السيطرة على بلاد الإسلام .

ولقد نجحت هذه القوى في الوصول إلى أهدافها في أكثر البلاد الإسلامية ، وصار لها عملاء من الداخل يأترون بأمرها ، وينفذون مخططاتها ؛ والجيل المسلم - وبالأسف - تتقاذفه الأهواء ، وتجرفه التيارات ، ويخضع خضوعاً لا إرادياً لنظام الحكومات ، وتعمل به معاول الهدم والتشكيك واللا أخلاقية ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فإذا كان الأمر كذلك فعلى الشباب المسلم اليوم أن يعرف أبعاد هذا التآمر ، ومعالم هذا التحدي حتى إذا مرّ بمراحل الفهم والتوعية والإعداد

والتكوين . . انبرى أمام هذا التآمر كالأسد المصور يدافع ويكافح ، ويعمل ويجاهد . . إلى أن يحقق الله لهذا الدين انتصاره ، ولهذه الأمة عزتها ، ولهذه البلاد الإسلامية قوتها ووحدتها ، ولهذه الإنسانية إصلاحها وهدايتها . . وما ذلك على الله بعزيز .

ولكن ما هي هذه التحديات التي تواجه شباب الإسلام اليوم ؟ وما هي الإيجابيات والحلول التي يجب أن ينتهجها للانتصار عليها ؟ وما هو دورهم في إقامة مجتمع إسلامي أفضل ؟ كل هذه التساؤلات سوف نجيب عليها في كتاب : « الشباب المسلم أمام التحديات » عسى أن يتبصر شبابنا المسلم معالم تحدي الأعداء لمشاعره الإنسانية ، وعقيدته الربانية ، وأمته الإسلامية . . وعسى أن يواجه هذه التحديات بإيجابيات سليمة ، وحلول مدروسة ، وعمل متواصل مستمر . . وعسى أن يكون لهم دورهم الفعال في استعادة أمجاد أمتهم الغابرة ، وإقامة دولتهم الفاضلة . . والله يتولّى الصابرين المخلصين العاملين .

* * *

وقبل أن أتكلم عن التحديات التي تواجه شبابنا اليوم ، وعن الإيجابيات التي ينبغي أن يسيروا فيها وينتهجوها ، يحسن أن أتكلم - ولو باختصار - عن بناء الرسول ﷺ للشباب ، وعن تكوينهم وإعدادهم في مواجهتهم للتحديات ، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً ؟ أسوق لكم هذا - يا شباب - لتعلموا جيداً اهتمام النبي صلوات الله وسلامه عليه بالشباب ، وحرصه الزائد على تكوينهم وإعدادهم . . حتى يقابلوا كل تحدٍّ يواجههم بورقة عمل ، وعزمة إيمان ، وروح صبر وثبات . . وحتى يقوموا بدورهم الفعال في تبليغ رسالة الإسلام للعالمين ، وإقامة حكم الله في الأرض .

***أما عن بناء الرسول ﷺ للشباب وإعدادهم للحياة**

فإليكم - يا شباب - جملة من وصاياه في الإعداد لتعلموا معالم هذا البناء : ففي إعداد الشباب على التزام الطاعة لله ، والعبادة له ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع . . يقول ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . وعدد منها : شاب نشأ في عبادة الله » .

وفي دعوة الشباب لاغتنام الفرص لتكوين شخصيتهم روحياً وجسدياً ونفسياً وعقلياً وخلقياً . . يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

وفي عصمة نفوس الشباب من الميوعة والانحلال ، وإحصانها بالزواج الذي شرعه الله لأمة الإسلام يقول صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الذي رواه الجماعة :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (أي القدرة على الزواج) فليتزوّج ، فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج . . » .

وفي محاسبة الشباب ومسئوليتهم أمام ربّ العالمين يوم العرض عليه يقول ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ما عمل فيه » .

وفي استقامة الشباب على منهج الإسلام ، واستمرارهم على تقوى الله يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وأبو يعلى : « إن الله ليعجب من الشاب الذي ليست له صبوة » .

وفي وصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذه الأمة بالشباب ، وإظهار مزاياهم على الشيوخ . . يقول عليه الصلاة والسلام : « أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرقّ أفئدة ، لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة ، فحالفني الشباب ، وخالفني الشيوخ » .

تلکم أهمّ ركائز الإعداد في تكوين شخصيّة الشباب ، وفي بناء نفسيتهم الاجتماعية . . ولا شك أن الغاية من وراء هذا البناء والإعداد ، حتى يتكوّن الشاب التكوين الكامل من الناحية الروحية ، والخلقية ، والعقلية ، والجسمية ، والنفسية . . وجميع جوانب اكتمال الشخصية .

فهذا التكوين الكامل يكون الشاب به أقدر على مواجهة التحديات ، وأقوى على أداء المسؤولية ، وأثبت على التزام مبادئ الإسلام . . فلا يستكين ، ولا

يضعف ، ولا يتفهقر ، ولا يميل مع رياح الفتنة ، ولا يستسلم لإغراء الفساد ، ولا يعتريه اليأس والقنوط ، ولا تنزلق قدمه في مزالق الانحلال والميوعة .

وهكذا يبقى الشباب المسلم ثابتًا راسخًا مؤمنًا مجاهدًا مثابرًا على حمل الرسالة ، وأداء الأمانة ، والعمل للإسلام . . إلى أن يتوفاه الله عزيزًا ، أو يأخذه إلى جواره شهيدًا !! .

* * *

* أما هل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا ؟

فأجل ! إنهم شباب ، شباب - والله - مكتهلون في شبابهم ، غضبيضة عن الشرّ أعينهم ، بطبيعة عن الباطل أرجلهم ، رهبان في الليل ، فرسان في النهار ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ابتعثهم الله ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . . أتعرفون - يا شباب - أن الإسلام لم ترتفع في أجواء الإنسانية رايته ، ولم يمتدّ على الأرض سلطانه ، ولم تنتشر في العالمين دعوته . . إلا على يد هذه العصبة المؤمنة من الشباب التي تربّت في مدرسة النبي ﷺ ، وتخرّجت من جامعته الشاملة ؟ !! .

هذا رسول الله ﷺ حين أوحى إليه بالنبوة كان في سنّ الأربعين وهو سنّ اكتمال الشباب ، وأبو بكر رضي الله عنه كان أصغر من النبي ﷺ بثلاث سنوات ، وعمر رضي الله عنه كان عمره يوم أسلم سبعمائة وعشرين سنة ، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله ﷺ ، وعليّ كرم الله وجهه كان أصغر من الجميع . . وهكذا كان عبد الله بن مسعود ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وبلال بن رباح ، ومصعب بن عمير . . وعشرات غيرهم ، بل مئات . . كانوا كلّهم شبابًا .

هؤلاء الشباب من الرعيل الأول ، ومن تبعهم بإحسان هم الذين حملوا راية الدعوة إلى الله ، ورفعوا لواء الجهاد المقدّس . . فحقّق الله على أيديهم النصر الأكبر ، ودولة الإسلام الفتية . . وكلّكم تعلمون - يا شباب - بأن إخضاع مملكتي فارس والروم ، وأن دخول الشام ، ومصر ، والعراق ، وطرابلس ، وشمال إفريقيا في عدل الإسلام ، كان ذلك على يد الشباب ، تحقّق هذا كلّ في خمس

وثلاثين سنة في عهد الخلفاء الراشدين .

وفي العهود المتعاقبة استبحر ملك المسلمين ، وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الأندلس بأوربة غرباً ... وما زال سلطان الإسلام يمتد شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً . . حتى شمل أكثر بقاع المعمورة ، وقد استطاع الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله أن يصور للعالم بسطة العالم الإسلامي ، فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره فيقول لها : « أمطري حيث شئت فإنّ خراجك سيحمل إلينا » .

فهذا كله لم يتحقق إلا على عزائم الشباب ، وتضحية الشباب ، وجهاد الشباب ، وتوثب الشباب ، واستشهاد الشباب . .

اللهم هيء لهذه الأمة اليوم شباباً يكونون كسلفهم عزيزة وتضحيةً وجهاداً . . عسى أن يعيدوا للدولة الإسلامية سيادتها ، ولأمة محمد عليه الصلاة والسلام أمجادها وعزتها . . وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

بعد هذه التقدمة والتمهيد أشرع بعونه تعالى في سرد هذه التحديات التي تواجه شبابنا اليوم واحدة بعد واحدة ، ثم أعرج على ذكر الحلول والإيجابيات لمعالجتها والتغلب عليها ، ثم ألخص في مسك الختام هذه الحلول . . لترسخ في أذهان الشباب معالمها وخطوطها العريضة . . مستصرخاً همهم وعزائمهم في إقامة مجتمع إسلامي أفضل . .

كل هذه سوف تجدونه - إخوتي الشباب - واضحاً مفصلاً في كتابكم الذي آلف من أجلكم : « الشباب المسلم في مواجهة التحديات » .

وسوف ترون في منهج البحث ، وفي هذه التقدمة سرد هذه التحديات إجمالاً بعنوانها العريضة ، وهي مرتبة في الفصول التالية :

الأول : تحديات الشيطان والنفس والهوى .

الثاني : تحديات الغزو الفكري .

الثالث : تحديات الانحلال الخلقي .

الرابع : تحدّيات الحكومات العلمانية .
الخامس : تحدّيات التّيسيس من العمل الإسلامي .

وإن شاء الله فسوف نتحدث بالتفصيل عن كل فصل من هذه الفصول الخمس مستمدين الحلول والإيجابيات من تعاليم الإسلام ، وهدي القرآن . . وعلى الله قصد السبيل ، ومنه وحده نستمد العون والتوفيق .

الفصل الأول

تَحَدِيَاتُ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوَى

عوامل الإغواء والإضلال في الإنسان كثيرة ، منها : ما هو داخلي كالنفس الأتّارة بالسوء ، والهوى الأتّيم المتّبع . . ومنها : ما هو خارجي كوسوسة شياطين الإنس والجن ، وفتنة المال والنساء والجاه . .

وأريد في هذا البحث أن أركّز على أظهر العوامل في الإغواء والإضلال ، ويمكن حصرها في عوامل ثلاث :

- أ - وسوسة الشياطين المغوية .
- ب - إيجاءات النفس الأتّارة .
- ج - نزغات الهوى المتّبع .

ولقد ركّزت على هذه العوامل الثلاث لكونها هي أساس الشرّ والفتنة ، ومنبع الضلال والفساد . . في عصور الانتكاس والضلال والمجون . .

ومن المؤكّد يقينًا أن الشباب في هذا العصر إذا خالف النفس والشيطان والهوى . . بعزّة إيمان ، وأتباع حق ، وقوة إرادة ، والتزام إسلام . . فإنه - ولا شك - يصبح من المؤمنين الأبرار ، والمتقين الأخيار . . بل يواجه كل مفسدة خارجية بالتبذ والإعراض ، ويقف أمام كل فتنة نفسية موقف الحسم والمخالفة . . دون أن يتأثر بمؤثرات الإغراء والإفساد والهوى . .

ورحم الله من قال :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

* * *

بعد هذه التقدمة أتحدث عن كل عامل من هذه العوامل الثلاث بشيء من التفصيل وعلى الله قصد السبيل

أ - وسوسة الشيطان المغوية :

ما قرأت آية من كتاب الله فيها عنفوان التحدي والتهديد في إغواء الإنسان وإضلاله مثل هاتين الآيتين اللتين تحكيان تهديد الشيطان وتحديه للإنسان :

الأولى : - ﴿ . . قال أنظرنني إلى يوم يعثون * قال إنك من المنظرين * قال فما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثم لا آيتهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ (الأعراف : ١٤ - ١٧) .

: - ﴿ قال ربّ فأنظرنني إلى يوم يعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال ربّ بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولأغويتهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (الحجر : ٣٦ - ٤٠) .

هل تقبلون - يا شباب - أن يتحدّاكم الشيطان هذا التحدي القاهر السافر ؟
هل ترغبون أن تنساقوا ورائه تزيينًا وإغواءً ؟

هل ترضون لأنفسكم أن تكونوا لإبليس جنودًا تنضّون مستسلمين تحت رايته وسلطانه ؟

فإذا كان الجواب لا ، فلمَ هذا التنفيذ لوسوسته ، ولم هذا الانقياد لإغوائه ؟
وقد يتساءل الشباب ما السبيل إلى التخلص من وسوسته وإغوائه ؟

سؤال وجيه ، وسوف ترى - أخي الشاب - الجواب على هذا التساؤل من خلال القرآن الكريم الذي أنزله الله ليكون للمؤمنين شفاءً ورحمة :

أولاً : القرآن الكريم أخبرنا بلسان عربي مبين أن الشيطان للإنسان عدوٌ فعليّه أن يتخذه عدوًا ، قال تعالى : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (فاطر : ٦) .

فعليك - أخي الشاب - بعد هذا التوجيه القرآني أن تتخذ الشيطان عدوًا تسعى لمحاربهته وقهره ما استطعت إلى ذلك سبيلًا .

ثانيًا : القرآن الكريم أوضح للمؤمنين المنهج ، وخطّ لهم الصراط المستقيم . .

فما عداه من مناهج وسبيل هو من وحي الشيطان ، قال سبحانه : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ (يس : ٦٠ - ٦١) .

﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

فعليك - أخي الشاب - أن تتبّع تعاليم هذا المنهج ، وتسير على صراط الله المستقيم .

ثالثًا : القرآن الكريم حصّ كّل مسلم على أن يكون مؤمنًا حقًا ، ومتوكّلاً على الله صدقًا ، ومستعيذًا بالله حقيقة . . فإذا كان الأمر كذلك فالشيطان ليس له سلطان عليه ، قال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون * إنما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون ﴾ (النحل : ٩٨ - ١٠٠) .

فعليك - أخي الشاب - أن تكون مؤمنًا متوكّلاً مستعيذًا . . ليهرب الشيطان منك ، ويتخلّى عنك .

رابعًا : القرآن الكريم حدّر وأنذر . . كل من أعرض عن ذكر الله ، وتخلّى عن عبادته وطاعته يقيّض له شيطانًا فهو له قرين ، ليقوم بمهمة إضلاله وإغوائه ، قال سبحانه : ﴿ ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين * وإِنَّهُمْ لَيَصِدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٣٦ - ٣٧) .

فعليك - أخي الشاب - أن تجتهد دائمًا لأن تكون ذاكراً لله ، متحققًا بعبادته وطاعته . . ليهرب الشيطان منك ، ويتخلّى عنك ، فقد جاء في بعض الأحاديث والأخبار :

أن الشيطان لا يرى يومًا هو فيه أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أغيظ . . من يوم عرفة .

وأنه واضع نَظْمَهُ (أي فمه) على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خَنَسَ (أي تأخر) ، وإن نسي التقم قلبه .

وأنه يتنحى جانباً ويكي إذا رأى ابن آدم ساجداً . . لكونه استتكف واستكبر حين أمر بالسجود لآدم .

خامساً : القرآن الكريم أمر المسلم بالتقوى ، وحضه على مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، ليستشعر دائماً بالحساسية الإيمانية البالغة التي تجعله دائماً قادراً على أن يميز بين خاطرة الخير وخاطرة السوء ، بل تجعله دائماً متبصراً طريق الحق ، وحقائق الإسلام ؛ قال جل شأنه : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (الأعراف : ٢٠١) .

فعليك - أخي الشاب - أن تلزم دائماً طريق التقوى وتحسس في كل آونة مراقبة الله . . حتى تميز بين الخير والشر ، وتفرق بين وسوسة الشيطان ، وخاطرة الرحمن بنور قلبك ، وجلاء بصيرتك .

سادساً : القرآن الكريم أوضح للإنسان الطريقة التي بها تكون استقامته وهداه . . هذه الطريقة تتلخص بأن الشيطان إذا أنساه اتباع منهج الحق ، وأوحى إليه مصاحبة الأشرار والفجار . . فعليه أن يتذكر أنه مؤمن ، وأن الذي طرأ عليه هو من عمل الشيطان ، كما عليه أن يتوب إلى الله ، ويقلع عن المعصية ، ويقاطع أهل الفسوق والعصيان . . ليعود بعد هذا مؤمناً حقاً ، ومسلماً صدقاً . . قال تعالى : ﴿ وإما ينسئلك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ (الأنعام : ٦٨) .

فعليك - أخي الشاب - أن تكون دائماً متذكراً يقظاً واعياً بعد غمرة النسيان الشيطاني ، وأن تقاطع فوراً أهل الباطل والضلال ، لتعود إليك أصالتك الإيمانية ، وحققتك الإسلامية وتبقى دائماً من زمرة المتقين الأخيار ، ومن ففة المؤمنين الأبرار .

* * *

تلکم - أيها الشباب - أهمّ الإيجابيات والحلول في تحرّكم من كيد الشيطان وإغوائه ، وتحلّكم من تزيينه وإضلاله . . كما استتجناها من أي الذكر الحكيم . ونلخص هذه الإيجابيات في النقاط التالية :

«الشيطان عدوّ للإنسان فعليه أن يتخذ عدوّاً .

*الاستقامة على اتباع المنهج الرباني ، والسير على صراط الله المستقيم .

*تعميق الإيمان بالله ، والاتجاه إليه ، والتوكل عليه .

*الاستعادة بالله بعد الاستشعار بالنزغ من الشيطان الرجيم .

*تعميق تقوى الله ، واستشعار مراقبته في السرّ والعلن .

*استشعار القلب والجوارح بذكر الله ، والاستمرارية على عبادته وطاعته .

*التذكّر اليقظ بعد غمرة النسيان الشيطاني ، ومقاطعة أهل الباطل والضلال .

فهذه الإيجابيات والحلول تكون - أخي الشاب - إنساناً مؤمناً متوازناً يقظاً فطناً ، عميق الإيمان والتقوى ، ملتزماً بمنهج الإسلام ، وتعاليم القرآن . . لا يكون للشيطان أيُّ تعلق بك ، أو إغواءٍ لك ، أو سلطان عليك . . بل تكون دائماً من عباد الله المخلصين ، وحزبه المتقين ، وجنده الغالبين . . وهذا معنى قوله تبارك وتعالى الذي حسم الشيطان بهذا الخطاب الزاجر الرادع : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ (الحجر : ٤٢) .

وهذا ما اعترف به الشيطان نفسه أنه لا سبيل له على عباد الله المخلصين : ﴿ قال ربّ بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ (الحجر : ٣٩ - ٤٠) .

وهذا هو السرّ في مخاطبة رسول الله ﷺ لعمر الفاروق : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سلكت فجاً إلا وسلك الشيطان فجاً آخر » متفق عليه .

فأهيب بكم - يا شباب - أن تكونوا من عباد الله المخلصين ، وأن تنهجوا نهج عمر رضي الله عنه في صلابته بالحق ، وحساسيته بالتقوى ، والتزامه للإسلام ، حتى لا تجعلوا للشيطان عليكم سبيلاً ، وحتى لا تتأثروا في أية مرحلة من مراحل حياتكم بإغواء أو إضلال . . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

ب - إحياءات النفس الأمانة :

الله سبحانه حين خلق النفس الإنسانية ركّب فيها قابليتين : قابلية للخير ، وقابلية للشر ؛ فإن تعهدها الإنسان بالأخلاق ، ورفدها بالعمل الصالح ، وهدبها

بالعلم والتربية . . نشأت النفس على اتباع الهدى والخير ، ودرجت على التوازن والكمال ، وشبّت على العمل من أجل إصلاح نفسه وإصلاح غيره على حدّ سواء .

أما إذا أهملها وتركها للأيام حتى علاها صداً الجهل ، وغشيتها عدوى تخلطاء السوء ، وتراكم عليها أنقاض البيئة الفاسدة ، والعادات الذميمة . . فإنها - ولا شك - تنشأ على الشر والفساد والانحراف . .

فهذه القابليّات من خير أو شر للنفس الإنسانية قد قرّرها القرآن الكريم ، وأكّدها السنة النبوية :

يقول الله سبحانه : ﴿ ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكّاهما * وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس : ٩ - ١٠) .

ويقول الرسول ﷺ - فيما رواه البخاري - : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه » .

ويؤكد الإمام الغزالي في إحيائه هذا المعنى في قابليّة النفس الإنسانية للخير أو الشر ، واستعدادها للاستقامة أو الانحراف حين يقول : [والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ؛ وإن عوّد الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وصيانته أن يؤدّبه ويهدّبه ويعلمه محاسن الأخلاق . .] (١ هـ) .

وما أحسن ما قال بعضهم :

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سُقيت بماء المكرّمات
تقوم إن تعهدها الربّي على ساق الفضيلة مشمّرات
والنفوس في نظر القرآن الكريم ثلاث : نفس أمّارة بالسوء ، ونفس لّوامة ،
ونفس مطمئنة ، وسوف نتكلم - أخي الشاب - عن كل نفس من هذه النفوس
الثلاث بشيء من التعريف والتوضيح .

١ - النفس الأمّارة بالسوء :

يقول الله سبحانه على لسان امرأة العزيز في سورة يوسف : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ (آية : ٥٣) .

والمعنى : إن النفس البشرية غير المحصنة بالإيمان ، وغير المتحقة بالتقوى ، وغير المتزمة بالدين الرباني . . لكثيرة الأمر بعمل السوء لما فيها من دواعي الشهوات النفسية ، ولما رُكِبَ فيها من قابلية الشر لتحصيل اللذات ، ولما يوسوس الشيطان فيها ، ويزينه لها من النزغات . .

ومن ذلك : أن دعت امرأة العزيز فتاها يوسف ليرادها عن نفسها ، ولما امتنع حرّضت العزيز على سجنه ، وأرادت للتزيه العفيف يوسف عليه السلام كل سوء ومضرة واتهام . .

﴿ إلا ما رحم ربي ﴾ ، فاستثنى الله عزّ وجلّ نفساً رحمها ، فصرف عنها السوء والفحشاء ، كما فعل بنفس يوسف عليه السلام .

﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ أي إن ربّي عظيم المغفرة لمن يتوب ، فيغفر ما يعتري النفوس بمقتضى طباعها وقابليّاتها إذ رُكِبَ فيها الميل إلى الشرّ والفساد ، والانطلاق نحو اللذة والشهوة .

٢ - النفس اللوامة :

يقول الله سبحانه في سورة القيامة : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة . . ﴾ (آية : ١ - ٢) .

قال مجاهد : « هي التي تلوم نفسها على ما فات ، وتندم على الشرِّ لم فعلته ؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه ؟ فهي لم تزل لائمة وإن اجتهدت في الطاعات . » وقال الفراء : « ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها ، إن كانت عملت خيراً قالت : هلاً ازددتُ ، وإن كانت عملت سوءاً قالت : ليتني لم أفعل ، وعلى هذا فهو مدح للنفس . . » ا. هـ .

٣ - النفس المطمئنة :

يقول الله سبحانه في سورة الفجر : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة * إرجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ (آية : ٢٧ - ٣٠) .

النفس المطمئنة : هي النفس التي استقرت وثبتت على الإيمان والتقوى والإسلام .

ومعنى الآية : يا أيها النفس التي استقرت على الإيمان ، وثبتت على الحق ، والتزمت طريق الإسلام ، ووقفت عند حدود الشرع . . ارجعي إلى محل الكرامة بجوار ربك ، راضية عما فعلت في الدنيا ، مرضياً عنك ، إذ لم تكوني ساخطة ولا مفتونة . . لا في الغنى ولا في الفقر ، ولا في الصحة ولا في المرض ، ولا في العافية ولا في الابتلاء . . ولم تتجاوزي حدود الشرع فيما لك من حق ، وما عليك من مسؤولية . . فادخلي أيها النفس في زمرة عباد الله المكرمين ، وانتظمي في سلك حزبه الصالحين . . وادخلي جنته سبحانه التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ! ! . .

ولا شك - كما هو معلوم - أن النفس مطمئنة هي أرق النفوس السابقة الذكر رتبة ومنزلة ، وأعلىها كرامة وقداسة . . لما امتازت به من استقرار الإيمان ، وثبات اليقين ، واستمرار الطاعة ، والاستقامة على منهج الإسلام . .

وإذا كنا نبحث في الإيجابيات والحلول لكل مشكلة إنسانية فما هي الإيجابيات والحلول لمن ابتلي بنفس خسيصة أمارة ؟

عليك أن تعلم - أخي الشاب - أن الله سبحانه حين ركّب في النفس الإنسانية قابلية الخير ، وقابلية الشر ، جعل فيها من حرية الاختيار ، وقوة الإرادة ، ومحكمة العقل ، وصفاء الفطرة . . ما تستطيع به أن تُغلب نزعة الخير على نزعة الشر ، وما يهيب بها أن تسير في طريق الرشد ، وتتنكّب طريق الفسوق والعصيان . .

وكذلك لم يترك هذه النفس تتخبط في صراع المبادئ ، وتتعثّر في أحوال الأهواء . . وإنما أوضح لها الطريق ، وبيّن لها المنهج . . لتسير في الحياة على هدى وبصيرة وطريق مستقيم . .

أما أنه أعطاهما حرية الاختيار فلقلوه تعالى : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (الإنسان : ٣) .

وأما أنه أعطاهما محكمة العقل فلقلوه سبحانه : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (النازعات : ٤٠ - ٤١) .

وأما أنه أعطاهما قوة الإرادة فلقوله جلّ جلاله : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ (الأنعام : ٣٢) .
وهناك عشرات الآيات فيها تمجيد للعقل ، ودعوة له للنظر في حقائق الأشياء ومحاسنها .

وأما أنه أعطاهما صفاء الفطرة فلقوله من تنزهه عن النقص : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ (الروم : ٣٠) .

ومن المعلوم يقيناً أن النفس الإنسانية حين يتوجّه اختيارها للخير ، وتقوى إرادتها على الحق ، وتحاكم الأمور على مقتضى العقل ، وتسير بفطرتها نحو الهدى ، وتطبق الشريعة بيسر ، وتتبع المنهج الذي أنزله الله بدقة . . فإنّها - ولا شك - تكون من المتقين الأبرار ، وتسلك دائماً طريق المصطفين الأخيار . . بل تلوم نفسها على ما فات ، وتندم على الشر الذي اقترفته ، وعلى الخير لِم لم تستكثر منه ؟ بل سرعان ما تنتقل إلى مرتبة النفس العليا ، لتصبح نفساً مؤمنة مطمئنة ، لا تتأثر بهوى ، ولا تتزعزع لشهوة ، ولا تضطرب لرغبة ، ولا ينزعها شيطان . .

وأما أنه أوضح لها المنهج فلقوله عز وجل من قائل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين ﴾ (النحل : ٨٩) .

وأما أنه سهّل لها يسر الشريعة فلقوله من تمجّدت صفاته : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

فهذه الحلول والإيجابيات تكتمل النفس الإنسانية ، فسرعان ما تنتقل - كما ذكرت - من الأمانة إلى اللّوامة ، ومن اللّوامة إلى المطمئنة . .

وهكذا تعود إلى أصلاتها في نقاوة الفطرة ، ورسوخ الإيمان ، واتباع المنهج ، والتزام حدود شرع الله ، والعمل للجهاد في سبيله ، وإعلاء كلمته . .
فما عليك - أخي الشاب - إلا أن تسعى ما استطعت إلى ذلك سبيلاً في أن تقف في المرتقى السامي في طمأنينة نفس ، تعطي من نفسك قدوة تنظر إلى الناس من على دون استعلاء ولا استكبار . . تودّ لو ترفعهم إلى هذا المستوى الذي رفعك الله إليه .

ج - نزغات الهوى المتبع :

المقصود بالهوى المتبع: الهوى المذموم شرعاً وعقلاً ، وهو أن يسير الإنسان مع مزاجه المتفلت ، ونزغات نفسه الآثمة دون أن يتقيّد بضابط شرعيّ ولا أمر ديني ، فلا يهوى شيئاً إلا فعله ، ولا يميل إلى أمر يلتقي مع مزاجه إلا سعى إليه وأقبل عليه ، لا يخاف رباً ، ولا يخشى عقاباً ، ولا يفكر في عاقبة . .

ولا شك أن للوسوسة الشيطانية ، وللنفس الأمارة . . دوراً كبيراً في توجيه الهوى المركب في الإنسان نحو الشر والفساد ، وفي دفعه نحو الانحراف والجريمة . .
ولو تتبعنا آيات الله البيّنات ، وأحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وأقوال السلف . . لوجدناها قد ذمّت الهوى أبشع ذم ، وبيّنت أثره اللئيم في ضلال الإنسان وانحرافه . .

فمن هذه الآيات قوله تبارك وتعالى : ﴿ أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ (الجاثية : ٢٣) .

ومن هذه الآيات قوله سبحانه : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ . . ﴾ (المؤمنون : ٧١) .

ومن هذه الآيات قوله جلّ جلاله : ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (القصص : ٥٠) .

إلى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمّه ، قال تعالى : ﴿ واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ﴾ ، وقال : ﴿ واتبع هواه فكان أمره قرطاً ﴾ ، وقال : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [١ . هـ .
وأما الأحاديث الشريفة :

— فقد روى أحمد وابن ماجه والحاكم .. عنه صلّى الله عليه وآله : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » .

وروى ابن ماجة والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوىً متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة » .

وعن أبي أمامة قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « ما عُبدَ تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى »

وأما ما قاله السلف :

فيقول وهب بن منبه : « إذا شككت في خير أمرين فانظر أبعدها من هোক فأتته » .

وقال سهل التستري : « هোক داؤك ، فإن خالفته فدواؤك » .

وقال الإشبيلي الزاهد :

فخالِفَ هواها واعصمها إنَّ من يُطع هوى نفسه ينزع به شرَّ مَنزَع ومن يطع النفس اللّجوجة تُردِّه وتُرم به في مصرعٍ أئى مَصْرَع ولكن ما هي الحلول والإيجابيات للتخلص من الهوى ؟ :

قد يعترى الشاب المسلم الذي يؤمن بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا . . ضعف بشري ، فيميل مع هواه ، وينقاد لنفسه الأمارة ، ويسير في الحياة في طريق الفسوق والانحراف . . ولكن هل ثمة من حلول إيجابية ينتقل الشاب بوسائلها من الضعف إلى القوة ، ويتحرر بأسبابها من نوازع الهوى ، ودوافع الإثم ، وسلطان النفس الأمارة ؟ .

الإسلام - أخي الشاب - وضع لكل مؤمن بالله حين يعتره ضعف ، أو يستحوذ عليه هوى ، أو تتملكه شهوة . . من الحلول والإيجابيات إذا أخذ بوسائلها وأسبابها أصبح إنسانًا طاهرًا متوازنًا بَرًّا تقياً وإذا مشى في الناس كان قدوةً صالحةً أشير إليه بالبنان ! ! . . .

وأهم هذه الحلول والإيجابيات هي :

أ - تعميق الإيمان :

وأقصد بالتعميق أن يعتقد المؤمن من أعماق أحاسيسه ومشاعره أن الله سبحانه

معه يسمعه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . وأن يضع نصب عينيه دائماً قول الحق جلّ جلاله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا . . ﴾ (المجادلة : ٧) .

فهذا الاعتقاد وهذا الشعور . . يتحرّر المؤمن من ريقة الهوى ، ونزعات النفس الأمّارة ، وهمزات الشياطين ، وفتنة المال والنساء . . ويتحلّى بالمراقبة له ، والخشية منه ، ويستشعر أن الله معه في الحلّ والترحال ، والمتقلّب والثوى . . ويندفع بكلّيته إلى العمل الصالح بكلّ أمانة وجدّية وإخلاص . . بل يتحقق بما أوصى به شاعرنا الإسلامي حين قال :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تُخفي عليه يغيب

ب - ملء الفراغ بما ينفع :

لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم - : « . . . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . . . » ، يقرر علماء النفس والتربية : أن الشاب إذا اختلى بنفسه أوقات الفراغ . . وردت عليه الأفكار الحالمة ، والهواجس السارحة ، والأهواء الآثمة ، والتخيّلات الجنسية المثيرة . . فلا يجد نفسه الأمّارة إلا وقد تحرّكت وهاجت أمام هذه الموجة من التخيّلات والأهواء والهواجس ، وربما وقع في محذور شرعيّ لا يحمد عقباه نتيجة هذا كله . . ويتأكد الخطر إذا وُجدَ مع الفراغ الشباب والغنى . .

إن الشباب والفراغ والجِدّة مفسدة للمرء أيّ مفسدة

ولا شك أن الحلّ الإيجابي للتخلص من هذا كله أن يعرف الشاب كيف يقضى وقته ويملاً فراغه . وما أكثر المجالات التي يقضى فيها الشاب الوقت ويملاً الفراغ : إما برياضة بدنيّة يقوي بها جسمه ، أو نزهة بريئة يروّح بها عن نفسه ، أو مطالعة مفيدة يكمل بها ثقافته ، أو عمل يدويّ ينمي به ميوله ، أو حضور درس ديني يهذب به خلقه ، أو مباراة ثقافية يروّض بها عقله ، أو تمارين على الرمي ووسائل الجهاد يُعدُّ بها نفسه . . إلى غير ذلك من هذه الوسائل الإيجابية المثمرة

التي إذا فعلها صرفته عن اتباع الهوى ، ودوافع النفس الأمارة .

د - الرفقة الصالحة :

وهي من المبادئ الأساسية في إصلاح النفس وتوازنها وتقواها . .
لقوله عليه السلام - فيما رواه الترمذي - : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك
إلا تقي » . .

ومن المؤكد تجربة وواقعاً أن الشاب حين يصاحب أهل الإيمان والتقوى
يكتسب منهم الخير والاستقامة والصلاح والثبات على العمل بمبادئ الإسلام . .
بل يكون على شاكلتهم إيماناً وتقوى وصلحاً وثباتاً . . وفي المقابل : إن الشاب
حين يصاحب أهل الفسوق والعصيان والانحراف . . يكتسب منهم الشر والفساد
والانحراف ، بل يكون على شاكلتهم فسقاً وعصياناً وانحلالاً . . وهذا ما عناه
عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الترمذي - : « المرء على دين خليله فلينظر
أحدكم من يخال » ، وهذا ما نوّه عنه شاعرنا العربي حين قال :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
تلكم - يا شباب - أهم الحلول الإيجابية في الوصول إلى غاية الصلاح
والتقوى ، وقمة الاستعفاف والتسامي ، والانصراف في الحياة على نزعات الهوى ،
ووساوس النفس ، وهزات الشياطين . . بل الله سبحانه يتولاكم ، ويجعل لكم
من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً . . وصدق الله العظيم القائل : ﴿ ومن
يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق : ٢) .

* * *

وهكذا - يا شباب - إذا استطعتم أن تتحرّروا من هزات الشيطان المغوية ،
وأن تغلبوا على نوازع النفس الأمارة ، وأن تنتصروا على نزعات الهوى المتبع . .
فتكونون فعلاً قد قابلتم هذه التحديات المفسدة . . بتحدٍّ آخر هو أكثر فعالية ،
وأعظم إيجابية ، وأقوى تأثيراً . . وفي الوقت نفسه تكونون قد أصلحتم
نفوسكم ، وهذبتم أخلاقكم ، وسرّتم في طريق التقى والهدى والورع . . ونظر
الناس إليكم على أنكم أهل الإيمان ، وأهل التقوى ، وأهل المغفرة . . لأن الذي
ينتصر على نفسه ، ويستعلي على هواه ، ويدحر مكائد الشيطان . . فإنه - ولا

شك - ينتصر على أعدائه ، ويستعلي على أهل الضلال ، ويذحر أهل الباطل والنفاق . بل الله سبحانه يكون دائماً معه يؤيده وينصره ، ويمكّن له في الأرض ، ويهيء له أسباب العزة والقوة ، ويبدّله من بعد خوف أمناً . . يعبد له لا يشرك به شيئاً .

فأحكموا أمركم - يا شباب - ، وتزوّدوا بالإيمان والتقوى ، وتحلّوا بالمكارم والخلق الفاضل ، وقوّوا في نفوسكم العزائم ودوافع الإرادة ، وتحرّروا من نزغات الشيطان والنفس والهوى . . حتى إذا انطلقتم في ميادين التبليغ والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله . . كان لكم الأثر الأكبر في الإصلاح ، والمقام الأرفع في القدوة ، والتمكين الأعظم في انتشار الإسلام . . بل الناس حين ينظرون إليكم فينظرون وهم في غاية الثقة والمحبة والتفاؤل . . وحين تدعونهم فلا يتأخّر أحد عن الاستجابة والطاعة ، وحين تطلبون منهم الانخراط في صف الدعوة فإنهم ينخرطون طائعين مختارين راغبين . .

وبهذا تكونون - يا شباب - قد وسّعتم في العالم الإسلامي دائرة القاعدة الإسلامية الصّلبة التي على يديها تنتشر في الأرض مبادئ هذا الدين ، وتقوم في العالمين دولة الإسلام ، وتحرر البلاد الإسلامية من كيد اليهودية والصليبية ، والشيوعية والاستعمار . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

الفصل الثاني

تحديات الغزو الفكري

١ - ومن التحديات الكبيرة التي تتحدى جيل الإسلام اليوم - وعلى الأخص الشباب منهم - تحدي الغزو الفكري الذي يجتاح العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه .

***فالعرب** : يرفع راية العلمانية التي حبست الدين بين جدران المعبد ، وأبت عليه أن يكون له أي دور في إصلاح أو تغيير أو نهضة أو حضارة .

يرفع في مجال الاقتصاد مبادئ الرأسمالية .

ويرفع في مجال السياسة مبادئ الديمقراطية .

ويرفع في مجال الاجتماع مبادئ الحرية والتحرر التي اقتربت من الفوضى والإباحية ، بل أصبحت حرباً طاحنة على القيم والأخلاق والأديان والمثل . .

وتغزو نظريات الغرب ومبادئه وأفكاره . . المجتمع الإسلامي بقيمه الجديدة ، وأساليبه المتنوعة . . ليبعد عن قيم الإسلام ومثله ، ومبادئه وأخلاقه . . التي فيها عزته ، والتي عليها وجوده وبقاؤه .

***والشرق الشيوعي** : يرفع راية الاشتراكية (العلمية) أو الشيوعية ، يضلّل بها الطبقات الكادحة الساذجة من عمال وفلاحين . . ويمنّحها بأن الحكم لهم أو لطبقة (البروليتاريا) - كما يسمّونها - ويمارس تضليله وتزيين مبادئه الإلحادية في أوساط الشباب من عمال وفلاحين ، والطبقات الفقيرة في الشرق الإسلامي ، ومجتمعات الإسلام . . وفي وسط الغزو الغربي الفاسد ، وتضليل الشرق الإلحادي الكافر . . تعيش جماهير المسلمين بعد ما أصابها من ذلّ وتخلف ، وبعد عن منهج الله ، وحقائق الإسلام . . تعيش أكثرها بين حيرة وتردد ، وضياح وتمزّق ، وافتقاد للقيادة الراشدة ، والوحدة الإسلامية المترابطة . . تتلمس النور وسط

السراب الخادع ، وتتلّمس الخلاص حتى تعرف علة تأخرها وتخلّفها ، وتبصر الطريق الهادي ، وتسلك درب النجاة . . لتعود إليها عزتها المنيعة ، وسيادتها الرائدة ، ودولتها الراشدة . .

وسوف ترى - أخي الشاب - في بحث تحدّي الغزو الفكري لجيل الإسلام ماذا دبّره الغرب للعالم الإسلامي من مكائد ودسائس وعوامل للردّة ، وماذا يريد من الشرق الشيوعي من غزو فكري لبلاد الإسلام ، أساسه الزّيف والتضليل والإلحاد ، ثم ما فعلوه بالمسلمين في الماضي من قتل وتعذيب وتشريد . . وما يدبّرونه في الحاضر من أساليب مضلّلة ، وتكتيك جديد ! ! . .

وإن نسينا فلا ننسى ما تقوم به اليهودية العالمية من مخططات وأساليب وجمعيات سرّية في إفساد العالم الإنساني بشكل عام ، والمجتمعات الإسلامية بشكل خاص - وإخضاع كل هذه العوالم لسياسته وسلطانه . . وهكذا يفعلون . .

وسوف ترى - أخي الشاب - في هذا البحث معالم هذا كله ، لتعلم كيف تُعزّي في عقيدتك وأخلاقك وأنت في عقر دارك . . وكيف تدبّر لك المكائد لإخراجك من إسلامك الحق ، ودين الله الخالد والله المستعان وعليه التكلان .

* * *

٢ - أتعرفون - يا شباب - لماذا يغزو الغرب والشرق بلاد الإسلام ؟ :

لأن رسالة الإسلام تغزو العقول والأفكار ، وتنتشر في الكون بسرعة عجيبة ، ويدخل الناس فيها عن طواعية واختيار . . ولأن الرسالة الخالدة تمتاز بالمزايا التالية :

* تمتاز بالربانية : لكونها صدرت عن ربّ مدبّر حكيم لا يعزّب عنه مثقال ذرة ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، ووضع بحكمته كل شيء في موضعه المناسب .

* ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : ٥٠] .
* وتمتاز بالخلود : لكونها باقية خالدة . . محفوظة بحفظ الله إياها إلى يوم

البعث والنشور . . ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) .

* وتمتاز بالعالية : لكون صاحبها عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الناس كافة والبشرية عامة ، ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سبأ : ٢٨) .

* وتمتاز بالشمولية : لكونها مستوعبة كافة شؤون الحياة ، ومحيطة بكل النظم التي تحتاجها الأمم في دينها وديناها ، وحاضرها ومستقبلها ، وسلمها وحرها . . ﴿ وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل : ٨٩) .

* وتمتاز بالانقلاية : لكونها حوت في طياتها دعوات الأنبياء ، وهيمنت على جميع الرسالات ، ورضي الله لها أن تظهر على الدين كله ، ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيماً عليه . . ﴾ (المائدة : ٤٨) .

* وتمتاز بمعطياتها التشريعية : لكونها جاءت في مجال التشريع والاجتهاد بمبادئ عامة ، وقواعد كلية ، ومسائل أصولية . . نفي بحاجات الزمن ، وتواكب حضارات العصور ، ولا سيما أحكام المعاملات ، والمسائل الدستورية والنظم الاقتصادية ، والعلاقات الاجتماعية ، والارتباطات الدولية . . ﴿ ما قرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

فانطلاقاً - يا شباب - من هذه المزايا والخصائص التي اشتملت عليها رسالة الإسلام أعلن رسول الله ﷺ أمام الجموع المحتشدة في حجة الوداع : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المائدة : ٣) .

كما أكد لأمة الإسلام في أكثر من مناسبة أنه صلوات الله وسلامه عليه تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها أحد إلا هالك ، وأنهم إذا تمسكوا بالكتاب والسنة فلن يضلوا أبداً ، وأنهم إذا حادوا عن منهج الله ، وعطلوا الشريعة . . فالله سبحانه يجعل بأسهم بينهم شديداً ، بل يسلط عليهم عدوهم فيستنفد بعض ما في أيديهم ! ! .

وقد قام عليه الصلاة والسلام بدوره في تبليغ الرسالة ، ولم ينتقل إلى الملائ الأعلَى حتى كان الإسلام قد عمّ الجزيرة العربية ، ووصل إلى تهامة ونجد ، ودخل اليمن والبحرين ، وانتهى إلى مشارف الشام .

وفي عهد الخلفاء الراشدين : امتد ظلّ الإسلام على المملكتين العظيمتين : فارس ، والروم ، وامتد ظلّه الوارف إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالاً ، ودخلت في عدله الكريم : بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية إفريقية ، وذلك كلّه في خمس وثلاثين سنة .

ولم تأت سنة اثنتين ومائة هجرية : في عهد بني أمية حتى استبحر الإسلام ، وامتدّ سلطانه إلى أن دخل فيه بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصل إلى حدود الصين شرقاً ، وامتدّ غرباً إلى أن دخلت فيه بلاد الأندلس بأوربة .

وهكذا كان الإسلام يغمر الكون قوّة وحيويّة كالشمس ، ويقطع الأرض بسرعة فائقة كأنه الليل والنهار .

وقد استطاع الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يصوّر للعالم بسطة الملك الإسلامي ، وامتداد سلطانه في الأرض ، فلم يجد بدأ سوى أن يخاطب السحابة التي تمرّ ولا تمطره : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا » .
أتعرفون لِمَ فرعوا واشتدّ غيظهم ؟

كان ذلك لما وطعت أقدام المسلمين أرض أوربة ، ووصلت جيوشهم إلى حدود فرنسا . . فهبّ الأوربيون من رقادهم مشلوهين مذعورين وقالوا : عجبا ما هذا الدين الذي يجتاح العالم في قوة وسرعة عجيبتين ؟ لقد غزا الروم ، ودخل إيطاليا ، وفتح إسبانيا ، ثم ها هو ذا يحاول أن يعبر جبال البرانس ليحكم فرنسا ؟ !! .

وفكّر القوم وتدبّروا فرأوا أنهم إذا تركوا المسلمين وشأنهم ينشرون الإسلام ، ويفتحون الممالك ، وينطلقون في آفاق الدنيا . . فلا بدّ وأن زمام العالم كله سيصير في أيديهم ، بل تصبح البشرية كلها تحت حكمهم وقيادتهم . .
إذن فلتقرر المحاربة ، ولتجهّز الجيوش ، ولتعدّ المعدّات الحربية ، ولتتوحد

جبهات الكفر في جبهة واحدة حتى يتم لهم - على حسب تصوّرهم - القضاء على الإسلام ، واستئصال شأفة المسلمين ، فلا تقوم لهم بعد اليوم قائمة !! .

ولكن أولئك الحاقدين المسعورين قد قبضوا ثمن غرورهم وحماتهم في حملاتهم الصليبيّة المتتالية ، قبضوا الهزيمة والدّلّ والعار . . في موقعة حطين الحاسمة على يد البطل المغوار الشهيم « صلاح الدين » ، وباؤوا بفشل ذريع ، وهزيمة منكرة ، وقبعوا في جحورهم خزايا نادمين !! .

ولم تزد هذه الحملات الحاقدة ، والغارات اللثيمة أمة الإسلام إلا اندفاعاً وإيماناً ، وعزماً و يقيناً . . لأن نداء « الله أكبر » هتافهم ، والجهاد سبيلهم ، والموت في سبيل الله أسمى أمانهم . .

* * *

٣ - هل فكر الأعداء في أسلوب آخر ؟

نعم ، لما فشل الحديد والنار في تحطيم وحدة المسلمين ، وارتدت الفلول الصليبيّة مدحورة ذليلة أمام جيش صلاح الدين ، فكّر أعداء الإسلام مرة أخرى في الأسلوب الجديد الذي يسلكونه في محاربة الإسلام ، وفي الوسائل الخبيثة التي تجعل من الدولة الإسلامية الواحدة المتمثلة في الخلافة أمماً متعدّدة ، ودويلات متفرّقة ، وتجعل من أنظمة الإسلام نظماً أرضيّة ، وقوانين وضعيّة ، وتجعل أيضاً من أخلاق المسلمين المتميّزة أخلاقاً هابطة ترتبط بالتبعيّة البغيضة ، وتقوم على التقليد الأعمى . . حتى يصل أولئك الأعداء إلى ما يريدون في وقف المدّ الإسلامي ، وتفتيت وحدة المسلمين ، وتمييع أخلاق الشباب والشابات ، وزرع بذور التشكيك والإلحاد في نفوس الجيل المسلم !! .

وها أنا ذا أشرح لكم - يا شباب - كيف بدأ التآمر على أمة الإسلام ؟ وإلى أيّ شيء انتهى ؟ ثم نعرّج على ذكر أهم المخططات التي وضعها دعاة الغزو الفكري لمحاربة الإسلام ، وعلمنة البلاد الإسلامية ، وصرف الجيل المسلم عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد ، وزرع مبادئ الإباحية والإلحاد في أمة الإسلام في كل مكان . .

أما كيف بدأ التآمر ؟

فقد بدأ بمؤامرة إلغاء الخلافة التي تمثل وحدة المسلمين وقوتهم وكيانهم السياسي . . في العالم .

وهذه هي قصة إلغاء الخلافة كما سطرها كتب التاريخ :

إن الاستعمار المتمثل بإنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان . . ومن ورائه اليهودية العالمية ، كان وراء إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وتفتيت وحدة المسلمين . .

فقد لعبت دول الاستعمار الحليفة دورًا كبيرًا في إلغاء الخلافة ، وذلك في تغذية القومية العربية في نفوس العرب المسلمين من جهة ؛ وتغذية القومية الطورانية التركية في نفوس الأتراك من جهة أخرى .

وقد استطاعت دول الحلفاء بهذه السياسة الماكرة أن تفرّق بين الشعبين المسلمين ، وأن تثير بينهما التّعرّات العرقيّة ، والعصبيّات الجاهليّة . . وعلى مرور الزمن أصبح العرب المسلمون ينظرون إلى إخوتهم الأتراك المسلمين على أنهم دخلاء مستعمرون ، فأضمرّوا لهم كل شرّ ، ودبّروا لهم كلّ مؤامرة ؛ وقد عزا « شارل دوتي » في كتابه « رحلات في بلاد العرب » هذا النفور المتزايد بين العرب والترك إلى السياسة الإنكليزية التي كانت تضرب القوميات بعضها ببعض لتمكين أقدامها حول جزيرة العرب ، وقديمًا قيل : « فرّق تسد » .

أقدرون - يا شباب - من هم الذين قاموا بتنفيذ المؤامرة ؟

إنهم أعضاء (جمعية الاتحاد والترقي) فهم الذين ثاروا ضد الخلافة بإيجاء من الدول الاستعمارية الحليفة ، وهم الذين كانوا يدينون بتنظيمهم وسرّيتهم وأفكارهم إلى الماسونية ، وما الماسونية - يا شباب - إلا من صنع يهود ، أوجدوها في العالم الإسلامي لقيام إسرائيل في فلسطين المسلمة ، وإلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وتفتيت وحدة المسلمين . . وذلك باستهواء الوطنيين من أصحاب الجاه والسلطان والنفوذ والغنى . . بالدخول فيها ، حتى إذا أصبحوا عاملين موثوقًا بهم في المنظمة الماسونية العالمية قاموا بتنفيذ المخطط الماسوني على الوجه الكامل في بلاد الإسلام .

يقول الشيخ « محمد رشيد رضا » رحمه الله في مجلة المنار الإسلامية : « كان

السلطان عبد الحميد عدواً للجمعية الماسونية ، قد تنفّس الزمان للماسون . . . فكان لهذه الجمعية الأثر العظيم في الانقلابات السياسية التي حصلت في أوربة ، ومنها الثورة الفرنسية الكبرى من قبل ، والانقلاب العثماني ضدّ الخلافة من بعد . . . (١)

ويشير الشيخ « محمد رشيد رضا » إلى أن زعماء الاتحاد والترقيّ الماسونيين كانوا يبذلون أقصى جهدهم لنشر الماسونية بين ضباط الجيش لتدبير المؤامرات ، وإحداث الانقلابات ضد الدين ، وما يقوله في هذا الصدد : « إن هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ، يجتهدون في نشرها ، وجعل رجال الحكومة من أعضائها ، كما ينشرونها في ضباط الجيش ، تمهيداً للفصل بين السياسة والدين » (٢) .

وما زالت « جمعية الاتحاد والترقي » تعمل بصمت ، وتتحرك في خفاء ، وتنشر أفكارهم ، وتقوم بمهمتها في صفوف الجيش ، وتميكن المؤامرات بسريّة وحذر . . . حتى استطاعت عام / ١٩٠٨ / م إبعاد الخليفة عن دفة الحكم ، وإعطائه - كمرحلة أولى - سلطة روحية شكلية ليس لها من الأمر شيء بعد ثورة قومية فرقت شمل البلاد والعباد !! .

أتدرون - يا شباب - من الذي بلغ الخليفة عام / ١٩٠٨ / قرار العزل ؟

إنه اليهودي الماسوني « قره صو » الذي انتخب نائباً لسلاطيك .

أجل إنه « قره صو » وكان هذا الاتحادي اليهودي الماسوني قد قابل السلطان « عبد الحميد » قبل إعلان الدستور في تركيا مندوباً عن اليهود ، ورجاه أن يسهّل لليهود الهجرة إلى فلسطين مقابل هدية للسلطان خاصة قدرها (٥) ملايين جنيهاً ، ومبلغ قدره (٥٠) مليوناً من الجنيهات لحزينة الدولة !! فغضب السلطان « عبد الحميد » رحمه الله غضباً شديداً على هذا العرض المشبوه الأثيم ، وطرده من مجلسه ، فخرج من عنده تلعو وجهه مسحة الذل والصغار . ولقد

(١ و ٢) من كتاب « السرّ المصون » للويس شيخو ص : ٣٥ .

أراد الحاقده اللئيم أن يبلغه بنفسه قرار العزل والخلع تشقيًا لغيظه وحقده .

ولكن التآمر - يا شباب - لم يصل إلى غايته البعيدة بعد ، فالخلافة الإسلامية ما زالت قائمة ، والملايين من المسلمين في المشرق والمغرب ما زالوا مرتبطين بالخلافة روحًا وعقيدة ودولة . . كرمز لوحدهم ، وعنوان لقوتهم .

إذن على التآمر الاستعماري اليهودي أن يهيء في البلاد الإسلامية الزمرة الخائنة العميلة . . لتقوم بدورها الخطير في إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وتفتيت وحدة المسلمين ، والقضاء على كل نظام يرتبط بالقران ، وعلى كل مظهر يتصل بأوامر الإسلام .

أعرفون - يا شباب - من هذه الزمرة العميلة التي قامت على تنفيذ هذا كله ؟

إنه « كمال أتاتورك » و« عصمت إينونو » . . فهما اللذان قاما على تنفيذ هذه الجريمة النكراء ، وهما اللذان أوحيا إلى مجلس الأمة التركي عام/١٩٢٤م في اتخاذ القرار بإلغاء الخلافة ، وإعلان شعار العلمانية ، وفصل الدين عن الدولة . . وما قالاه : « إننا سنطرح برأس كل خليفة يحاول أن يدخل أنفه في أمور الدولة أو يفكر في ذلك » .

وإليكم - يا شباب - بنود التآمر التي اشترطها المستعمرون على أتاتورك في معاهدة لوزان ؟

كان الممثل للمستعمرين في هذه المعاهدة « كرزون » وزير خارجية انكلترا . وكان الممثل لتركيا رئيس وفدها إلى « لوزان » العميل الخائن : « عصمت إينونو » .

وبنود المعاهدة كما اشترطها « كرزون » للاعتراف باستقلال تركيا هي كما يلي :

- ١ - إلغاء الخلافة إلغاء تامًا ، وطرد الخليفة خارج الحدود ، ومصادرة أمواله .
- ٢ - إعلان علمانية الدولة ، ومعناها : « فصل الدين عن الدولة » .
- ٣ - أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية .

٤ - أن يُستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني وضعي بحت .

حدث كل ذلك في / ٤ / شباط عام ١٩٢٢ م .

وبعدما تابع العميل الخائن « أتاتورك » مسيرته في تنفيذ ما أراد له الاستعمار ، ومن ورائه اليهودية ، فلم يمض وقت غير قصير على إلغاء الخلافة حتى ألغى المحاكم الشرعية والأوقاف . . وفي عام / ١٩٢٥ / أصدر قانوناً يقضي بإلغاء الأزياء الإسلامية ، وعمل على تعميم الزي الغربي ، ووجوب لبس القبعة الأجنبية ، واستبدال التحية (السلام عليكم) بانحناء الرأس أو برفع القبعة . .

وفي عام / ١٩٢٨ / ألغى تدريس العلوم الشرعية ، واستبدل تلاوة القرآن والأذان باللغة التركية ، وسوّى في الميراث بين الرجل والمرأة ، وألغى نظام تعدد الزوجات ، واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد . . إلى غير ذلك من هذه التغييرات الجذرية .

وبعد هذه التنفيذات الخائنة التي قام بها العميل « أتاتورك » اعترفت الدول الحليفة باستقلال تركيا ، وانسحب الإنكليز من استنبول والمضائق . .

وعلى أثر ذلك احتجّ أحد النواب الانكليز على وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني لاعترافه باستقلال تركيا ، فأجابه الوزير على الفور : « الحقيقة إن تركيا قد قضى عليها ، ولن تقوم لها قائمة ، لأننا قضينا على القوة المعنوية فيها : « الخلافة ، والإسلام » وهكذا تضافرت الصليبية والماسونية واليهودية والعمالة . . في هدم الكيان الإسلامي الكبير المتمثل في الخلافة والوحدة ، والإسلام ، واستطاعت هذه القوى المتضافرة المجتمعمة أن تنفذ إلى بلاد الإسلام ، وأن تثبت أقدامها فيها ، وأن تجعل أعزة أهلها أذله . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولو كان المسلمون وقتئذٍ - يا شباب - على مستوى كبير من الوعي والفهم ، وعلى درجة عظيمة من الحذر ومراقبة الأحداث فيما يدبر حولهم من مؤامرات ، وما يخطط لهم من مكائد .

ولو كانوا على فهم صحيح لكتاب الله عزّ وجلّ فيما يأمر به من أخذ وعطاء ، ومواكبة للعصور ؛ وما يوجه إليه من علوم وحضارة ؛ وما يرشد إليه من إعداد وقوة . .

ولو كانوا أيضًا مستمرين في طريق الجهاد ، وبذل الغالي والرخيص في إعزاز دين الله ، واستعادة أجماع الإسلام . .

ولو كانوا كذلك منتظمين تحت قيادة إسلامية واحدة يأتمرون بأمرها ، وينضون تحت لوائها ، ويعطون البيعة الصادقة لأمرها . .

لو كانوا جميعًا على هذا المستوى من الفهم والوعي والعزم والتصميم . . لما أصابهم خزي ، ولما تسلط عليهم عدو ، ولما أصبحوا لقمة سائغة في أفواه أعدائهم ، ولما أحلوا أنفسهم دار البوار . . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

* * *

٤ - ولكن هل وقف أعداء الإسلام عند هذا الحد من إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وتفتيت وحدة المسلمين . . أم تابعوا المسيرة في محاربة الإسلام ، وغزو المسلمين عقيدياً وفكرياً . . في عقر دارهم ؟

في الحقيقة أن أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين ومستعمرين وشيوعيين ويهود . . يعملون ليل نهار من أجل هدف واحد ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ، أو على الأقل تشكيكه في عقيدته الإسلامية ، وتحرره الكامل من ضوابط السلوك ، ومبادئ الأخلاق . .

وهذه العداوة للإسلام والكيد له متجسدة في مخططات أربع :

- ١ - مخططات الشيوعية .
- ٢ - مخططات الصليبية .
- ٣ - مخططات اليهودية والماسونية .
- ٤ - مخططات العملاء في الداخل .

وسوف أتحدث - يا شباب - عن كل مخطط من هذه المخططات الأربع بشيء من التفصيل ، لتعرفوا جيداً ماذا يراد لكم ؟ وماذا يُحطّط لجلب الإسلام ؟ والله المستعان وعليه التكلان .

* * *

* أما عن مخططات الشيوعية فهي كما يلي :

في إحدى الوثائق السرية الخطيرة التي نشرتها مجلة « كلمة الحق » في شهر المحرم سنة ١٩٦٧ ، المخطط الرهيب للقضاء على الإسلام ، وقد أعدّه الشيوعيون في « موسكو » ، وقدموه لعبيدهم المسخرين في أحد بلدان الشرق العربي المسلم لينفذوه وقد أحلوا بتنفيذه بدقة .

وها نحن - يا شباب - نقل لكم بأمانة من مجلة « كلمة الحق » بعض ما يحويه المخطط الشيوعي الرهيب لضرب الإسلام في دياركم .

تقول الوثيقة :

« مهادنة الإسلام لتم الغلبة عليه ، والمهادنة لأجل حتى نضمن أيضاً السيطرة ، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .
« تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية » .

« تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل . . ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية » .
« الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً ، والعمل الدائب بيقظة نحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت » .

« ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، وإصاق التُّهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام » .

« تشجيع الكتاب الملقدين وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني ، والضمير الديني ، والعقيدة الدينية ، والتركييز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم ، والصلاة ، والحج ، وعقود الزواج والطلاق ، وسنخضع هذه العقود للتظم الاشتراكية » .

وتقول الوثيقة أيضًا :

« قطع الروابط الدينية بين الشعوب الإسلامية قطعًا تامًا ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيّتنا العلميّة » .

« إن فصم روابط الدين ، ومحو الدين لا يتان بهدم المساجد والكنائس لأن الدين يكمن في الضمير ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعبًا هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل الحكم والسيادة للاشتراكية . . ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروّج للإلحاد ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر . . » .

« خداع الجماهير بأن نزعّم للمسيحيين أن المسيح اشتراكي ، وإمام الاشتراكية ، فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون ، ودعا إلى محاربة الأغنياء . . ونقول عن محمد : إنه إمام الاشتراكيين ، فهو فقير ، وتبعه فقراء ، وحارب الأغنياء المحتكرين ، والإقطاعيين ، والمرابين ، وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب أن نصوّر الأنبياء والرسل ، ونبعد القداصات الروحية ، والوحي ، والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشرًا عاديين حتى نبعد عنهم الهالة التي أوجدها لهم أتباعهم المهوسون » .

« شغل الجماهير بالشعارات الاشتراكية ، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير ، وشغلهم بالأناشيد الحماسية والوطنية ، والتنظيمات الحزبية . . وإلقاء مسؤولية التأخر الاقتصادي ، والجوع ، والفقر ، والمرض ، على الرجعية ، والاستعمار ، والصهيونية ، والإقطاع ، ورجال الدين . . » .

وتستطرد الوثيقة قائلة :

« لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين ، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على إلا يطول زمن ذلك » .

« الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، والدين الزائف هو

الأفيون الذي يخدّر الشعوب . . . ويجب إصاق كل عيوب الدراويش ، وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويج الإلحاد ، وإثبات أن الدين خرافة ، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية .

« أخذنا بتعاليم « لينين » ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصمًا عنيدًا للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي تحقّقه الاشتراكية العلمية التي تحقّق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس . . . ، وإذا وجد من الضروري مهادة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادة لأجل ، والتأييد بحذر ، على أن يستخدم التأييد والمهادة للدين لمحو الدين »^(١) .

فيتبيّن من هذه الوثيقة أن الشيوعيين يركّزون في دعوتهم في الدرجة الأولى على العالم الإسلامي بشكل خاص . . . لما يعلم أولئك ما لبلاد الإسلام من مواقع استراتيجية ، وثروات اقتصادية . . . ولما يعلمون أيضًا ما للإسلام من قوّة انتشار ، وحيويّة مبادئ ، ومقومات حضارة . . . من ناحية أخرى .

من أجل هذا يتخذون الأساليب المتنوّعة لتضليل الناس ، وهدم الأديان ، ونشر الإلحاد . . .

* فتارة يُلبسون الماركسية ثوب الإسلام كقولهم - كما جاء في الوثيقة - :
« إن محمدًا - ﷺ - إمام الاشتراكيين ، فهو فقير ، وتبعه فقراء ، وحارب الأغنياء ، والإقطاعيين ، والمرابين . . . وثار عليهم . . . » .

* وفي كثير من الأحيان يستغلّون النظريات العلمية لترويج إلحادهم وضلالهم :
كاستغلالهم « نظرية دارون » التي تتحدّث عن أصل الحياة ، وتطوّرها من الأدنى إلى الأعلى . . . وكيف تطوّرت من حيوان إلى قرد إلى إنسان .
وكاستغلالهم « نظرية فرويد » التي تربط كل شيء يتعلق بالإنسان بالجنس والشهوة .

وكاستغلالهم « التاريخ » في تفسير الثورات ، وتقدّم الشعوب . . .

(١) نص بعض الوثيقة من كتاب « الشيوعية والإسلام » للمؤلفين الأستاذين : عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار ص : ١٢٣ .

ليصلوا من وراء هذا الاستغلال للنظريات العلمية إلى التشكيك بالخالق ،
ومبادئ الإسلام ، وحقائق التاريخ ، وأمجاد المسلمين . .

*وأحياناً ينتهزون الفرص المواتية ليكون التحدي للأديان صريحاً ، والإلحاد
سافراً ، والمحادة لله والرسول واضحة كأن يقول قائلهم :

« إن الله ، والأديان ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والمتخمين . . وكل القيم التي
سادت في المجتمع السابق ليست إلا دُمى مَحْنَطَةٌ في متاحف التاريخ . . » .

« لا إله في الكون والحياة مائة » .

« الدين أفيون الشعوب » .

« الأنبياء لصوص كذّابون » .

* ومن أساليبهم الحاقدة حرب التقتيل والإبادة في البلاد الإسلامية التي وقعت
أو سوف تقع تحت سيطرتهم :

– ففي الصين وروسيا أباد الشيوعيون من المسلمين خلال ربع قرن من الزمان
أكثر من ستة وعشرين مليوناً ، وعلى الأخص في القطاع الصيني من التركستان
المسلمة .

– وفي يوغسلافيا الشيوعية أباد الشيوعيون من المسلمين أكثر من مليون بعد
الحرب العالمية الثانية .

– وكم سمعنا عن مجازر الشيوعية في العراق في عهد عبد الكريم قاسم ؛ وعن
مجازرهم في اليمن الجنوبية ؛ وعن مجازرهم في أفغانستان الآن !! .

وصدق الله العظيم القائل في حقهم : ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة
وأولئك هم المعتدون ﴾ (التوبة : ١٠) .

والقائل أيضاً : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن
استطاعوا ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

وهكذا يعطي الشيوعيون لكل بلد أسلوبه ، ولكل حالة لبوسها ، ولكل ففة
قناعها . .

وفي بعض الأحيان - كما تبين - يلجؤون إلى الحديد والنار لفرض مبادئهم ، وإكراه الشعوب لاعتناق مذهبهم ، كما فعلوا في الماضي في الصين ، وروسيا ، ويوغوسلافيا . . وكما يفعلون في الحاضر في اليمن الجنوبية ، وأفغانستان . .

وفي العصر الحديث - كما سبق ذكره - لجؤوا إلى أسلوب الغزو الفكري بما يلائم الأمم الإسلامية وما يناسبها من أساليب التضليل والتزوير والخداع . . حتى إذا ولج المخدوع الباب ، ووقع في شبكة الصياد . . تدرّجوا معه نحو الإلحاد خطوة خطوة ، ليصبح في نهاية المطاف جندياً عميلاً من جنودهم ، وبوقاً منتقلاً من أبواقهم . . بل ليعلن أمام الملا بكل وقاحة وصفاقة أنه عدو للإسلام ، والأنبياء ، والأديان . . ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم . . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ (محمد : ٢٣ ، ٢٨) .

هل عرفتم - يا شباب - ما تريده الشيوعية الحاقدة اللئيمة من إلحاد وتضليل وتشكيك من استئصال شأفة الإسلام من المجتمعات الإسلامية ؟ .

فإذا عرفتم فكفونا على حذر منها ، وكرهية لها ، وإعراض عنها . . لتبقى لكم شخصيتكم المتميزة ، وتحافظوا على عقيدتكم الإسلامية الأصيلة . . والله يتولّى الأتقياء المخلصين العاملين .

* * *

*وأما عن المخططات الصليبية فتركز في النقاط التالية :

قبل أن نعدّد هذه النقاط يحسن أن نبين ماذا تعني كلمة الصليبية ؟ وماذا يدخل فيها من فئات متعاونة متضافرة ؟

تعني كلمة الصليبية - يا شباب - أمة النصرارى التي تنفث حقدتها وسمومها في محاربة الإسلام ، واستئصال شأفة المسلمين ، والسيطرة على بلادهم ، وإخراجهم من عقيدتهم . .

أما ما يدخل فيها : فإنه يدخل التبشير ، والاستشراق ، والاستعمار على حدّ سواء . . فكل هذه الفئات متعاونة متضافرة لغزو بلاد الإسلام ، وإخراج المسلم من الإسلام ، وإدخاله في النصرانية ، بل هذه الفئات منبثقة عن الصليبية لأداء

مهمتها في التضليل ، والقيام بمسئوليتها في التنصير ، بل هذه الفئات هي الصليبية ذاتها ، وجدت في العصر الحديث ، لتتخذ أسماء ومسميات وأساليب ظاهرها الرحمة ، ومن باطنها من قبلها العذاب ، وقد عملت عملها - ويا للأسف - في بلاد الإسلام ، وما زالت تعمل للوصول إلى هدفها الخبيث ، وتنفيذ حقدتها الدفين . . . ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . . .

وإليكم - يا شباب الإسلام - أهم هذه النقاط في مخططات الصليبية :

١ - القضاء على الحكم الإسلامي في بلاد الإسلام :

سبق أن ذكرنا كيف اعتمدت الصليبية المتمثلة في انكلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، واليونان . . .

على العميل الخائن « أتاتورك » في معاهدة « لوزان » في إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وقطع تركيا صلتها بالإسلام . . .

ولقد رأينا كيف نفذ العميل الخائن أكثر مما أملته عليه الصليبية ، فعدا أنه ألغى الخلافة ، وجعل دستور الدولة علمانيًا . . . فإنه ألغى المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينيّة ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركيّة ، واستبدل الحروف العربيّة بالحروف اللاتينيّة ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد . . . وانتهى ذلك كله عام/١٩٢٨م .

وقد بارك الانكليز والحلفاء جهود أتاتورك في محاربة الإسلام ، واعترفوا له بعد هذا باستقلال تركيا ، لأنهم قضوا بخيائنه وعمالته على قوة المسلمين المتمثلة في أمرين : الإسلام ، والخلافة . . . وسرى هذا الحكم العلماني اللاديني في تنفيذ المؤامرة على أكثر بلاد الإسلام ، فأصبحت تحكم بغير ما أنزل الله ، بل أصبحت دساتيرها علمانية لا دينيّة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ - القضاء على القرآن الكريم ومحوه :

الصليبية الحاكمة تعتبر القرآن الكريم المصدر الأساسي لقوة المسلمين ، وعودتهم إلى عزهم ومجدهم ، وماضي قوتهم وحضارتهم . . . لذا فهم يعملون جهدهم لتحريره ، أو تأويله ، أو محوه . . . إن كان في مقدورهم واستطاعتهم .

يقول : « غلادستون » في مجلس العموم البريطاني وقد رفع المصحف أمام المجتمعين : « ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين ، فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان »^(١) .

ويقول المبشر الصليبي « وليم جيفورد بالكراف » : « متى توارى القرآن ، ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه »^(٢) .

ويقول المبشر الصليبي الحقود « كاتلي » : « يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح في الإسلام - ضد الإسلام نفسه حتى نقضي عليه تمامًا ، يجب أن نبيّن للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا ، وأن الجديد ليس صحيحًا »^(٣) .

ويقول الحاكم الفرنسي للجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها : « يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى نتصر عليهم »^(٤) .

ولكنهم اندحروا وخسؤوا في أن يصلوا إلى غايتهم الخبيثة في القضاء على القرآن الكريم ، أو التحريف فيه ، أو التشكيك بإعجازه . . لأن الله سبحانه تكفل بحفظه من كل تحريف أو تبديل إلى يوم البعث والنشور ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

٣ - تدمير الفكر الإسلامي في المسلمين :

ومن مخططات الصليبية قطع صلة المسلمين بالإسلام ، وتدمير الفكر الإسلامي في المسلمين . . من أجل أن يسير الجيل المسلم وعلى الأخصّ شبابه وشاباته في طريق الإلحاد والإباحية ويقطعوا صلّتهم بالله وبالإسلام .

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص : ٣٩ .

(٢) جذور البلاء ص : ٢٠١ .

(٣) التبشير والاستعمار ص : ٤٠ .

(٤) المنار عدد : ٩ - السنة (١١) سنة ١٩٦٢ .

يقول القسّ « زويمر » المبشر الصليبي كما جاء في كتاب « الغارة على العالم الإسلامي : إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ، ومزие بناء » .

أما الهدم فعني به : انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى الإلحاد .
وأما البناء فعني به : تنصير المسلم - إن أمكن - ليقف مع الحضارة ضد قومه » .

ويقول المبشر الصليبي « تكلي » : « يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيرًا من المسلمين قد زرع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسيّة الغربيّة ، وتعلّموا اللغات الأجنبيّة »^(١) .

ويقول القسّ « زويمر » أيضًا في مؤتمر المبشرين المنعقد في القدس عام ١٩٣٥/ : « إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمديّة ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن هذا هداية لهم وتكريم . . إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلاميّة ، لقد هيّأتم جميع العقول في الممالك الإسلاميّة لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام . . »^(٢) .

ولكن خسيء أولئك المبشرون الحاقدون في أن يصلوا إلى مرادهم الآثم الخبيث ، فإن في شباب الإسلام فهمًا ووعيًا وصحوة وعودة إلى الإسلام ، وجهادًا في سبيل إعلاء كلمة الله ، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

٤ - القضاء على وحدة المسلمين :

لقد عملت الصليبيّة عملها الحاقد الآثم في تمزيق وحدة المسلمين بدءًا بإلغاء الخلافة ، وانتهاءً في تفتيت أمة الإسلام إلى أمم ، والدولة الواحدة إلى دويلات . .

(١) التبشير والاستعمار ص : ٨٨ .

(٢) جذور البلاء ص : ٢٧٥ .

وما ذاك ! إلا ليظل المسلمون ضعفاء أذلاء متفرقين ، يكيد بعضهم بعضاً ، لا عزة لهم ولا كيان ولا سيادة . .

يقول القسّ الصليبي « سيمون » : « إن الوحدة العربية الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملّص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحوّل التبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية »^(١) .

ويقول المبشر « لورانس براون » : « إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربيّة أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حيثئذ بلا وزن ولا تأثير »^(٢) .

« وفي سنة / ١٩٠٧ / عقد مؤتمر أوربي كبير برئاسة بريطانيا ، واستمر المؤتمر شهراً من الدراسات والنقاش ، واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفة ، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطر يهدد أوربيّة ، فقرّر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ، لأن الشرق الأوسط المسلم يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربة . .

وأخيراً قرروا إنشاء قومية غربية يهودية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس ، ليبقى المسلمون متفرقين ، وبذا أرسّت بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين »^(٣) .

ولكن نرى بوادر الصحوة الإسلاميّة في الشباب خاصة تتصعد في الشعوب المسلمة يوماً بعد يوم لإقامة وحدة إسلامية مترابطة شاملة تحت إمرة واحدة ، ودولة واحدة ، ودولة واحدة تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

(١) كيف هدمت الخلافة ص : ١٩٠ .

(٢) جنود البلاء ص : ٢٠٣ .

(٣) المؤامرة ومعركة المصير ص : ٢٥ .

وعسى أن يكون ذلك قريباً بإذن الله .

٥ - إفساد المرأة المسلمة :

وذلك بالاهتمام بحركات تحرير المرأة ، وإثارة المناقشات حول حقوقها ، ومساواتها مع الرجل ، ونقض النظام الإسلامي في الحجاب ، وعدد الزوجات ، وإباحة الطلاق . . كل ذلك لإلقاء الشُّبه ، وإثارة الشكوك حول صلاحية الشريعة الإسلامية ، ومسايرتها للحياة .

لقد ألف الصليبي الحاقد القسّ « زويمر » رئيس إرسالية التبشير رسالة بعنوان : « العالم الإسلامي اليوم » قال فيها : (لم يسبق وجود عقيدة متينة على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقية الواسعتين ، وبثّ في مائتي مليون من البشر عقائده ، وشرائعه ، وتقاليده . . وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ، فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المترامية على جبل المقطم ، أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب ، وتطاول السماء . . مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ، ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات وانحطاط المرأة) . ثم اختتم عدوّ الإسلام كلامه بنصيحة للمبشرين بعدم اليأس لأن سوس تحرر المرأة ينخر في عظام المجتمع الإسلامي فقال : (ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين ، وتحرير المرأة . .)^(١) .

ونشر الكاتب الفرنسي الشهير (مسيو أتين لامي) في مجلة « العالمين الفرنسية بالعدد الصادر في / ١٥ / سبتمبر / ١٩٠١ م ، مقالاً رسم فيه هذه الخطة الخبيثة لهدم الإسلام :

فقال بالحرف الواحد : (إن طريقة تربية أولاد المسلمين وإن كان لها من التأثير ما بيّناه ، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا إلى نفس الغاية التي وراءها نسعى ، بل أقول : إن تربية بنات المسلمين بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله)^(٢) .

(١) الغارة على العالم الإسلامي ص : ٣٣ - ٤٧ .

(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص : ٤٨ .

ولكن خاب فأل هؤلاء المبشرين الحاقدين فإن المرأة المسلمة اليوم أصبحت تعرف حقيقة التآمر التي يمحكها أعداء الإسلام ضد بنات جنسها ، بل أصبحت تعلم بوعي أن الإسلام أعطاها من الحقوق ما لم تنله أية امرأة أخرى في ظل المبادئ والدساتير ، بل أصبحت تدرك أن كل من يتباكى على المرأة يريد من ورائه أن يسلبها أعز شيء لديها ألا وهو عرضها وعفافها ، لتكون متعة رخيصة في سوق الملذات والشهوات ! ! . .

* * *

وللصلبية وصناعتها من التبشير والاستشراق والاستعمار . . أساليب ودعوات في محاربة الإسلام ، وغزو المسلمين في عقور دارهم .
وإليكم - يا شباب - أهم هذه الأساليب والدعوات :

فمن أساليبهم : الدعوة إلى أن القرآن الكريم كتاب مسيحي يهودي نسخه محمد ﷺ من الكتب السماوية السابقة .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى أن الفلسفة الإسلامية فكر يوناني كُتِبَ بأحرف عربية .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى أن اللغة العربية الفصحى لغة صعبة لم تعد صالحة للعصر اليوم ، فيجب استخدام اللغة العامية ، واللهجة الدارجة بدلاً منها ، كما يجب استبدال الحروف اللاتينية عوضاً عن الأحرف العربية .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى إحياء الفرعونية في مصر ، والآشورية في العراق ، والبربرية في شمال إفريقية ، والفينيقيّة على ساحل فلسطين ولبنان ، وإلى تفضيل اللغة الفارسيّة « كلغة آريّة » على اللغة العربية « كلغة ساميّة » .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى أن الذين حملوا رايات الحياة الأدبية ، ومظاهر الحضارة العامة في الشرق الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر هم نصارى لبنان . . والدعوة أيضاً إلى أن البربر وحدهم هم أصحاب المدنية والحضارة في شمال إفريقية والأندلس ، وأن الإسلام ليس له أي أثر في بناء الحضارة الإنسانية في العالم .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى أن الإسلام يميل إلى الاعتداء ، وإكراه أهل الملل

الأخرى على اعتناقه ، ويحرض أتباعه على القسوة في معاملة غير المسلمين ، كما أنه يدعو إلى الحيوانية والاستغراق في الملذات .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى التنفير من حياة المسلمين الحاضرة ، وأخلاقهم المورثة ، وآدابهم العامة ، لأنها - في نظرهم الحاقدة - حياة بدائية ذليلة .

ومن أساليبهم : الدعوة إلى أن السبب في تخلف المسلمين وتأخرهم عن ركب الحضارة والمدنية في العصر الحاضر هو تعاليم الإسلام والتمسك بها . .

﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ (التوبة : ٣٠) .

ولكي تعرفوا - يا شباب - حقيقة هذه الأساليب الماكرة ، والدعوات الحاقدة . . على الإسلام ، ونبى الإسلام . . فاستمعوا إلى ما يقوله المبشر الأمريكي الحاقد « هنري جيسب » : [المسلمون لا يفهمون الأديان ، ولا يقدرونها قدرها ، إنهم لصوص ، وقثلة ، ومتأخرون ، وإن التبشير سيعمل على تمدنيهم]^(١) .

واستمعوا أيضاً إلى ما يقوله « جوليمين » في كتابه « تاريخ فرنسا » : [إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يُخضعوا العالم ، وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه . . وما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (يقصد المسلمين) وبين النصارى ! ! . إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم ، ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكننا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين]^(٢) .

هل رأيتم - يا شباب - حقداً على نظام الإسلام ، ونبى الإسلام كهذا الحقد ؟ .

هل رأيتم تحريفاً للحقائق الثابتة ، وكذباً على الواقع والتاريخ كهذا التحريف والكذب ؟ .

(١ و ٢) التبشير والاستعمار ص : ٣٧ .

فالمسلمون في نظر أولئك الحاقدين متأخرون ، ولصوص ، وقَتلة !! . .
ورسولهم (عليه الصلاة والسلام) رئيس عصابات إجرامية !! . .
والإسلام فرض سلطانه على الممالك الإنسانية بالسيف والإكراه !! . .
قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ؟ !! .

* * *

وللصليبيّة - يا شباب - وسائل مأكرة خبيثة لمحاربة الإسلام ، وزعزعة عقيدة
المسلمين . .

وأهم هذه الوسائل هي :

***تعليم أبناء المسلمين في روضاتهم ومدارسهم وجامعاتهم : جاء في
كتاب « اليسوعيون في سورية » :**

[إن المبشّر الأول هو المدرسة] ، وجاء أيضًا : [أكثروا من المدارس في جميع
أنحاء العالم الإسلامي وخاصة روضات الأطفال ، لأن الوسيلة التي تأتي بأحسن
الثمار في تنصير المسلمين إنما هي تعليم أولادهم الصغار] .

*وضعوا كتبًا خاصة بمن ينتمي إليهم من أبناء المسلمين لمختلف حقول التعليم ،
وسخّروها جميعًا للدسّ على الإسلام ، وأحالوا الطلبة إلى مراجع تبشيرية
واستشراقية تنضح بالسّم ، وتفيض باللؤم والخبث !! .

*اختاروا لهذه المدارس ، وتدرّيس هذه الكتب المدرّسين والمعلّمين الذين
عندهم مران على التبشير ، والمتصفين بالمواهب والذكاء من أصحاب الخبرة
والكفاءات .

*أجبروا الطلاب المسلمين على دخول الكنيسة ، والاستماع إلى مواعظ
الأحد ، والقيام بالطقوس المسيحية . .

*يحاولون دائمًا غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبّوا
على تقليد الغرب من ناحية ، وحتى تضعف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية
من ناحية أخرى .

* ويسعون جهدهم في إظهار المرأة بمظهر التقدم والتحرّر ، وإظهار المرأة المسلمة بمظهر التأخر والتخلّف . . حتى تتحرّر دائماً من سلطان الحجاب ، والأخلاق الإسلامية ، وتميل نحو الميوعة والتحلل والفساد . .

«نشر المطبوعات التبشيرية على أوسع نطاق : اعتنى المبشرون والمستشرقون بالمطبوعات عنايتهم بالتعليم أو أكثر ، فألفوا الكتب ، وأصدروا المجلات والصحف ، وفتحوا المطابع ، وأنشأوا دور النشر . . حتى كادت هذه المرافق الإعلامية حكرًا لهم لا ينازعهم فيها منازع !! .

ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار « دائرة المعارف » بعدة لغات ، وقد بدأوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء متتابعة ؛ ومصدر الخطورة في هذه الدائرة هي كونها مرجعًا لكثير من المسلمين في دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين . . وقس على ذلك قاموس « المنجد » لمؤلفه القسّ « لويس معلوف » ، فإن هذا القاموس منتشر في بيئات المثقفين المسلمين وغير المسلمين في العالم الإسلامي على ما فيه من دسّ وطعن على نظام الإسلام ، ونبيّ الإسلام ، وتاريخ الإسلام . .

وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيّون في الوقت الحاضر هي مجلة « العالم الإسلامي » ، أنشأها « صمويل زويمر » عام ١٩١١ / م ، وتصدر الآن من « هارتفورد » بأمريكا ، ورئيس تحريرها « كمنيث كراج » ، وطابع هذه المجلة تبشيري سافر ، وصليبي حاقد^(١) .

ولا يغيب عن البال ما يؤلفه « جرجي زيدان » الصليبي في سلسلة مطبوعاته عن أبطال الإسلام ، وتاريخ الإسلام . . فإن فيها من الدسّ والكذب والتلفيق والتزوير والطعن . . مما لا يخفي على كل ذي عين وعقل وبصيرة ؛ وكذلك ما كتبه « سلامة موسى » فلا يقل عن سالفه كذبًا ودسًا وتزويرًا في كل ما كتبه عن الإسلام .

(١) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ص : ٥٣٦ .

وإن نسينا فلا ننسى النشرات التبشيرية التي يرسلها أصحابها إلى صناديق برید المسلمين في كل مكان هنا وهناك فإن فيها من التحبيب والتزيين على أن المسيح هو ابن الرب، وأن الرب أرسله إلى العالم لينشر فيه روح المحبة والسلام والتسامح . . وأن على أبناء الإنسانية أن يدخلوا في دينه، وأن يكونوا من أتباعه . . حتى يسود الحب والسلام والتسامح . . في العالم . . في العالم كله .
ولقد اعتمد المبشرون مدينتين كبيرتين لنشر كتبهم وصحفهم ومجلاّتهم ونشراّتهم : القاهرة ، وبيروت .

أما القاهرة : فاتخذها « البروتستانت » مركزًا لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري ، وفي جميع العالم الإسلامي .
كما أنهم أقاموا المطبعة الأميركية في بيروت ، تلك المطبعة التي أصبحت أهمّ وسائل التبشير في الشرق كله .

وأما بيروت : فقد ركّز اليسوعيون فيها جميع جهودهم ، وذلك في المطبعة الكاثوليكية التي أسسوها منذ عام ١٨٧١م / ، وقاموا عن طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى^(١) .

«الخدمات الطيِّبة والاجتماعية» : فإنهم يعنون بالخدمات الطيبة أكثر من أي خدمة أخرى من الخدمات الاجتماعية . . وقد كان أول من أسّس عيادة طبيّة من أجل التبشير هم الأمريكيون ، وقد افتتحوها في « سيواس » بتركيا عام ١٨٥٩م / .

ومنذ ذلك الحين اعتبر الأمريكيون وغيرهم من المبشرين الطبّ مشروعًا مسيحيًا ، وعلى هذا قال الطبيب « بول هايسون » في كتابه « الطبيب في بلاد العرب » ص ٢٧٧ : [إن المبشر ليرضى بانسراح عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع هذا المستشفى منطقة « عُمان » بأسرها ، لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى . . وإن بإمكان الطبيب المبشّر أن يصل بتبشيريه إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم . . ثم إنهم فرضوا أن

(١) التبشير والاستعمار ص : ٢٠٨ .

يكون الطبيب المبشر نسخة من الإنجيل ، إن بإمكانه أن يغيّر الذين حولهم ، ويجعل منهم نصارى حقيقيين أو يترك في نفوسهم أثراً عميقاً على الأقل] .

وهذه الخدمات الطبيّة والاجتماعية منتشرة - يا شباب - في طول البلاد الإسلاميّة وعرضها ، وكلّكم تعلمون أن التبشير في كل بلد إسلامي مستشفيات للتطبيب ، وجمعيات خيرية واجتماعية للخدمات . . وما ذاك إلا للتأثير على ضعاف العقول والعقيدة من أبناء المسلمين .

* **تمييع المجتمع الإسلامي :** وذلك عن طريق الخمر والجنس والمسرح والتمثيل وتحرير المرأة . . وما هذه الوسائل من التمييع والانحلال . . إلا لتحويل شباب الإسلام على الأخصّ عن الهدف الأسمى في الحياة ألا وهو الجهاد في سبيل الله ، وصرفه عن الاضطلاع بمسؤولياته في تبليغ الدعوة الإسلاميّة ، وحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا .

ونحن إن شاء الله في بحث « **تحدي الانحلال الأخلاقي** » سنتكلم بالتفصيل عن المخططات الرهيبة ، والأساليب الخبيثة . . التي يصطنعها أعداء الإسلام ولا سيما الصليبيّة واليهودية والماسونية . . لتمييع المجتمعات الإسلاميّة ، وإغراقها في الممذات والشهوات ، وصرف شبابها وشاباتنا عن الواجب الأقدس في حمل رسالة الإسلام .

* **تكثير عدد المبشرين في العالم الإسلامي :** نقلت جريدة « المسلمون » في عددها / ٣١ / عن الدكتور « عبد الودود شلبي » أمين عام الدعوة الإسلاميّة بالأزهر أن عدد المبشرين في العالم الآن أكثر من / ٢٢٠ / ألف مبشر ، منهم : / ١٣٨ / ألف كاثوليكي ، و / ٨٢ / ألف بروتستانتي ، ولا يكفي أبداً أن يتصدّى لهم خمسة آلاف داعية إسلامي يعملون في الخارج هنا وهناك ، كيف يكفي خمسة آلاف وفي « أندونوسيا » وحدها يتركز من المبشرين أكثر من / ١٠ / آلاف مبشر ؟ .

وحول ازدياد حملات التبشير في العالم الإسلامي يقول أمين عام الدعوة الإسلاميّة بالأزهر : « إن حركة التبشير تزداد لمواجهة تصاعد الصحوة الإسلاميّة في العالم ، وهذه الصحوة ليست صحوة زعيم أو حاكم . . ولكنها صحوة الحق . . . ولن تتوقف فالإسلام يتردّد في كل مكان ، والصحوة الإسلاميّة تبعث الرعب في قلوب أعداء الإسلام . . » .

وهذه الهجمة التبشيرية الشرسة التي تغزو العالم الإسلامي اليوم ما هي في الحقيقة إلا امتداد لما كان يخطط له المبشرون لجيل الإسلام في الماضي من مخططات ومؤامرات . . يقول الدكتور « شلبي » في حديثه عن التبشير في جريدة « المسلمون » في العدد ذاته : [إن العداوة والكراهية والأطماع التي يحملها الغرب الصليبي للعالم الإسلامي تجلّت في الاحتلال الصليبي للدول العربية ، وكان أول عمل قامت به إدارة الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو تحويل أوّل وأكبر مسجد في الجزائر وهو مسجد « كيشار » إلى كنيسة ، وأصدرت هيئة البريد طابعاً تذكاريّاً أنّذٍ يمثل الهلال رمز الإسلام وهو ينحدر في قاع البحر ، والصليب يعلو ويرتفع . .] .

ويستطرد الدكتور شلبي قائلاً : [استكمالاً لهذه الخطة احتلّ الإنجليز « مصر » ، وقال « جلاستون » رئيس وزراء إنجلترا في إحدى خطبه : إن هناك أربع عقبات أمامنا للقضاء على الإسلام وهي : المصحف ، والكعبة ، والأزهر ، وصلاة الجمعة . .] .

من هنا نعلم أن التبشير في الحاضر ما هو إلا امتداد للتبشير في الماضي ، ليصل التبشير بمعاونة الاستشراق إلى غرضه الدفين في القضاء على الإسلام ، وتقويض أجماد المسلمين . . ولكن خابوا وخسروا فالله سبحانه سيتمّ نوره بفضل صحوة الشباب ، وانطلاق عزام الشباب . . في تبليغ الدعوة ، ونشر رسالة الإسلام . . وما ذلك على الله بعزيز .

هل عرفتم - يا شباب - شيئاً عن هذه المخططات الصليبية اللثيمة في محو العقيدة الإسلامية ، وفي تمزيق وحدة المسلمين ، وفي إفساد الأسرة المسلمة . . ؟ وهل عرفتم أن للصليبيين من مستشرقين ومبشرين أساليبهم اللثيمة ، ودعواتهم الحاقدة ، ووسائلهم الخبيثة . . لإخراج المسلم من الإسلام وتبييع أخلاق الشباب والشابات في بلاد الإسلام ، وجرّ الجيل المسلم إلى ردة كافرة ، وإلحاد سافر إن استطاعوا ؟

إذا عرفتم - يا شباب - فما عليكم إلا أن تعقدوا النيّة ، وتضاعفوا العزم ، وتبدلوا النشاط ، وتصعدوا العمل الحركي . . لتبتلوا في نهاية المطاف كيد الكائدين ، وتستأصلوا شأفة التأمّرين والحاقدين . . والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

وأما عن المخططات اليهودية فهي على الوجه التالي :

لجأ اليهود - قاتلهم الله - إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر والدهاء . . . سعيًا لما تصبوا إليه آمالهم وأهدافهم من بسط نفوذهم في الأرض ، ومدّ سلطانهم في العالمين .

وطريقهم إلى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة حقودة لثيمة منكرة . . . كما رسمتها مناهجهم المرحلية والعملية في بروتوكولهم ، فهي تعتمد أساسًا - كما سيأتي - على تقويض أركان المجتمع العالمي ، وبث عناصر الانحلال والفساد تعبت في خلاله ، وتستشري في كيانه ، وإشاعة الفوضى الاجتماعية الغامرة تسري في أوصاله . . . حتى إذا تداعت قيمه ، وفقد مقومات حياته ووجوده . . . تهاوى خائترًا مستسلمًا لفكر يهود ، ومخططات يهود . . . انبعث اليهود من غمار الفوضى التي يتردى فيها العالم ، ومن خلال الصراع الذي ثمنى به الإنسانية . . . يمسكوا بزمام البشر ، ويقيموا في العالم دولة عالمية تضمّ أطراف الدنيا يكون قوامها من طبقتين :

الأولى : اليهود وهم شعب الله المختار يترّبعون على عرش السيادة ، وفي يدهم صولجان الحكم ، وسلطان السياسة ، ومقاليد التسيير لهذا العالم .

الثانية : الشعوب غير اليهودية - وهم طبقة العوام - التي ينبغي أن تكون لهم خدمًا وعبيدًا . . . لأن أعراقها دون عرق اليهود منزلة وكرامة وذكاء^(١) . . .

وهذه العقيدة اليهودية التي تقوم على عنصرية شعب الله المختار هي عقيدة قديمة ما برحت تجول في أفكار اليهود منذ العصور اليهودية الأولى ، ويتناقلونها جيلًا عن جيل في كتمان شديد ، وحذر بالغ ، خورًا وقصورًا وتحينًا للفرص ، ويعملون لها صابرين متحفزين حذرين . . . لا يفتأ أحبارهم وحاخاماتهم يوقدون جذوتها آثًا فآثًا ، فلا تخبو بين جوانحهم وتفتر ، ولا تتلاشى في أذهانهم وتضمّر^(٢) . . .

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي دعا « هرتزل » اليهودي لعقد المؤتمر اليهودي الأول عام ١٨٩٧م / بمدينة « بال » بسويسرا ، وكانت مقرّراته هي

(١ و ٢) من كتاب « أساليب الغزو الفكري .. » ص : ١٤٩ - ١٥٠ مع بعض التصرف .

الدستور العملي لهذه المرحلة من المخططات اليهودية ، ثم حدّد « هرتزل » في كتابه « الدولة اليهودية » بقعة فلسطين باعتبارها أرض الميعاد ، ومبعث أنبياء بني إسرائيل ، وقد عمل اليهود على تحقيق مخطّطهم في خطوات ومراحل زمنية يتم من خلالها استيعاب أطراف أرض الميعاد التي تشمل المناطق الممتدة من النيل إلى الفرات وتضمّ : إقليم الوجه البحري من مصر وسيناء ، وفلسطين ، وشطر العراق الغربي ، وسورية ، ولبنان ، وبادية الشام ، والأردن ، وشمال الحجاز حتى المدينة المنورة . .

وفي عام ١٩٤٨م / أعلن اليهود - بالتواطؤ مع الدول الكبرى - قيام دولة إسرائيل ، وقال ابن غوريون حين ذلك : [إن الصهيونية قد حققت هدفها في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨م / بيناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقاً عليه ، وبفضل قوات (الهاجاناه) ، وليست هذه نهاية كفاحنا ، بل إننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات] ، ويعني ابن غوريون أن الدولة إسرائيل قامت على مساحة أكبر مما منحها مشروعات التقسيم لفلسطين بين العرب واليهود .

وقد استمرت إسرائيل في الإعداد لتحقيق توسّعها ، واستغلّت انشغال الدول العربية عنها ، وأحياناً التواطؤ معها . . حتى تمكّنت من احتلال سيناء والجولان وجميع أراضي فلسطين^(١) . . .

ما ذكرناه آنفاً يتبيّن - يا شباب - أن اليهود - لعنهم الله - وضعوا نصب أعينهم ثلاثة أهداف في تنفيذ مخططاتهم ، والوصول إلى ما يريدون :

الهدف الأول : تجزئة أمم الأرض ، وإغراء بعضها ببعض ، وإثارة الحروب فيما بينها ، وإيقاد نيران الفتنة بين شعوبها . .

الهدف الثاني : إفساد عقائد الأمم ، وتحطيم مفاهيمها وأخلاقها ونظمها ، وإبعادها عن صراط الله سبحانه .

الهدف الثالث : إقامة دولة إسرائيل الممتدة من الفرات إلى النيل في قلب بلاد

(١) من كتاب « أساليب الغزو الفكري .. » ص : ١٥٠ للأستاذين : جريشه ، والزريق .

الإسلام . والغاية المتوخاة من هذا كله هي فقد هذه الأمم عوامل نموها وقوتها وتقدمها . . ثم بالتالي لتكون لليهود السيطرة الفكرية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية . . على العالم كله . .

* * *

ومن أظهر وسائلهم في تحقيق أهدافهم الثلاث هي تأسيس الجمعيات السرية في طول بلاد العالم وعرضها ، ولعلّ من أهمّ هذه الجمعيات ، وفي مركز القمة منها هي « الجمعية الماسونية » .

ولكن ما هي الماسونية وما هي أهمّ أهدافها ؟

يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكة - حفظه الله - في كتابه « مكائد يهودية » صفحة ٢١٩ ما يلي : [لقد أثبت تاريخ هذه الجمعية - المحاطة أهدافها الحقيقية بسرية تامة - أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدواراً خطيرة في تاريخ الأمم ، وأثرت تأثيراً مباشراً على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكّمت في سياسية معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خُدعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء السجوف أصابع المكر اليهودي الذي يُحكّم إخفاء نفسه في الوقت الذي يكون فيه هو المدبّر الحقيقي للعمليات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية وغيرها . . في البلد الذي تنتشر فيه المحافل الماسونية .

ولو لم يكن لليهود في هذا البلد عدد كبير من عملائهم لما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً لصالح اليهودية العالمية إلاّ أن الجمعية الماسونية التي يقبض على ناصية قمتها في العالم دهاة من أبحار اليهود وحكمائهم هي التي تخدم أغراضهم خدمة آليّة ، يتحرّك فيها الأفراد دون أن يشعروا إلى أين يسيرون ؟ ولئن يعملون ؟

ولقد يبلغ الدهش عند بعض الباحثين مبلغه العظيم حين يعلمون أن حروباً عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملين على إثارتها ، وإشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافها في العالم] .

ومن المؤسف حقاً أن المحافل الماسونية تغلّغت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، واعتنق مبادئها الهدامة كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام من أهل الفكر والغنى

والجاه ، وأصحاب النفوذ والقوة والسلطان . . ولا ندري ماذا تكشف عنه الأيام المقبلة عن الدور الذي سوف تلعبه الماسونية العالمية على يد عملائها من أصحاب النفوذ والسلطان في الاعتراف بإسرائيل ، وتنفيذ مخططاتها من الفرات إلى النيل ؟ . . .

وإذا كان أمر الاعتراف بإسرائيل ظهرت بوادره الآن على يد بعض حكام عرب علمنا جيداً أن المخطط اليهودي الماسوني هو من وراء هذه الأحداث الخطيرة في حلّ القضية الفلسطينية لصالح إسرائيل ، وفي تنفيذ الهدف الذي تنشده من الفرات إلى النيل ، وأن المتفذين لهذا المخطط هم حكام أجراء عملاء باعوا ضمائرهم للشيطان ، وخانوا اليهود والذم ، وقد برهنوا بتصرفهم الآثم أن لهم ارتباطاً كبيراً بالماسونية العالمية ، أو أنهم مدفوعون من قبلها لتنفيذ المخطط من حيث يعلمون أو لا يعلمون ! ! . . .

وعلى كل الأحوال ارتبطوا أم لم يرتبطوا . . فإن التاريخ سيدمغهم بالخيانة العظمى ، وإن لعنة الله ، والتاريخ ، والأجيال المسلمة . . ستوالى عليهم إلى يوم الدين لما خانوا الله ورسوله والمؤمنين . .

* * *

ولسنا الآن - يا شباب - بصدد الكلام عن تأسيس الماسونية ، وبيان مراتبها ، والكشف عن رموزها وأسرارها وطريقتها . . لأن المجال في هذا البحث لا يتسع ، فمن أراد معرفة ذلك كله فليرجع إلى كتاب « مكائد يهودية » للأستاذ حنّكه ، فإن فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

ولكن الذي نحن بصده هو إزاحة الستار عن مخططات الماسونية اليهودية في الغزو الفكري ، وحرب الأديان ، وانهايار الأخلاق ، وإفساد المجتمعات الإنسانية . .

وإليكم - يا شباب - أهمّ هذه المخططات :

لقد أعلن اليهود في بروتوكولاتهم مخططهم في الغزو الفكري ليفسدوا على الناس عقائدهم وضمائرهم وعقولهم . . بل تبنوا أفكار ومبادئ شخصيات يهودية وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة ، وتحطيم مبادئ الأخلاق الفاضلة . . تحقيقاً لهدفهم ، وتنفيذاً لمخططهم :

* إنهم يعلنون أنهم تبنوا آراء « فرويد » الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان هو الاسترسال وراء الغريزة الجنسية ، والانطلاق في حمأة الشهوات والم لذات .
 * وإنهم تبنوا آراء « كارل ماركس » الذي أفسد على الكثير عقولهم وعقائدهم ، وألغى الأديان ، وهاجم عقيدة الألوهية ، ولما قيل لكارل ماركس : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح ! ! .
 * وتبنوا آراء « نيتشه » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه ولو كان القتل أو الدماء أو التخريب ! ! .
 * وتبنوا آراء « دارون » الذي أعلن عن نظرية التطور والارتقاء في الإنسان إذ تطوّر على مقتضى النظرية من جرثومة للحياة إلى دودة إلى حيوان إلى قرد إلى إنسان^(١) . .

بل لقد وصل الأمر باليهود أن رسموا لإفساد الإنسانية في عقائدها وأخلاقها منهجاً أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ، ودور النشر ، وعن طريق المنظمات الماسونية التي أوجدوها ، وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور . .

يقول اليهود في البروتوكول التاسع :

« وقد تمكنا من تضليل غير اليهود ، وإفسادهم خلقياً ، وحملهم على البلادة عن طريق تعليم المبادئ التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إجحائنا بها » .

ويقولون في البروتوكول الثالث عشر :

« ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهمها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ، وهلمّ جراً . . وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفرنّ ، والرياضة ، وما إليها . . إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعه

(١) هذه النظرية تقضها العلم الحديث وألقاها في سلّة المهملات .. ارجع إلى ما كتبناه عن نقض النظرية علمياً إلى كتابنا « شبهات وردود » تجد فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

معنا لسبب واحد هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلتنا وحدها أمثال الأشخاص الذين لا يستطيع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيبة حين يحين ذلك الوقت .

ومما جاء في هذه البروتوكولات :

« يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ، فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همّه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذٍ تنهار أخلاقه .

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة / ١٩٠٠ / م قولهم : « إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود .

وجاء في مجلة « أكاسيا » الماسونية سنة / ١٩٠٣ / قولهم : « إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة ، ستحلّ الماسونية محلّ الأديان ، وإن محافلها ستقوم مقام المعابد » ، « سوف نتخذ الماسونية غاية من دون الله » ، « يجب خلق جيل لا يستحي من كشف عورته .

ولقد استطاعت الماسونية أن تخدع كثيراً من الشخصيات التي تنتمي إلى الإسلام بيريح شعاراتها الزائفة باسم « الحرية ، والإخاء ، والمساواة » حيناً ، وباسم « الوطنية ، والقومية ، والإنسانية » أحياناً ، بل استطاعت الماسونية أن تطرح مبدأها الهدام الذي يقول : « إن المسلمين ، والنصارى ، واليهود ، والمجوس ، والوثنيين . . إخوة في الوطن والإنسانية لا دين يفرّقهم ، ولا عقيدة سماوية تحول دون إختائهم وتآلفهم . . فبعد أن تخدع الشخصيات الفارغة من الدين بهذا المبدأ تكاشف أعضاؤها بأنه لولا الأنبياء والرسل المضللون لكان الناس أمة واحدة لا يفرّقهم دين ولا مذهب ولا شيخ ولا قسيس !! .

وقد جاهر حاخام إسرائيل في الحفل لوضع الحجر الأساسي للمحفل الماسوني

في « تل أييب » سنة / ١٩٥٩ / م بقوله : [إننا نعمل جميعاً لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض ، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة ، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد ، وبين أي شعب وشعب ، ونتيجة لمجهوداتكم سيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الإسلامي ، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعنتة ، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة . . .]^(١) .

وباعتبار أن الإسلام جاء بعد المسيحية ، وانتشر في كثير من الأمصار والأمم كرّست اليهودية نشاطها لمحاربتة والقضاء عليه بعد أن حاربوا المسيحية وحرّفوا فيها عبر التاريخ وخلال العصور جاء في التلمود ما يلي : [حيث أن المسيح كذاب وحيث إن محمداً اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول]^(٢) .

ومما يؤكد محاربة اليهودية للأديان قولهم في البرتوكول الرابع عشر : [عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا . . . من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد ، وإذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مؤقتاً قد أسفرت عن خلق الملحدين فإن هدفنا لن يتأثر بذلك ، بل يكون ذلك مثلاً للأجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى ، هذا الدين فرض علينا مبدؤه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا] .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن اليهود منذ ظهور الإسلام دأبوا على إفساد شرائع الإسلام ، وتشويه مصادر أحكامه ، فدسّوا كثيراً من البدع المضللة ، والكفر الصراح الواضح ؛ ومنهم من انتحل الإسلام نقاً ورياءً ليفتري على الإسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان ليكيد بها للإسلام ، ويثير الفتنة بين جماهير المسلمين ، وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالإسرائيليات ، وهي كل ما دسّه اليهود على تفسير القرآن الكريم ، وتأويل الحديث الشريف ، لإخراج القرآن والحديث عن المعنى المقصود المراد ، وقصدوا بذلك التضليل والإرجاف والبلبلّة وإثارة الشبهات بتشويه حقائق الإسلام الناصعة . . .

(١) من كتاب « أساليب الغزو الفكري » ص : ١٧٥ .

(٢) من كتاب « دوافئ النفسية اليهودية » ص : ١٢٨ د . محمد الزغبى .

ولكن علماء الإسلام كانوا لهذه الشبهات والتشويبات بالمرصاد ، فكشفوا عن زيفها ، ووضّحوا للعامة بطلانها . . وأصبحت معلومة لدى القاصي والداني لا يجهلها من المسلمين المثقفين الواعين أحد . . والله متمّ نوره ولو كره الدسّاسون المفترون . .

هل عرفتم - يا شباب - بعد عرض هذه المخططات إلى أيّ شيء تهدف اليهودية والماسونية من وراء هذه الأساليب اللثيمة ، والمخططات الماكرة الخبيثة ؟
إنها تهدف : ولا شك - إلى إعادة مجد بني إسرائيل ، وتأسيس دولتهم الكبرى من الفرات إلى النيل . .

وتهدف : إلى صرف الأجيال المسلمة - ولا سيما الشباب - عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد . .

وتهدف : إلى هدم جميع الأديان غير اليهودية ، وهدم المذاهب الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، في الأرض ، ورفع لواء اليهودية وحدها . .

وتهدف : إلى تجزئة أمم الأرض ، وإغراء بعضها ببعض ، وإثارة الحروب فيما بينها ، وإيقاد نيران الفتن بين شعوبها . . لتبقى لهم دائماً السيطرة العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية . . في الأرض . .

وتهدف : إلى اصطناع العملاء في كل بلد عن طريق الجمعيات الماسونية السرية ، ليرّوجوا في البلاد التي يقطنون فيها آراء يهود ، وينفذوا مخططاتهم وأهدافهم . .

هذا هو المكر اليهودي في وقاحته وإجرامه ، وهذه هي مخططاته على حقيقتها . . فكونوا منها - يا شباب - على وعي وحذر حتى لا تلفحكم أفكار يهود ، ومكائد يهود ، ودسائس يهود . . في زعزعة عقائدكم ، وانهباء أخلاقكم ، وضياع مقدساتكم وبلادكم . .

بل أعلنوا للعالم - يا شباب - ماذا يريد يهود من دمار للإنسانية ، ومن فساد للبشرية ، ومن استئصال للإسلام ، ومن كيد للمسلمين . . عسى أن يعي الناس

الحقيقة ، وعسى أن يتوحدوا في حرب يهود ، لتضرب عليهم الذلّة والمسكنة في العالم من جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ، والله لا يضيع أجر العاملين المخلصين .

* * *

أما عن مخططات العملاء في الداخل :

فإنها أدهى وأمرّ ، بل أعظم وأخطر من أي مخطط آخر من مخططات الشيوعية ، والصليبيّة ، واليهودية . . التي سبق ذكرها ، والحديث عنها . . أقول أعظم وأخطر : لأن هؤلاء العملاء هم - على الغالب - من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، والبعض منهم ينتمي إلى إسلامنا ، وأحياناً يتقمصون ثوب الإسلام ، والوطنية ، والعروبة . . ليضللوا أبناء الإسلام بأفكارهم الإلحادية ، ودعواتهم الضالّة الزائفة . .

ووجه الخطورة في عمالة أولئك أن الجماعات الإسلامية المخلصة ، والعلماء ، والدعاة إلى الله . . حين يتصدّون لهم ، ويحدّرون المسلمين منهم ، ويظهرون لشباب الإسلام حقيقتهم . . اتّهموا من قبلهم أنهم أعداء للوطنية والديمقراطية ، وأنهم عملاء للاستعمار والصهيونية ليقبّلوا من شأنهم ، ويشكّكوا في أمرهم ، ويعبدوا الناس من أن يسمعوا لهم ، ويتأثروا بهم . . بل إن كان هؤلاء العملاء نفوذ وقوة لفقوا لهم التهم الكاذبة ليأخذوهم بالعقاب ، ويسوموهم أشدّ العذاب ، وسخّروا وسائل إعلامهم لينسبوا إليهم كل باطل من القول وزور ، ويبرّروا لإجرامهم معهم ، وتأمّروهم عليهم . . وكذلك يفعلون .

والله يعلم أنهم برآء من كل ما نسب إليهم ، وما لفّقوه عليهم ، وعند الله لا تخفى خافية . . في يوم تُبلى فيه السرائر ، فما لهم من قوة ولا ناصر . .

ولكن على الشباب أن يعرفوا من هم هؤلاء العملاء ؟

أقصد بالعمالة : ارتباط فئة من أبناء الوطن في كل بلد إسلامي بالشيوعية الملحدة ، أو الصليبيّة الحاقدة ، أو اليهودية الماكرة ، أو المذاهب الاستعمارية المضلّة ... وهذه الفئات منتشرة في العالم الإسلامي هنا وهناك ، وكل فئة تقوم

بدورها في بثّ مبادئ الكفر والضلال والإلحاد . . على أرض الإسلام . .
ليخرجوا جيل الإسلام من الإسلام ويُدخلوه في أتون الحزبية الكافرة الضالة . .
حتى إذا كثرت قواعدها في الشعب ، وفي الجيش انقضّوا على الحكم ، لينفذوا
كل ما يمليه عليهم أسيادهم من مبادئ ومخططات . . وهذا هو الهدف الأكبر
الذي تسعى إليه ، وتناضل من أجله .

ولا شك أن لكل فئة من هذه الفئات العميلة الخائنة عناصرها التي تعمل ،
وأساليبها التي تتنوّع ، ومبادئها التي تتغلغل ، ومنظمتها التي تتجدّد ، وإمداداتها
المادية الخارجية التي تستمر ، وتنفيذها لأوامر الأسياد التي تصدر ! ! . .

وينبغي أن لا يغرب عن البال أن فئة الماسونية اليهودية التي تعمل في بلاد
الإسلام هي من أشدّ الفئات خطراً ، ومن أمكرها أسلوباً ، ومن أدهاها تخطيطاً ،
ومن أفتكها تدميراً . . ذلك لأنها تدخل على قلوب من يعتنقها بحلاوة اللسان ،
وبريق المبادئ ، وإغراء الجاه ، ومطمع الغنى ، وأمنية المنصب . . حتى إذا
دخلوا فيها ، وترقّوا في درجاتها ، ووصلوا إلى ذروتها . . نفذوا من مخططات
يهود ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . . وعلى أيديهم تحقق اليهودية أهدافها في
الامتداد السياسي الكبير من الفرات إلى النيل . . لما سهّلوا لهم من علوّ جاه ،
وضخامة منصب . . وكذلك يفعلون .

وهذه الفئات العميلة على اختلاف أنواعها من الأذئاب والعييد سواء أكانت
ماسونية يهودية أو شيعية أو صليبيّة أو استعمارية . . متضافرة متعاونة في سرقة
عقيدة الإيمان ، وهدم شريعة الإسلام ، والحط من قيم الفضائل والخلق في أبناء
المسلمين ، حتى لا يبقى عند الولد شيء اسمه إسلام ، أو فضيلة اسمها خلق . .
وهذا لا يتأتّى عند هذه الفئات العميلة الخائنة إلا أن يمرّ الولد على مراحل
التشكيك ، وزعزعة العقيدة ، وغسل المخّ . . فعند نهاية المطاف ينبذ الولد كل
شيء مقدس جاءت به الأديان والشرائع ، بل يصبح الولد بعد أن يصطبغ
بالإلحاد ، أو يتدنّس بالإباحية حرباً على إسلامه وتاريخه وأجداده . .

وهؤلاء العملاء - يا شباب - الذين باعوا أنفسهم للشيطان متمركزون في
الوزارات ، وفي وسائل الإعلام ، في أجهزة التعليم ، في النقابات ، في المؤسسات ،
في كل مكان .

ووسائلهم - يا شباب - في بث الفساد والتضليل والإلحاد . . كثيرة متنوعة : في الصحف تارة ، في البثّ الإذاعي أخرى ، في التمثيليات التلفزيونية حيناً ، وفي المسرحيات الشعبية أحياناً ، وفي الندوات والمراكز الثقافية مرة ، وفي افتتاح المنظمات المتعدّدة مرّات . .

عدا عن الدسّ المرکز الكافر الدائم في المناهج والكتب ، وأجهزة التعليم والجامعات . .

عدا عن اللقاءات الخاصة في أوكار التآمر والفساد

ولا يخفى عليكم - يا شباب - أن هؤلاء العملاء يختارون من طبقة ذكيّة ماهرة عندها من أسلوب المنطق والإغراء والتضليل . . ما يستطيعون التأثير به على عقيدة الولد ، وأخلاق البلد ! ! . .

وإليكم أهم أساليبهم :

فمن أساليبهم : تمنية الولد عند التخرّج بالوظيفة والجاه والمنصب . . إذا قبل الولد أفكارهم ، وانتمى إلى إحدى منظماتهم ! ! . .

ومن أساليبهم : ترغيب من يتوجه على أيديهم بالحضارة الغربية ، أو المبادئ الشرقية . . وقولهم : إن أصحاب هذه الحضارات والمبادئ ما وصلوا إلى قمة المجد والقوة . . إلا بعد أن طرحوا الدين جانباً ! ! . .

ومن أساليبهم : تشكيك من يوجهونهم في الاعتقاد الإلهي كقولهم : إذا كان الله هو الخالق فمن خلقه ؟ أو إذا كان الله لا نراه فهو إذن غير موجود ، أو أن هذا الكون أوجدته الطبيعة ، أو أن هذا الكون وجد مصادفة . . إلى غير ذلك من التشكيكات الباطلة التي يثيرونها ، ويركّزون عليها ! ! . .

ومن أساليبهم : تشكيك شباب الإسلام في النظام الإسلامي ، كقولهم : إن مبادئ الإسلام قد انتهى دور العمل بها ، واستنفدت في وقت ما أغراضها ، فلم تعد - في زعمهم الباطل - صالحة لعصر الذرّة والكهرباء والعلم ! ! . .

ومن أساليبهم : إقناع الولد بأن الإسلام فرض على المرأة الحجاب ، وأمرها بالعودة في البيت ، وجعلها مستعبدة للرجل . . ولا يمكن للمرأة أن تصل إلى

حقوقها كاملة ، وأن تستشعر كرامتها الإنسانية . . إلا أن تتحرر من قيود الدين والأخلاق والأعراف !! .

ومن أساليبهم : توجيه المراهقين والشباب إلى الاسترسال في الشهوة العارمة ، والانطلاق وراء اللذة والجنس . . بحجة أن الاستجابة لدواعي الغريزة هو تخليص الجسم من آثار الكبت الجنسي ، والانطواء الغريزي !! . .

ومن أساليبهم : طرح الشعارات المزيّفة ، فحينًا تكون المناداة باسم الوطنية ، وأحيانًا تكون المناداة باسم القومية ، وتارة تكون باسم التقدمية ، وأخرى تكون باسم المبادئ الاشتراكية . . عدا عن مناداتهم المتكررة بتحرير العامل ، وتحرير الفلاح ، وتحرير المرأة . .

إلى غير ذلك من هذه الشعارات البرّاقة الخادعة التي ظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبيل العذاب ، والتي تستهدف تحويل الجيل المسلم نحو الفساد والإلحاد ، والانسلاخ من الإسلام !! .

هذا غيض من فيض . . من أساليب العملاء المتلوية ، وإغراءاتهم الخبيثة ، وتشكيكاتهم الباطلة ، وتضليلاتهم العفنة . . في محاربة الإسلام ، وهدم العقيدة الربّانية في نفس الجيل المسلم . .

أعرفتم - يا شباب - ماذا يريدون من وراء ذلك ؟

إنهم - ولا شك - يريدون أن يربطوا مصير الأجيال المؤمنة ، والمجتمعات الحاضرة . . بعجلات أسيادهم من أصحاب العقائد الكافرة ، والمذاهب الضالة ، والمنظمات الماسونية الهدّامة . . حتى لا يبقى عند الشاب المسلم ، والفتاة المسلمة شيء اسمه دين ، أو عيب ، أو حياء ، أو حرام !! . .

وأحيانًا يظهر هؤلاء العملاء بمظهر الوطنية ، والتصدي والصمود لتحرير الأرض المقدسة . . وكثير من الناس يعرفون ماضيهم الخياني ، ومواقفهم الخنزيرية في تسليم المواقع الاستراتيجية لليهود ، وضرب العمل الفدائي . . وأحيانًا تكون الخيانة سافرة ، وذلك في عقد مصالحة مع إسرائيل ، والمعاشة السلمية مع اليهود . . لمصلحة قومية يدعونها ، ودعوة إلى السلام يتبجحون بها !! . .

ولكن الناس اليوم أصبحوا يدركون بوعي دجلهم الادّعاءى ، وتهربهم الخطاي . . مهما ادعوا الوطنيّة ، والمصلحة القوميّة ، وتبجّحوا بالعمل الدائب من أجل التحرير ! ! . .

ومن الأمور التي يجب أن تعرفوها جيّدًا - يا شباب - أن العملاء حين يصلون إلى الحكم ، ويتسلّمون دقّة السياسة ينفذون من المخططات التي تملى عليهم من أسيادهم أكثر من المطلوب منهم . . إرضاءً لهم ، وتقربًا إليهم ، وإخلاصًا لمبادئهم ! ! .

فهذا « أتاتورك » العميل الماسوني اليهودي الصليبي نفذ من المخططات أكثر مما أمّلته عليه الصليبيّة واليهودية . . فالتفق عليه في معاهدة « لوزان » إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وجعل الدستور علمانيًا بحجّ . . فالذي فعله « أتاتورك » بعد هذا الاتفاق أنه نفذ كل هذا ، وزاد تقربًا وولاءً في إرضاء أسياده أن ألغى المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدل بالحروف العربيّة الحروف اللاتينية . . وانتهى ذلك كله عام ك / ١٩٢٨ / م .

وقد بارك الحلفاء والماسون جهود أتاتورك في محاربة الإسلام ، وقطع صلة الأجيال المسلمة عن تاريخها وأمجادها وعقيدتها الربانية ، بل شكروا هذا الولاء الخالص ، والتبديل الشامل . . فقد وصلوا في تنفيذ مخططاتهم أكثر مما يصلون إليه لو أنهم قاموا بالتنفيذ وحدهم دون الاستعانة بعملائهم ! ! . .

والحقّ أقول يا شباب :

إذا تمكّن هؤلاء الأوغاد العملاء أن يعملوا عملهم في بلاد الإسلام ، وفسح لهم المجال في أن يكيدوا كيدهم ، ويجمعوا أمرهم ، وينفثوا كفرهم وسمومهم . . دونما مقاومة ، ولا استشعار بمسؤولية ، ولا اهتمام بتوعية ومجاهدة . . فإن المجتمعات الإسلامية تسير - لا قدر الله - نحو الادينية والفساد . . وسترتبط كلها بشكل سافر أو مقنع بعجلات الشرق أو الغرب ، أو إن شئتم فقولوا : بالنظام الشيوعي أو الرأسمالي . . ولا يخفى عليكم - يا شباب - أن بعض هذه المجتمعات الإسلامية قد ارتبطت فعلاً بعجلة الشيوعية أو الاشتراكية أو الرأسمالية . . فإذا

سرى هذا على كل المجتمعات الإسلامية دونما مقاومة من الشعوب ، أو تصدُّ من شباب الإسلام . . فإننا نكون قد أصبنا بخزي الأبد ، ومنيت أمة الإسلام في المشارق والمغرب بالذلة والصغار والعبودية في عصر الانتكاس والضلال . . بل نكون من الذين استحقوا لعنة الله ، ولعنة التاريخ . . بما فرطنا وقصرنا وتواكلنا وأخذنا إلى الأرض ، والله سبحانه لا يهدي القوم الفاسقين ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ؟ ! ! .

* * *

وبعد فيا شباب الإسلام :

هذا الذي ذكرناه هو بعض هذه المخططات التي اتخذته الشيوعية والصلبيّة واليهوديّة والعمالة في أوكار تأمرها ، وحظيرة فسادها . . ولكن ما تخفيه صدورهم أكبر ، وما يُبيتونه من كيد للإسلام أضخم وأعظم ! ! .

ولا شك أن هذه القوى جميعًا متضافرة متعاونة متوحّدة في حرب الإسلام ، واستئصال العقيدة الربانية من صدور المسلمين ! ! . .

ومما يدلّ على هذا أن « راندولف تشرشل » قال عام ١٩٦٧م بعد سقوط القدس بيد اليهود : [لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم اليهود والمسيحيين على السواء ، إن سرور المسيحيين لا يقلّ عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمّها إلى القدس اليهوديّة ، ولن تعود إلى المسلمين في أيّة مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود ! !] .

فكل قوى التآمر إذن يد واحدة في وسائل التدمير والإبادة لمقدسات المسلمين ، بل مخططاتهم في التشكيك والتضليل مستمرة لإخراج الجيل المسلم من الإسلام ! ! . .

ولكن ما هو الحلّ الإيجابي في مناهضة هذا كلّه ؟

الإسلام يتطلّب منكم - يا شباب - أن تعمّقوا في نفوسكم حصانتين أساسيتين لتكونا لكم الدرع الواقي ، والمناعة القوية من كل غزو فكريّ ، وتشكيك استشراقيّ ، ودعوة إلحادية :

الأولى - حصانة التوعية الثقافية^(١) : وذلك بالاطلاع الكامل على كل الردود التي ردّ فيها علماء المسلمين على ما أثاره دعاة الغزو الفكري من شبهات حول أنظمة الإسلام ، وتاريخ الإسلام ، ونبي الإسلام . . وبالدراسة الشاملة في أن شريعة الإسلام جمعت بين طيبتها خصائص الربانية ، والعالمية ، والشمول ، والتجدد . . وحملت في مبادئها مقومات الحضارة والنهوض والتقدم والعطاء . . فهذه التوعية تستطيعون - يا شباب - أن تردّوا على الجهل بالعلم ، وعلى الشك باليقين ، وعلى الشبهة بالحجّة . .

الثانية - حصانة العقيدة الإيمانية : وذلك بالقناعة التامة ، والاعتقاد الكامل على أن هذا الإسلام العظيم هو الدين الحق الخالد الذي أنزله الله على قلب نبيه محمد ﷺ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنه الدين الوحيد الشامل الذي له ملكة المضم لأطوار الحياة المختلفة^(٢) ، وأنه البلمس الشافي لعلل الإنسانية وأمراضها في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وأن مُنزَل هذا الدين هو ممن اختص بالكمال المطلق ، وتنزّه عن العجز والقصور ، وتأنف بالخلق والقدرة والعلم والحكمة . . وأنه ما أنزل هذا الدين إلا ليحقق لعباده مصالحهم الدنيوية والدينيوية ، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التي في أعناقهم . . فهذه القناعة وهذا الاعتقاد تستطيعون - يا شباب - أن ترفضوا بتصميم

(١) أنصح الشباب أن يقرؤوا الكتب التالية لتعميق التوعية الثقافية في نفوسهم : كتاب « شبهات حول الإسلام » للأستاذ محمد قطب ، « شبهات وردود » للمؤلف ، « أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي » للأستاذين : جريشه والزيق ، « الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي » للدكتور البهي ، « الإسلام يتحدّى » للأستاذ وحيد الدين خان ، « حصوننا مهدّدة من داخلها » للأستاذ محمد محمد حسين ، « التبشير والاستشراق » للأستاذ محمد عزت ، « الغارة على العالم الإسلامي » لحب الدين الخطيب ، « التبشير والاستعمار » للأستاذ فزوخ . . ، « حقيقة الشيوعية » للأستاذ العقاد ، « الإسلام والشيوعية » للأستاذين : العقاد والقطر ، « حوار مع الشيوعيين في أقيّة السجون » للأستاذ الخفاجي ، « الخطر اليهودي على العالم الإسلامي » لماجد كيلاني ، « مكائد يهودية » للأستاذ حينكة ، « الماسونية في العراق » للدكتور الزغبى ، « الجمعية الماسونية » للدكتور غلوش ...

(٢) أنصح الشباب أن يقرؤوا كتاب « حتى يعلم الشباب » ، وكتاب « الإسلام شريعة الزمان والمكان » للمؤلف ، وكتاب « التصور الإسلامي » للشهيد سيد قطب ، وكتاب « السلام العالمي والإسلام » لسيد رحمه الله ، وكتاب « الإسلام والحضارة الغربية » للدكتور محمد محمد حسين .

وإصرار كل نظام قننه بنو البشر ، وتردوا كل شبهة يثيرها أعداء الشريعة ، وتهزؤوا بكل دعاية يدعو إليها دعاة الغزو الفكري في بلاد الإسلام . .

ولكن هل يكفي أن يكون عند الشباب الحصانة الثقافية ، والحصانة الإيمانية في عصمة نفوسهم من الانزلاق في مهاوي الغزو الفكري ، ومن الانحدار في حماة التشكيك والإلحاد . . أم عليهم أن ينضموا إلى زمرة الدعاة والعلماء والمنظمات الإسلامية . . للحد من تأمر التبشير والاستعمار ، والإطاحة بأوكر المفسدين في ديار الإسلام ؟ ! ! .

نعم لا يكفي للشباب أبداً أن يعيشوا في عزلة عن المجتمع ، ولا أن يكونوا في منأى عن قضايا الإسلام . . ولا يكفيهم أبداً أن يقولوا : نحن وإحمد الله في خير ، وقد تحصنا بالإيمان والإسلام والثقافة وكفى ، بل عليهم أن يدركوا دورهم العظيم في نشر رسالة الإسلام ، والتصدي القوي لمؤامرات الأعداء ، والعمل الدائب لإقامة حكم الله في الأرض . .

فبناءً على هذا الفهم والإدراك والوعي . . عليهم أن ينضموا تحت لواء قيادة إسلامية ، ينسّقون معها مراحل العمل في تبليغ الدعوة الإسلامية في صفوف الشيب والشباب ، والرجال والنساء . . وفي التحذير الشامل من كل ما يحيكه أعداء الإسلام على الإسلام من مؤامرات ومخططات ، وفي التوعية المتفتحة في إقناع أبناء الأمة في الانخراط في زمرة الجماعات الإسلامية المخلصة لتكثير القاعدة الإيمانية الصلبة في بلاد الإسلام في كل مكان .

نعم - يا شباب - إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وما دام أعداء الإسلام يسرحون ويرتمون لتنفيذ مخططاتهم في بلاد الإسلام ، وما دامت أحكام الله معطلة ، والوحدة الإسلامية غير موجودة ، والجهاد الإسلامي لا يأخذ أبعاده ومراحلته في التكوين والإعداد . .

وجب على شباب الإسلام ، ورجالات الدعوة إلى الله أن يتوحدوا فيما بينهم لإقامة القاعدة الإسلامية الصلبة التي تواجه الأحداث والمؤامرات في بلاد الإسلام بجزية ساعد ، وإشراقه إيمان ، وروح صبر ومصابرة . .

فعلى يد هذه القاعدة الصلبة المنتشرة في مجتمعات المسلمين هنا وهناك يتحقق

النصر على الأعداء ، وتقوم في المسلمين دولة الإسلام ، وتعود لهذه الأمة أصلاتها وريادتها في العزة والكرامة والقوة والكيان السياسي الكبير . .

وربما يظن البعض - يا شباب - أن المشاركة في العمل لإيجاد الكيان السياسي الكبير في أمة الإسلام هو من قبيل فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ! ! . .

هذا صحيح إذا كان هذا الفرض الكفائي يكفي لإقامة هذا الكيان . . وإذا كان لا يكفي فإقامة الكيان السياسي فرض عين على كل مسلم إلى أن تتم الكفاية من المسلمين على تنفيذه وإظهار وجوده في عالم الواقع ! ! . .

ولا يكفي - يا شباب - وجود القاعدة الإسلامية الصلبة في المسلمين للوصول إلى الهدف المنشود ، بل لا بدّ من الطاعة والنظام والانضباط . . ولا بدّ من وضع خطة مرحليّة والقيام على تنفيذها . . ولا بدّ من إعداد أجهزة شاملة . . ولا بدّ من صبر ومصابرة وتضحية . . ولا بدّ أخيراً من الانضواء الصادق المخلص تحت إمرة القيادة المؤمنة . . ليتحقق بإذن الله الهدف الأكبر في إيجاد الكيان الإسلامي ، وتكوين المجد السياسي العظيم لجميع المسلمين ! ! . .

﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾
(الروم : ٤ - ٥) .

وأخيراً - يا شباب - أذكركم بخمس صفات أساسية ، وضع أصولها الإمام البنا رحمه الله ، إذا تحليتم بها ، وسرتم على منوالها حقق الله سبحانه على أيديكم النصر المؤزر والفتح المبين . .

بالإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع ولا يلين . .
بالإخلاص الصادق الذي لا يعرف المصانعة والمراعاة . .

بالعزيمة المتينة التي لا تعرف الخوف ولا الوجل . .

بالعمل الدائب الذي لا يعرف الخور ولا الكلل . .

بالتضحية الغالية التي لا تعرف سوى النصر أو الشهادة . .

وفي الحقيقة - يا شباب - أن هذه الصفات الخمس هي من خصائص الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومن مزايا الشباب الذين لا يخافون في الله لومة لائم . .

لأن أساس الإيمان - كما يقول الإمام البنا - القلب الزكيّ ، وأساس الإخلاص
الفؤاد النقيّ ، وأساس العزيمة الشعور القويّ ، وأساس العمل الإرادة الفتية ،
وأساس التضحية العقيدة الراسخة . .

وهذه الصفات - يا شباب - ما اجتمعت في مسلم إلا كان جندياً من جنود
الإسلام ، وداعية من دعاة الحق ، وسيفاً مصلاً على رقاب أعداء الله . .
فاللّ إذن - يا شباب - في مواجهة مؤامرات الأعداء :

هو تحصين نفوسكم بالتوعية الثقافية الشاملة ، وبالعقيدة الإيمانية الراسخة ،
وبالانضمام إلى القيادة الإسلامية المخلصة ، وفي تكثير القواعد المؤمنة من الشيب
والشباب ، والرجال والنساء في جميع بلاد الإسلام . .

عندئذ تكونون قد نهضتم بمسؤولياتكم ، وأديتم مجاهدين مخلصين رسالتكم ،
وقضيتم على أوكار الفساد والتآمر في أمتكم ، ووصلتم إلى إقامة الكيان السياسي
الكبير في مجتمعاتكم . . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الفصل الثالث

تحديات الانحلال الأخلاقي

الشباب المسلم تواجههم في هذا العصر الذي استفحل فجوره ، واستشرى مجونه .. تحديات وتحديات من الانحلال الأخلاقي ، والفساد الاجتماعي .. لا يملك الإنسان العادي المتسبب إزاءها إلا أن يتفقت من ربة المثل العليا ، ويتحرر من محاسن الأخلاق الفاضلة ، ويتملص من العادات الإسلامية الأصيلة .. لينطلق بعد ذلك في حماة الملذات والشهوات دونما رادع من دين ، ولا زاجر من ضمير ، وفي ذلك هدر لكرامته ، وتميع لشخصيته ، وتحطيم لكيانه ووجوده ..

نعم قد يتأرجح الشاب المسلم أمام هذه التحديات من الفساد والانحلال بين أن يحجم عن مفاتن الحياة ، وتحديات المجون ، وبين أن ينزلق في مهاوي الفتنة ، ويستجيب لدواعي النفس الأمارة !! . فإن كان الشاب متحصناً بحصن العقيدة الربانية ، وملتزماً بمبادئ الإسلام ، ومرتبطاً بجماعة المسلمين .. فعلى الغالب يكون في الحياة مستعفاً صالحاً متوازناً مستقيماً .. لا تستهويه فتنة ، ولا يجذبه إغراء ، ولا يترغ لإفساده شيطان ..

وإن كان متفلتاً من زمام العقيدة ، ومتهاوناً في تطبيق الشريعة ، ومتسبياً من جماعة المسلمين .. فعلى الغالب ينزلق في مهاوي الفساد ، ويتعثر في أحوال الانحلال ، ويسناق وراء الميوعة ..

وأحياناً يعترى الشاب المسلم الملتزم ضعف بشري ، ونزغ شيطاني .. فتزل قدم بعد ثبوتها ، وتميل نفس مع هواها .. ولكن سرعان ما يتذكر فإذا هو مبصر ، ويتوب فإذا هو مؤمن ..

إذن على الشباب الإسلامي اليوم أن يدركوا أنواع هذه التحديات من الانحلال التي تغزوهم في عقر دارهم ، والتي يرون ظواهرها أمام أعينهم ، والتي تحتاج أمتهم وبلادهم .. ليعلموا علماً أكيداً ماذا يدور حولهم ؟ وماذا يُراد لهم ، وإلى أين تسير أمتهم ؟ .

والتحدّيات الانحلالية التي تواجه جيل الإسلام اليوم كثيرة ومتنوعة : منها ما هو عرقي ، ومنها ما هو نفسي ، ومنها ما هو أجنبي ، ومنها ما هو إعلامي ، ومنها ما هو قانوني ..

وسوف نتحدث إن شاء الله عن كل وجه من وجوه هذه التحديّات بشيء من التفصيل ، ليوّجهها شباب الإسلام اليوم بقوة إيمان والتزام إسلام ، وروح مجابهة ، وعزم استئصال .. والله المستعان وعليه التكلان .

أما ما هو عرقي :

فيرتبط بالمغلاة في المهور ، والمبالغة في حفلات العقد والزفاف .. فهما في الحقيقة العقبتان الكؤودتان اللتان تقفان في ترويج سوق الزواج .. وهما الشبحان الخيفان اللذان يتحدّيان الشباب من أن يدخلوا عتبة الزواج غضاً لأبصارهم ، وإحصائاً لفروجهم ..

[فالأب الذي عنده فتاة جميلة ، أو توظفت في وظيفة ، أو نالت حظاً من شهادة ..

فحين يتقدم خاطب ليخطب ابنته ، فإن رضي أن يكلمه كلمه بلهجة المستعلي المستكبر ، وإن وافق على زواجه طلب من المهر والتكاليف الباهظة ما يثقل كاهل الخاطب ، وينوء عن حمله ، فضلاً عن أن يقوم بدفعه وتقديمه !! .

وقلّما يتحقق مع هؤلاء النمط من الأولياء تفاهم ، أو يتمّ مع هؤلاء النماذج من الآباء زواج .. اللهم إلا إذا تنازل الخاطب عن شخصيته ، وحمل نفسه فوق طاقته ، وأثقل نفسه بديونه .. فعندئذٍ يخضع لكل أمر ، ويستجيب لكل مطلب !! ..] .

من أين أتى الناس بهذه المغلاة في المهور ، والمبالغة في تكاليف العقد والزفاف ؟ تقديري أنهم خضعوا لعادات وأعراف ما أنزل الله بها من سلطان ، واستهواهم بريق المادّة الخداع .. فلا يزوجون إلا من يدفع لهم مهراً أغلى ، وتكاليف أكثر !! ..

وفي نظري أنهم لا يحسون حساباً لهذا الواقع الذي يعيشون فيه ، ولا يقدرّون

التائج الخلقية ، والمفاسد الاجتماعية التي تنجم عن كساد سوق الزواج !! .. هؤلاء قوم لم يأخذوا بمنهج الرسول ﷺ الذي رسمه لأمته : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه » ، وإنما أخذوا بأعراف الجاهلية ، ونظرات أهل الجاه والدنيا دونما رادع من دين ، ورقابة من ضمير .

أين هذه المغالاة في المهور ، والمبالغة في تكاليف الزواج من تعاليم الرسول ﷺ في تيسير أسباب الزواج ، والتساهل بالمهور والتكاليف ؟ .. ألم يقل عليه السلاة والسلام للرجل الذي سأله أن يزوجه : « اتمس ولو خاتماً من حديد »؟^(١) .

ألم يكن من توجيهاته ﷺ : « إن من خير النساء أيسرهن صدأقاً »^(٢) ، و« أعظم النساء بركة أيسرهن صدأقاً »^(٣) ، « يمن المرأة تسهيل أمرها في صداقها ؟ »^(٤) ، فلماذا لم يأخذ الأولياء بهذه الوصايا والتوجيهات ؟ ولماذا لم يطبقوا تعاليم الإسلام في التساهل بالمهور والتكاليف .. لتروج في المجتمع سوق الزواج ؟ .

أما عن مواقف السلف في تزويج بناتهم فهي مواقف خالدة تستأهل الاتباع والقدوة :

- فهذا سعيد بن المسيّب رضي الله عنه زوّج ابنته ذات الجمال والدين والعلم .. تلميذه الفقير عبد الله بن أبي وداعة على مهر قدره ثلاثة دراهم لكونه كفوّاً لها في الدين والأخلاق والعلم ، بينما تقدّم لخطبتها الخليفة عبد الملك بن مروان لولي عهده الوليد فلم يزوّجها إياه مع وفرة الجاه والغنى .. وتحمل في سبيل ذلك المصائب والشدائد وأساليب التهديد !! ..

- وهذا الإمام السمرقندي الفقيه الحنفي صاحب كتاب « تحفة الفقهاء » شرح تلميذه « علاء الدين الكاساني » تحفته ، فزوّجه الإمام ابنته على صداق يسير دراهم معدودات !! ..

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه أحمد والبيهقي .

(٤) رواه الألويسي في تفسيره عن عائشة .

- ولما ترجم ابن الدبّاغ في « معالم الإيمان » العالم الفقيه الشيخ أبي بكر بن محمد بن اللباد نقل عنه هذا الموقف : حضر أبو بكر بن اللباد حفل عقد كان المهر فيه كبيراً وعجيباً ، فلما انصرف الناس يهتّون صاحب العقد ، قال أبو بكر وهو منصرف للرجل :

لا أخلف الله عليك بخير !! .

فقد أكدت جارك (أي أجزته) .

وأعضلت ابنته (أي سببت كسادها) .

وخالفت سنة رسول الله ﷺ !! ..

فالحلّ العملي الإيجابي في حلّ مشكلة المغالاة بالمهور ، والإسراف بالتكاليف إذن هو أن يقدر الآباء والأولياء مصلحة المجتمع من الفساد ، ومصلحة الشباب من الانحلال ، ومصلحة البنات من السقوط .. وأن يأخذوا بتعاليم النبي ﷺ ، وينهجوا نهج السلف الصالح في التساهل بالمهور والتكاليف ، واختيار الخاطب المؤمن ، والزوج الصالح تنفيذاً لأمر نبيهم عليه الصلاة والسلام القائل : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » رواه الترمذي .

فإن فعل الآباء والأولياء ذلك وجد الشباب الطريق إلى الزواج مذلاً سهلاً ، وتحرروا من شبح المغالاة بالمهور ، والمبالغة في التكاليف ، ووجهوا التحدي الذي يجابههم بروج سوق الزواج ، واستئصال شأفة الفساد والانحلال في المجتمع المسلم ، والتخلص من داء العزوبة المدمر الفتاك .. فعندئذ تعود للمجتمع الإسلامي أصالته في تحقيق أمنه واستقراره ، وفي استئصال فجوره ومجونه .. بل يدخل الشباب عتبة الزواج آمنين مطمئنين بلا عقبات تعترض طريقهم ، وبلا تحديات تواجههم ، وبلا مشكلات تحول دون أمانيتهم .. وهذا - والله - هو الخير كل الخير ، بل السعادة كل السعادة للشباب والشابات ، وسائر أبناء المجتمع على حدّ سواء ..

والله سبحانه دائماً مع الشباب المخلصين المتقين ، فهو وحده الذي يتولاهم ، ويصلح شأنهم ، ويجعل لهم من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً .. لأنه

القائل في محكم تنزيله : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ .

وأما ما هو نفسي :

فهو أدهى وأمر من كل ما يواجه الشباب من تحديات في الانحلال ، ومن ظواهر في الميوعة .. ذلك لأن الشباب بشر ، وجنس البشر - حين يعترهم الضعف الإيماني - عرضة للذنوب والأخطاء ، والانحرافات النفسية والخلقية .. ولا سيما حين يتسلط على الشباب شياطين الإنس والجن ، ويُتبعون أنفسهم هواها ، ويستجيبون طائعين لنزغات النفس الأمارة ..

والأنكى والأشد من ذلك حين يتلقت الشباب حولهم ويرون ظواهر الفساد والفحشاء محيطة بهم ، وأسبابها مهياة لهم ، وسبلها ميسرة لديهم .. فمن الصعوبة بمكان - وهم على هذا الحال - أن يتأسكوا على الأخلاق ، وأن يتحصنوا بدرع الفضيلة ، وأن يسيروا مطمئنين في طريق الاستعفاف والتسامي !! ..

ومن الصعوبة أيضاً أن يفكر الشباب بالعصمة والعفاف وها هي ذي أبواق إبليس تناديهم من كل مكان : هلموا إلى إشباع الوطر .. إلى إرواء الغرائز .. إلى سوق المللذات .. فإن أوكار المجون ميسرة ، وأعشاش الفساد مهياة ، وحظائر الدعارة منتشرة .. فأنتم الآن في مقتبل العمر ، وربعان الشباب .. فاعبثوا كما يعبث الشباب ، وتقلّبوا في حمأة الفاحشة كما يتقلّب الشباب .. وهكذا يسوّل لهم جنود إبليس طريق الفتنة ، وتزيّن لهم نفوسهم الأمارة اقتراف الفاحشة .. فينساقون بغير تبصّر ولا عقل .. إلى سوق المللذات ، وحياة المجون والخلاعة .. فلا يُحجمون عنها إلا بعد أن يصابوا بأمراض جسيمة في أبدانهم وعقولهم ونفسياتهم .. وهكذا يفعلون بأنفسهم كما يفعل الأعداء بأعدائهم !! ..

ولو عرف الشباب في أول أمرهم أن هذا الطريق الذي ساروا فيه يعرضهم إلى آفات نفسية ، وإلى أمراض جسمية وعصيبة .. لأمسكوا عن الفساد ، وأحجموا عن الميوعة .. ولدخلوا عتبة الزواج راغبين مطمئنين حفاظاً على أخلاقهم ، وسلامة لأبدانهم ، واستقراراً وأمنًا لمجتمعاتهم .. ولكن أتى لهم هذا ،

وقد فضلوا حياة العزوبة على حياة الزواج ، وترنّحوا على أبواب المآخيز ، وتقلّبوا في أحضان المومسات ، وطرحوا وراءهم كل ما يتطلّبه إنسان شريف من مثل أعلى ، وكل ما ينشده شاب طاهر من خليق رفيع !!؟ ..

وأحياناً يبرّرون لعدم زواجهم بحجج واهية ما أنزل الله بها من سلطان ، بل هي من وحي الهوى والنفس والشيطان ، كأن يقولوا : لماذا نتزوج والزواج مسؤولية وأعباء ؟ ولماذا نكوّن أسرة ، والأسرة هم بالليل ، ونصّب في النهار ؟ ولماذا نعكّر صفو أيامنا ، ولذّة حياتنا بالإحجام عن أشواق النفس ، ومفاتن الحياة ؟ .

فحذار - يا شباب - من قرناء السوء الذين يزيّنون لكم المنكر ..
وحذار من نزغات الشيطان التي تسهّل لكم سبيل الغواية ..
وحذار من وساوس النفس الأمّارة التي تحبّب لكم أشواق الفتنة ..
وحذار من الاسترسال في الهوى المتبع الذي يدفع بكم إلى اقتراف الفاحشة ..
وأخيراً حذار حذار .. من رؤية أفلام الجنس والدعارة والمثيرات الجنسيّة ..
فإنها تسوقكم إلى التقلّب في حمأة اللذّة والشهوة والرذيلة ..

بل أقولها لكم صريحة مدّوية يا شباب : حذار .. حذار .. من كل ما يخدّر الغيرة ، ويلوّث الشرف ، ويثير الغريزة ، ويقتل الكرامة ، ويقبر المروعة ، ويوهن الجسم ، ويضعف الذاكرة ، ويفقد الشخصية ، ويوقف على أبواب الفاحشة ..

وإن الحلّ العملي الإيجابي للتحرّر من هذا كله - يا شباب - أن تعمّقوا العقيدة الربانية في نفوسكم ، وأن تملؤوا فراغكم بما ينفع حياتكم ، وأن تصاحبوا أهل التقى والإيمان في أوقات فراغكم ونزهاتكم ، وأن ترتبطوا بالجماعة المسلمة التي تسعى دائماً إلى تربيّتكم وتكوينكم .. فهذا كله تكونون أناساً صالحين ، وعباداً أتقياء مستقيمين ، بل تعطون لغيركم قدوة ، وحين تسيرون في الناس يُشار إليكم بالبنان .

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون .

وأما ما هو أجنبيّ :

فدخل فيه كل المخططات الأجنبية التي رسمها أعداء الإنسانية والإسلام .. في إفساد المجتمعات الإسلامية لتدرّجها في حياة الترهّل والمجون ، وفي متهاتات الفساد والإباحية ..

وإليكم - يا شباب - بعض الخطوط العريضة لهذه المخططات :

فمن مخططات اليهودية والماسونية :

- يقول اليهود في برتوكولاتهم : [يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ، فنسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همّه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذٍ تنهار أخلاقه] .

- ومن أقوالهم أيضاً : [يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأبّي يوم مدّت إلينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدّد جيش المنتصرين للدين !!] .

- واليهود هم الذين تبّنوا آراء « نيتشه » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح للإنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه ..

- ومما قاله « فرويد » التماسوي اليهودي : « على الإنسان أن ينطلق في ميدان الغريزة محطماً القيود الأخلاقية ، والضوابط الاجتماعية التي تحول دون الانطلاق .. » .

ومن أجل هذا تبّنّى اليهود آراء « فرويد » ليصرف الشباب همّهم في الشهوات ، وفي سوق الإباحية ..

ومن مخططات الاستعمار والصليبية :

- يقول أحد أقطاب المستعمرين الكبار : « كأس وغانية تعملان في تحطيم الأمة المحمّدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حبّ المادّة والشهوات .. » .

- ويقول القسّ « زويمر » في مؤتمر المبشرين في القدس : [إنكم أعددتُم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله .. وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراد له

الاستعمار ، ولا يهتم بالعظائم ، ويجب الراحة والكسل ، ولا يصرف همّه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلّم فللشهوآت ، وإذا تبوّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ..] .

وما هذا المخطط الاستعماري الصليبي إلا لصرف شباب الإسلام عن الجهات المرسومة للكفاح والجهاد ، فلا يفكرون في سعي إلى مجد مؤثّل ، ولا الوصول إلى عزة منيعة ..

ومن مخططات الشيوعية والمذاهب المادية :

- إشغال المسلمين بالمرح عن عقيدة الألوهية ، ولما قيل « لكارل ماركس » الشيوعي :

ماهو البديل عن عقيدة الألوهية ؟

قال : البديل هو المسرح ، أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمرح .

وما أدراكم - يا شباب - ما المسرح إذا وجّه في محاربة العقيدة الربّانية والأخلاق ؟

- ومن المخططات صرف الجيل المسلم عن الإسلام بالقصة والصحيفة والمجلة .. يقول الشيوعيون في وثيقتهم السريّة - كما نقلها الأستاذ العقاد في كتابه « الإسلام والشيوعية » : [ونجحنا في المجتمعات الدينيّة في تعميم ما يهدم الدين من القصص ، والمسرحيّات ، والمحاضرات ، والصحف ، والمجلات ، والمؤلّفات التي تُرَوِّج للإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وجده وتجعله الإله المسيطر ..] .

وما أدراكم - يا شباب - ما تفعله القصص والمسرحيّات والصحف والمجلّات في هدم الإيمان ، وانهار الأخلاق ، وانتشار الانحلال في طول البلاد الإسلاميّة وعرضها !!؟ ..

* * *

ومن الشعارات المزيفة التي ترفعها اليهودية والصليبيّة ، ودعاة التبشير والاستشراق ..

شعار « تحرير المرأة » التحرر من ماذا ؟

التحرر من بيتها ، والتحرر من زيها ، والتحرر من أخلاقها ، والتحرر من عقيدتها .

- ويعني التحرر من بيتها : أن تنطلق إلى العمل لتعمل ، أو للنادي لترقص ، أو للصالة لتغني ، أو للمخادنة لتحبّ ..

- ويعني التحرر من زيها : أن تكشف ما أمر الله به أن يُستر ، وتهتك ما حضّ الإسلام عليه أن يُصان .. لتظهر في المجتمع متبرجة بلب شبه عارية ، ولا يخفى ما في ظهورها بهذا المظهر من فتنة للناس ، ومن إغراء للشباب ، ومن فساد وانحلال للمجتمع !! .

- ويعني التحرر من أخلاقها : أن تكون حرباً على المبادئ الخلقية التي جاءت بها شريعة الإسلام .. فلا تتحلّى بحياء ، ولا تتأدّب مع كبير ، ولا تتقبّل نصيح ولّي ، ولا تتقيد بعرف ولا دين !! .

- ويعني التحرر من عقيدتها : أن تعلن ثورتها على المبادئ الإسلامية التي تدعو المرأة المسلمة إلى الالتزام بها ، والعمل بموجبها .. كأن تثور على مبدأ الحجاب ، وتثور على نظام تعدّد الزوجات ، وتثور على نظام الإرث ، وتثور على مبدأ القوامة التي أولها الإسلام للرجل .. إلى غير ذلك من هذه الثورات الغاضبة التي يواحدة منها تخرج من ريقه العقيدة الربانية ، وتنسلخ من ملّة الإسلام .. فضلاً إذا كانت مجتمعة يأخذ بعضها برقاب بعض .. فإن الردّة والخروج من الملّة تكون أقوى وأظهر !! ..

وهذا الذي ذكرناه من رفع شعار « تحرير المرأة » ومن مفاهيمه ومعانيه التي سبق ذكرها هو ما عناه الحاقّد الصليبي القّس « زويمر » في مؤتمر المبشرين حين قال : [ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقّق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين وتحرير المرأة ..] .

واستطرد قائلاً : [لم يسبق وجود عقيدة متينة على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارّتي آسيا وإفريقية الواسعتين ، وبث في مائتي مليون

من البشر عقائده وشرائعه .. فأصبحوا كسلسلة جبال تناطح السحاب ، وتطاول السماء مستنيرة ذروتها بنور التوحيد ، ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات وانحطاط المرأة ..] .

وقبل قليل نقلنا ما خطّطه اليهود في بروتوكولاتهم : [يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأَيُّ يوم مدّت إلينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدّد جيش المنتصرين للدين] .

* * *

فمن هذه الأقوال ، والمخططات التي سبق ذكرها يتبيّن : أن اليهودية ، والماسونيّة ، والصلبيّة ، والشيعية ، والتبشير والاستشراق .. كلّهم متصافرون متعاونون على إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر ، والجنس ، والمسرح ، والمجلات ، وترويج القصص والمسرحيات اللا أخلاقية ، ورفع شعارات : تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، وثورتها على الدين والعرف .. وقد وصلوا - وبالأسف - إلى هدفهم الخبيث ، وغايتهم اللئيمة .. حتى رأينا شبابًا وشابات في كثير من بلاد الإسلام قد انطلقوا وراء الغرائز والشهوات ، وانزلقوا في مزالق التحلل والميوعة .. لا هم لهم ولا غاية سوى إشباع وطهرهم ، وإرواء غرائزهم ، والتقلّب في حمأة الرذيلة والفحشاء ، والانصراف بكليتهم عن واجبهم الأقدس في حمل رسالة الإسلام ، والجهات المرسومة للكفاح والجهاد .. بل همهم الأكبر مشاهدة فيلم داعر ، أو مسرحية فاجرة ، أو تمثيلية ماجنة ، أو ارتياد وكر للدعارة يذبحون على أعتابه معاني النخوة والشرف ، ويُريقون في عرصاته ماء الحياء والرجولة والكرامة .. وهكذا يفعلون !! ..

فما عليكم - يا شباب الإسلام - إلا أن تعلموا هذه الحقائق ، وأن تكونوا حذرين واعين مما يُخطط لجيلكم الأعداء ، وبيئته لأمتكم المتأمرون .

* * *

وأما ما هو إعلامي :

فمن المعلوم يقينًا أن الإعلام اليوم إن استُخدم في الشرّ يُعدّ من أقوى الوسائل في إفساد المجتمع ، وتمييع الشباب ، وانحلال أبناء الأمة ، وتحرر المرأة من ضوابط الأخلاق ، وفضائل الدين .. ذلك لأن الإعلام يخاطب الملايين من البشر ببرامجه وكلماته وتوجيهاته .. وأكثر هذه الملايين .. ساذجة منقادة ذات مصالح وأهواء .. تؤثر فيها الكلمة مقروعة ، أو مسموعة أو منظورة ..

فإن كانت الكلمة طيبة .. كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ؛ وإن كانت خبيثة .. كانت كشجرة خبيثة
اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالكلمة وأمانتها وتأثيرها .. فإما أن ترتفع بالمؤمن
إلى سماء الطهر والسمو والكرامة .. وإما أن تهوي بقائلها في النار سبعين خريفًا .
ومن المؤسف حقًا أن وسائل الإعلام في كل المجتمعات الإسلامية إلا من رحم
ربك مسخرة لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، والسعي بالفساد في
الأرض .. وقد ترتب على ذلك خلخلة في العقيدة ، وتخميم للأخلاق ، وهدم
للقيم والمثل !! ..

ومما لا يختلف فيه اثنان أن العقيدة والأخلاق هما أساس البناء الاجتماعي في
الإسلام . فإذا زال الأساس فكيف يقوم البناء ؟ .
ومن المؤكد إن الإعلام الغربي الرأسمالي ، والإعلام الشرقي الشيوعي أو
الاشتراكي .. قد أثرا كل التأثير في وسائل الإعلام للمجتمعات الإسلامية
والعربية .. فنجد أن أكثر هؤلاء المشرفين على الإعلام في بلاد العروبة والإسلام ..
يستوردون من البرامج المرئية أو المسموعة من بلاد الغرب أو الشرق ، ويثمنونها
في إعلامهم على حالها .. فيحاكيها الجيل المسلم على أنها القدوة والمثل الأعلى ..
وإذ بالجيل ينحدر في مهاوي الغزو الفكري ، وينزلق في مزالق الفساد الأخلاقي
من حيث يعلم أو لا يعلم ، فلم تمض عليه فترة بعد أن يتأثر بهذه المؤثرات ..
إلا ويصبح عدوًا لدينه ، وحرابًا على مقدساته وأمجاده ، ومناهضًا للقيم والأخلاق
التي جاءت بها الأديان والشرائع .. !! .

والأنكى من ذلك والأشد أن كثيرًا من المشرفين على الإعلام في بلاد الإسلام
بما لهم من ارتباطات رأسمالية أو شيوعية أو اشتراكية .. أصبحوا ينتجون في بلادهم
من البرامج المرئية والمسموعة ، ويطبعون في الإعلام المقروء .. ما فيه إشاعة
للفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، والتشكيك بالعقيدة ، وتخميم للأخلاق والمثل ..
وهذا الذي أنتجوه من برامج ومطبوعات في المرئي ، والمسموع ، والمقروء ..

يكفي وحده إفساد أمة برمتها ، وتدمير مجتمع بأكمله .. فضلاً عما يستوردونه من برامج الشرق ، أو من برامج الغرب .. فالخطر في الفساد أشد ، والضرر في التدمير أكبر !! .

والأخطر من ذلك كله أن الإعلام المرئي على شاشة التلفاز سوف لا يقتصر - كما نسمع - على بثّ البرامج المحليّة للبلد ، بل سيشمل بثّ البرامج للعالم كلّه عن طريق الأقمار الصناعيّة .. وهذا إن تحقق ، وسمحت الحكومات العربيّة والإسلامية به فسيكون له التأثير الأكبر في إفساد الجيل المسلم عقيدياً وخلقياً ، بل تأثره بالفساد الخلقي يكون أشدّ وأعظم .. لما يرى الجيل على شاشة التلفاز من مظاهر الخلاعة والمجون ، ومن مفاتن الجنس والفجور .. لأنّ النفس الأمّارة سرعان ما تتأثر بإغراءات الفتنة ، ومظاهر العري والتبرّج الخليع .. بل تسير وراء الغرائز والشهوات بسرعة فائقة بلا ضابط من دين ، ولا وازع من ضمير !! ..

وإذا علمنا أن من وراء هذا كله المخططات الصليبية ، واليهودية ، والماسونيّة ، والشيوعية .. فنذكر جيّداً ماذا يريد أصحاب هذه المخططات لبلاد الإسلام من فساد وميوعة ، وانسلاخ من مبادئ العقيدة والمثل والأخلاق !! ..

وقد سبق أن ذكرنا مفصلاً في بحث « ماهو أجنبيّ ؟ » عن أهم هذه المخططات الأجنبيّة ، في تدمير أخلاق الأجيال المسلمة ، وفي إفساد عقيدتها ومثلها وفكرها .. فلننا بحاجة أن نذكرها مرة ثانية حتى لا يكون الكلام معاداً ومكروراً ..

وينبغي أن لا يغرب عن البال أن لليهودية والماسونيّة دورها الكبير الخطير في السيطرة على وسائل الإعلام في العالم الإسلامي ، هؤلاء العملاء كانت قد ربّتهم صغاراً في معاهدها ، واستقبلتهم كباراً في محافلها ، ليحققوا مخطط يهود في السيطرة الفكرية والاقتصادية والسياسيّة ..

وقد ذكرنا الكثير والكثير عن بنود هذا المخطط في بحث « تحدي الغزو الفكري » لجيل الإسلام ، فارجع إليه - أخي الشاب - تجد فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

ولكن الذي يهمننا ذكره في هذا البحث دور الماسونية ، ومن ورائها اليهودية

في الإفساد والسيطرة على وسائل الإعلام سواء كانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة ..

يقول « هرتزل » في مذكراته : « الضجة هي كل شيء ، والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة »^(١) ، ويقصد بالضجة الدعاية الصاخبة المدوية عن طريق وسائل الإعلام ذلك لأنها - في نظره - أقوى تأثيراً ، وأبلغ نفاذاً ، بل هي تستلفت الأنظار ، وتهمئ الأناصر ، وتضعف الأعداء ، وتحقق الغايات !! .

وفي البروتوكول السابع : « يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه الرأي العام الذي هيأناه عن طريق أعظم قوة وهي الصحافة التي توجد كلها في قبضتنا .. » .

وفي حال أن البلد التي يستخرون إعلامها لمصالحهم خالية من عملاء ماسون مرتبطين بهم .. فإنهم يستخدمون الطرق غير المشروعة من ضغط أو تشهير أو رشوة أو إغراء .. للتأثير على الحكام في تأمين مصالحهم ، وتنفيذ مخططاتهم .. بل ربما أحياناً يلجؤون للاغتيال السياسي من حكام ومسؤولين .. ليعتبر من يخلفهم ، ومن يأتي بعدهم .. وهكذا يفعلون !! ..

أعرفتم - يا شباب - ما يفعله يهود ؟ وما يُخطِّط له يهود ؟ وما يسيطر عليه يهود ؟ لتنفيذ مخططاتهم في بلاد الإسلام ؟

أعرفتم أن الماسون من العرب أو المسلمين المنتشرين في العالم العربي والإسلامي هنا وهناك ما هم إلا أداة منفذة لكل ما يمليه عليهم يهود ؟

أعرفتم أن المفاسد الاجتماعية ، والمظاهر الانحلالية المتفشية في طول البلاد الإسلامية وعرضها .. ما هي في الحقيقة إلا من صنع يهود ، وتخطيط التبشير والاستعمار ؟

إذا عرفتم كل هذا فينبغي أن تعرفوا دوركم في مجتمعاتكم في الدعوة والإصلاح والتغيير والتوعية ، وتكثير القاعدة الإيمانية الصلبة .. والله يتولاكم وينصركم .. إنه نعم المولى ونعم النصير .

(١) من كتاب « الغزو الفكري .. » ص : ١٦٤ .

وقبل أن أختتم هذا البحث أضع بين أعينكم - يا شباب - ما أوصى به المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة ، وإعداد الدعاة المنعقد في عام / ١٣٩٧ هـ بمدينة رسول الله ﷺ مندداً بحال الإعلام في المجتمعات الإسلامية :

[ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها إعلامنا ولا يزال يتردى ، عن علم من القائمين به أو عن جهل منهم ؛ فبدلاً من أن يكون الإعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار إشعاع للحق .. صار صوت إفساد ، وسوط عذاب .. وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحوا .. وزلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم .. ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق ..] .

وأما ما هو قانوني :

فهو أيضاً من أظهر التحديات الانحلالية التي تواجه جيل الإسلام وشبابه وشاباته في عصور الانتكاس والضلال ..

فباسم القانون تستباح الأعراض والحرمات ..

وباسم القانون يتم إشباع الغرائز في اتخاذ الخليلات والمومسات ..

وباسم القانون يفتح تجار الغرائز أوكاراً للدعارة ، وصلات للمجون ، وحانات للخمر .. ليرتع فيها السكارى الخمورون ، وطلاب اللذة والجسد ..

وباسم القانون يستباح السفور والتبرج والاختلاط .. بين الجنسين في النوادي والمقاهي والمدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات ..

وباسم القانون يتعرى الرجال والنساء مختلطين متبذلين بلا حياء ولا خجل في المسابح العامة وعلى شواطئ البحار ..

وباسم القانون تترك الحرية لدور التمثيل والسينما والمسرح .. لتخرج للناس التمثيليات الماجنة ، والأفلام المائعة ، والمسرحيات الرقيقة ..

وباسم القانون يترك المجال لدور النشر ، وأرباب الأقلام ، ورجالات الصحافة .. في أن يكتبوا ويؤلفوا وينشروا .. ما شاء لهم .. ولو كان الدعوة

إلى إباحة الفاحشة ، وتحريير المرأة ، وتفكّت الغريزة ، وقتل النخوة ، وهدر الشرف .

هذا عدا عن الحماية القانونية التي أعطت الحرية لكافة وسائل الإعلام سواء كانت مرئية كالتلفاز ، أو مسموعة كالإذاعة ، أو مقروءة كالمجلة .. فباسم هذه الحماية .. وباسم حرية الرأي ، وباسم شعار الديمقراطية .. يحق لكل مشرف على أية وسيلة إعلامية أن يهدم ، وأن يحرف ، وأن يهزأ .. ولو كان الهدم في الأخلاق ، والتحريف بالتاريخ ، والاستهزاء بأنظمة الإسلام .. لكونه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ..

فكيف يتماسك شباب الإسلام على الأخلاق الفاضلة ، ويسيرون في طريق الاستقامة .. والقوانين في كثير من المجتمعات الإسلامية تحمي الرذيلة ، وتسهّل سبيل المنكر ، وتُهَيِّئ للجيل المسلم أسباب الميوعة والانحلال ؟ ..

ولا بأس أن نذكر بعض النماذج من حرية الصحافة في النشر تحت ظل القانون والديمقراطية ، لتعرفوا - يا شباب - إلى أيّ مستوى وصلت إليه الصحافة في دعوتها إلى الإباحية والإلحاد ، وإلى تزيينها سبيل الفساد والمنكر !!؟ .

(أ) في سنة / ١٩٦٦ م استضافت أسرة تحرير الأهرام داعية الوجودية الإباحي « سارتر » وعشيقته التي تعيش معه في الحرام ، ويُجهر على صفحات الجريدة بهذا الفجور والفساد ، بل وتدعو الجريدة الرجال والنساء .. ليروا هذه القدوة القبيحة السيئة المتمثلة في سارتر وعشيقته ، ليسمعوا منها السّم الزعاف ، ومبادئ الحرية اللاأخلاقية التي تدعو إلى الإباحية !! .

(ب) وفي السبعينات يبلغ الفجور مداه حين تنشر جريدة الأهرام نفسها في ١٣/٣/١٩٧٦ عن ضبط بيوت للدعارة فيها نساء من بيوتات لم يكن يسمع عنها من قبل سوء ، وتنشر عن ضبط تلميذات صغيرات في هذه البيوت !! .. ثم تهوّن الجريدة هذه الجريمة الشنعاء تحت عناوين مثيرة وعريضة : تلميذة في شقة مفروشة .. ، افتحوا أبواب الاختلاط في كل مراحل التعليم .. أطلقوا الحرية للشباب تحت رقابة الأسرة والمدرسة .. لا تهمننا البنت التي تنحرف من أجل فستان !!..

(ج) وفي أحد أعداد مجلة النهضة سنة / ١٩٧٦ / م تحقيق صحفي في سبع صفحات كبيرة مطرزة بصور مثيرة لفتيات شبه عاريات ، وتحت عناوين بارزة كتب بالخط العريض : حصاد المعاكسات في الأسواق .. مغازلات .. معاكسات .. همسات .. نظرات .. إشارات .. أرقام تليفونات .. سألت إحدى الصحفيات بعض الفتيات اللاتي أدلين بأسمائهن كاملة ، وقصصن ما يحدث لهن بأسلوب مكشوف مثير سواء عن بائع الأحذية الذي يتحسس ساقها ، أو بائع الملابس الذي كان يمسك خصرها .. وتحكي أخرى : أن الملابس تكشف كل شيء لأنها شفافة ، وخاصة عند طلوع الدرج داخل المحل لأن الأضواء تسلط على الدرج فتكشف كل شيء في جسمها ، هذا بالإضافة إلى زجاجة العطر التي سكبها على صدرها .. إلى جانب المكياج الفاتن الذي تزيّن به وجهها ..

ولا ندرى ماذا يستفيدة القارئ المسلم من مثل هذه التحقيقات التي تكشف عوار البلد ؟ في الحقيقة لا يستفيد منها إلا تزيين الانحلال ، وإثارة المفاتن ، وترشيد مزلق الفساد لمن يريد أن يتعلم !! .

(د) وفي عام / ١٩٦٧ / م كتب « إبراهيم خلاص » في مجلة جيش الشعب السورية مقالاً بعنوان : « الطريق لخلق إنسانا العربي الجديد » فما جاء في هذا المقال : [استنجدت أمة العرب بالإله . فتشت عن القيم القديمة في الإسلام والمسيحية .. استعانت بالنظام الإقطاعي والرأسمالية ، وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى .. كل ذلك لم يجد فتيلاً ..] .

ويتم الكاتب الشيوعي العميل حديثه فيقول : [والطريق الوحيدة لتشييد حضارة العرب ، وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان « الاشتراكي العربي الجديد » .

والإنسان الذي يريد أن يخلقه هذا الملحد الأفاك : [هو الإنسان الذي يؤمن أن الله ، والأديان ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والاستعمار ، والمتخمين ، وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ، ليست إلا دُمى محتظة في متاحف التاريخ ..!!] .

هل رأيتم - يا شباب - دعوة إلى هدم العقيدة والأديان والأخلاق .. مثل هذه الدعوة الآثمة الفاجرة الملجدة التي دعا إليها هذا الشيوعي العميل الأفاك !!؟ .

وهذا الذي ذكرناه - يا شباب - من حرية الصحافة في الدعوة إلى الانحلال والميوعة ، ومن تيسير أسباب الحماية القانونية في انتشار الفساد والمنكر .. ماهو في الحقيقة إلا غيظ من فيض .. بل الذي يتلفّت يمنة ويسرة حيثما حلّ وارتحل ماذا يرى ؟

يرى الشباب الشارد في الشهوة ، والمستغرق في الخمرة ، والمتقلب في حماة الفاحشة .

يرى الجيل المائع المريض جسمياً وعقلياً ونفسياً وخلقياً ..

يرى عصابات القتل والخطف والاعتصاب الجنسي ..

يرى عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش ..

يرى تجار الشهوات والغرائز في بيعهم الأعراض وتأجيرهم البغايا ..

يرى عصابات من الأطباء والمحامين ورجال القانون .. لتغطية الجرائم ، وهدر

الحقوق .

يرى المسابح العامة المختلطة .. يتعرّى فيها روادها من كل رداء للفضيلة بلا

حياء ولا خجل ..

يرى أفواج المومسات وقد رخصهنّ الاحتراف بالزنى لكسب الكفاف ..

يرى ويسمع الأغاني الفاحشة ، والموسيقى الراقصة ، والمسرحيات الخليعة

الفاجرة ..

يرى كتب الجنس ، ومجلات العري ، وأقبية الرقص والمجون ..

يرى أفواج (الهيبين) الإباحيين المشبهين بالحيوانات والخنافس ..

يرى أفواج (البوب) اللامتمين الغارقين في السكر والمخدرات والرذيلة ..

إلى غير ذلك من مظاهر الفساد والإباحية مما لا يمكن تعدادها وحصرها !!.

كل ذلك يجري في المجتمعات الإسلامية - إلا من رحم ربك - باسم الحرية ،

والحماية القانونية ، ورفع شعار الديمقراطية .. وكل ذلك يسير بسرعة عجيبة فائقة

في أوساط الشباب والشابات في كل مكان دون انضباط من خلق ، ولا وازع

من دين ، ولا استشعار بمسؤولية ..

فلا يستغرب أبداً - إن بقي الأمر على هذه الحال - أن تصل مجتمعات الإسلام

في المشارق والمغرب في الإباحية والتحلل إليأسوأ مما وصلت إليه المجتمعات الغربية والشرقية على حدّ سواء !! .

ومن الأمور التي ينبغي أن تدركوها جيّدًا - يا شباب - أن هؤلاء الذين يصدرون القوانين في استباحة المنكر ، ويمحون الرذيلة في الأقبية والأوكار والنوادي والمسابح .. ويطلقون لوسائل الإعلام الحرية في الدعوة إلى الميوعة والانحلال .. ليسوا في الحقيقة إلا منفذين من حيث يعلمون أو لا يعلمون تخططات الاستعمار والصليبيّة ، وبروتوكولات اليهودية والماسونية ، ومؤامرات الشيوعية والمذاهب المادّية .. لإفساد الشباب والشابات في بلاد الإسلام ، وصرّفهم عن واجبهم الأقدس في حمل الرسالة الإسلامية الخالدة ، وتحويلهم عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد . حتى يقعدوا مع القاعدين ، ويسيروا في الحياة بلا غاية نبيلة ، ولا رسالة سامية ، ولا مثل أعلى !! .

ولكن هل ثمة من حل لمواجهة هذه التحديات التي يتعرّض لها المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ولا سيما الشباب والشابات ؟

نعم الحلّ العملي لمواجهة هذا كله أن ينبري الشباب المسلم الملتزم الواعي في كل مكان ، وأن يأخذوا مواقعهم في بلادهم ، ويقوموا بأداء مسؤولياتهم في الإصلاح والتغيير في مجتمعاتهم ، من أجل أن يواجهوا هذه التحديات التي تتجتاح أمّتهم بعزم إيمان ، وادفاع بطولة ، وتخطيط دعوة ، والتزام جماعة ، ومسؤولية إصلاح ..

فلا بدّ - إن كانوا على هذا المستوى من المواجهة والمسؤولية - أن يصلوا في نهاية المطاف إلى أفضل النتائج في قمع الفساد ، وزوال المنكر ، واستئصال الفاحشة .. والله سبحانه معهم ، ولن يتخلى عنهم .. لأنه القائل : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

تلکم - يا شباب - أهمّ التحديات الانحلالیّة ، والمفاسد الخلقية التي تواجه جيل الإسلام اليوم ، ولقد رأيتم أنها كثيرة ومتنوعة : منها ما هو عرفی ، ومنها ما هو نفسی ، ومنها ما هو أجنبيّ ، ومنها ما هو إعلامي ، ومنها ما هو قانوني ..

ولقد ألحنا باختصار عن بعض الحلول الإيجابية في كل واحدة من هذه التحدّيات الخمس ، وأزيدكم - يا شباب - حلولاً إيجابية أخرى لعلها تكون عوناً على إصلاحكم ، وتثبيتاً لإيمانكم ، وصوناً لأخلاقكم ، وتوضيحاً لخطواتكم ، وتقوية لشخصيتكم وإرشاداً لدعوتكم .. والله المستعان ، وعليه التكلان .

لا شك أن الزواج الذي شرعه الإسلام لشباب الإسلام وهم في سنّ مبكرة هو خير ضامن لصيانة أخلاقهم ، وغيض أبصارهم ، وحفظ فروجهم .. للنداء الذي وجهه رسول الإنسانية صلوات الله وسلامه عليه لشباب هذه الأمة .. فقد روى الجماعة عنه عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج .. » ؛ بل الزواج هو من أقوى العوامل الإصلاحية التي تنقذ الشباب مما يواجههم من تحدّيات انحلالية ، ومما يكتنفهم ويحيط بهم من مفاسد خلقية .. ذلك لأنه يُلبّي الفطرة ، ويشبع في الشباب دوافع الغريزة ، ويجعل الإنسان ذا شخصية فذة متوازنة لا يميل مع رياح الفتنة ، ولا يتزعزع أمام تحدّيات الانحلال !! ..

ولكن إذا لم يتيسّر للشباب سبيل الزواج لعقبات تعترض طريقهم ، فماذا يفعلون ؟ وفي أي طريق يسرون ؟

القرآن الكريم دعا الشباب في مثل هذه الحال أن يتمسكوا بمجبل الاستعفاف والتسامي ..

قال تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ .

ولكن ما هي الضوابط التي تجعل الشباب مستعفاً متسامياً ، بعيداً عن الانحلال ، منزّهاً عن الفاحشة ؟

الضوابط - كما رسمها الإسلام - هي كما يلي :

(أ) غيظ البصر عن المحرمات : لقوله تبارك وتعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن .. ﴾ .

ولا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة أن النظرة إلى المرأة الأجنبية سهم من

سهام إبليس ، بل طريق منحرف متدرّج يؤدي بسالكة إلى الفاحشة .. من تركها مخافة الله أبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه .

فقديمًا قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثًا قال آخر :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

(ب) الاستمرار في صيام النفل : تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام- فيما

رواه الجماعة :

« يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ، فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أي قاطع للشهوة) .

والحكمة من هذا الصوم تتحقق بشيئين :

١ - تعميق المراقبة لله في السرّ والعلن .

٢ - تخفيف للشباب من حدّة الشهوة وثورة الغريزة .

وما أكثر صيام النفل الذي حضّ الشرع على صيامه ، ونذكر منه على سبيل المثال : صيام داود فكان يصوم يومًا ، ويفطر يومًا ؛ وصيام الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وصيام الستة من شوال ، وصيام عاشوراء مع يوم قبله أو يوم بعده ، وصيام ثلاثة أيام البيض من كل شهر عربي : اليوم الثالث عشر ، واليوم الرابع عشر ، واليوم الخامس عشر .

ومنه أيضًا : صيام تسكين الشهوة كما أفاد حديث : « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

(ج) الابتعاد عن المثيرات الجنسية : لقوله عليه الصلاة والسلام - كما روى

البخاري - : « من وقع في الشبهات وقع في الحرام ، ألا وإن لكل راعٍ حمى ، وإن حمى الله محارمه » ..

ولا شك أن النظر إلى النساء الكاسيات العاريات .. وأن قراءة القصص

الغرامية ، والمجلات الخلاعية ، وأخبار الجنس .. التي يقوم على ترويجها تجار الغرائز والشهوات ؛ وأن السماع إلى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير ، ويقوم على بيع شرائطها رجال لا أخلاق لهم ؛ وأن اقتناء الصور العارية ، والأفلام الجنسية .. لمشاهدتها في بيوتات مقصودة ..

كل ذلك مما يخذل الغيرة ، ويلوث الشرف ، ويُمِيع الخلق ، ويثير الغريزة ، ويقتل الكرامة ، ويوهن الجسم ، ويضعف الذاكرة ، ويحطم الشخصية ..
(د) ملء الفراغ بما ينفع : لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم - : « .. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

وسبق أن ذكرنا في معالجة الإسلام للهوى المتبع في الإنسان أن الشاب إذا اختل لنفسه وقت الفراغ ترد عليه الأفكار الحاملة ، والتخيلات الجنسية المثيرة .. فلا يجد نفسه إلا قد تحركت شهوته أمام هذه التخيلات والأفكار .. وربما وقع في محذور شرعي نتيجة هذه الأحوال النفسية التي كان يهجس فيها .

فالعلاج للتخلص من هذا كله أن يعرف الشاب كيف يملأ فراغه ؟ وما أكثر هذه المجالات في ملء الفراغ !! إما برياضة بدنية يُقوي بها جسمه ، أو نزهة بريئة يروح بها عن نفسه ، أو مطالعة مفيدة يكمل بها ثقافته ، أو عمل يدوي يُنمي به ميوله ، أو حضور درس ديني توجهي يهذب به خلقه ، أو مباراة ثقافية يروض بها عقله ، أو تدريبات على الرمي وسباق الخيل والسباحة .. يعدّها بنفسه ..

إلى غير ذلك من هذه المجالات النافعة ، والوسائل الإيجابية المثمرة ..

(هـ) الرفقة الصالحة : لقوله ﷺ - فيما رواه الترمذي - : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي » .

وسبق أن ذكرنا في معالجات الإسلام للهوى أن الشاب حين يصاحب أهل الصلاح والتقوى والاستقامة .. يكتسب منهم كل خير ينفعه في دينه ودنياه وآخريته ، وكذلك حين يصاحب أهل الفسوق والعصيان يكتسب منهم كل شر يضرّه في دينه ودنياه وآخريته .. وهذا ما عناه الرسول عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الترمذي - : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ، ورحم الله من قال :

عن المرء لا تسأل وسأل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

(و) الأخذ بالتعاليم الطيبة : لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الترمذى والعسكرى :-

« الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها كان أحق بها » .

إن مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة ،
وجموح الشهوة في الشباب هو مايلي :

١ - الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف .

٢ - الإكثار من الألعاب الرياضية والتمارين الجسمية .

٣ - تجنّب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل لكونها مثيرة ومهيّجة .

٤ - الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي ..

٥ - عدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض ..

٦ - عدم النوم على الظهر أو البطن ، بل السنة أن ينام على شقه الأيمن

مستقبلاً بوجهه القبلة .

(ز) تعميق مراقبة الله في السر والعلن : لقوله صلوات الله وسلامه عليه -

فيما رواه الشيخان :-

« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ومن المؤكد يقيناً أن الشباب حين يحضر مجالس العلم والذكر ، ويداوم على صلوات الفرض والنفل ، ويواظب بشكل مستمر على تلاوة القرآن الكريم ، ويتهدد في الليل والناس نيام ، ويستمر على صيام المندوب والتطوع ، ويستمع إلى أخبار الصحابة والصالحين ، ويختار الرفقة الصالحة المأمونة ، ويرتبط بالجماعة المؤمنة الموثوقة ، ويذكر دائماً الموت وما بعده .. كل ذلك مما يعمق في الشباب جانب الخشية من الله ، والمراقبة له ، والاستشعار بعظمته .. فإذا كانوا كذلك كفوا عن كثير من الموبقات ، وامتنعوا عن فعل المحرمات .. بل يكونون كالملائكة يمشون على الأرض طهراً وصفاء وروحانية ..

وإليكم - يا شباب - نموذجين عظيمين في استشعار مراقبة الله في السر والعلن ، نسوقهما للتأسى والاتباع :

النموذج الأول : روت كتب الأدب أن رجلاً تاجرًا قال : كنت ذات ليلة في منزلي ، فقرع عليّ الباب قارع ، وإذا أنا بشابة جميلة كأنها البدر ، فشكت إليّ جوعها ، فحادثتها ثم راودتها عن نفسها فامتنعت ثم قالت : الموت خير لي من معصية ربّي ، ثم رجعت من حيث أتت !! .

وبعد أيام عادت وتوسّلت إليّ ، فقلتُ كما قلتُ أولاً فبكتُ ، ثم قالت : تطعمني لوجه الله ، قلت : لا ، إلا أن تمكيني من نفسك ، فقالت : الموت خير لي من عذاب الله ، فسمعتها تقول وهي منصرفة :

أيا واحدًا إحسانه شمل الخلقا	بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
لقد صدمتني شدة وخصاصة	وما نالني ما بعضه يمنع النطقا
كأني ظمان ترى الماء عينه	فلا غلة تروى ولا شربة تُسقى
تعارضني نفسي إلى نيل أكلة	لذاذاتها تفنى وغصاتها تبقى
أعصيك بعد الفضل والجود والهدى	وكيف وبالطاعات أستجلب الرزقا؟
سألتها في نيل حبك سيدي	عساي بها أستوجب القرب والعنقا

قال : فجزعتُ لما سمعتُ من قولها ، ودخل في قلبي الإيمان ، وقلتُ لها : عودي وكلي وخذي من المال ما شئت لله ، فقالت : اللهم كما أنرت قلبه ، وهديت لبه ، فأجب دعاءه ولا تردّه خائبًا .

فكان ما دعت به ، ثم تزوّجها !!..

النموذج الثاني : يوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب ، مكتمل الرجولة ، رائع الفتوة ، تدعوه إلى نفسه امرأة ذات منصب وجمال ، والأبواب مغلقة ، والسبل ميسرة كما حكى القرآن : ﴿ وراودته التي في هو في بيتها عن نفسه ، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ﴾ .

فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء ، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار ؟ ألانت قناته ؟ أخان عرضًا أوتمن عليه !!؟ .

لا ، إنما قال : ﴿ معاذ الله إنه ربّي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ . ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها ، وبكل ما لديها من ألوان الإغراء

والتهديد أن تذيب من صلابته ، وتضعضع من شموخه ، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ .

﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ .

ولكن الشاب المستعفّ المتسامي يوسف عليه السلام أتجه بكليته إلى الله يسأله العون والعصمة ، وأخيرًا اختار السجن على اقتراف الفاحشة ، وأعلن ذلك بعزة المؤمن ، وكبرياء المترفع عن الدنيا : ﴿ رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهنّ أصب إليهنّ وأكن من الجاهلين ﴾ .

كانت فتنة بين ضمير المؤمن الحيّ ، وخشيته الربّانية .. وبين مغريات الإثم ، ودوافع الغريزة ، فأخفقت المغريات ، وانتصر الإيمان !! ..

تلكم - يا شباب - أهمّ بنود المنهج ، وأظهر الضوابط في وصول الشاب إلى قمة الاستعفاف والتسامي ، ولا شك أن الشاب إذا أتبع أصول هذه الضوابط ، وسار على تطبيقها بدقّة وإحكام .. فإنه ينتصر في الحياة لا محالة على كل الوسوس الشيطانية ، والنزعات النفسية .. بل ويتغلّب على كل الدوافع الغريزيّة التي تتأجج في أعماق كيانه ..

وفي حال أن الشاب ضعف أمام المغريات ، وتراخى أمام المفاتن .. وترجّع لديه أنه سيرتمي في أحضان الفاحشة .. فيجوز له شرعًا أن يلجأ إلى العادة السريّة لتسكين شهوته ، أخذًا بالقاعدة الفقهية التي تقول : « يُختار أخفّ الضررين ، وأهون الشرّين » .

لذا يقول الفقهاء : [إن الاستمئاء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة وإثارته وهي هادئة ، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعيّن الاستمئاء طريقًا لتسكينها فإن الأمر جائز ومكافئ بعضه بعضًا ، وينجو صاحبه رأسًا برأس أي لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولا يعاقب]^(١) .

(١) هذا النص الفقهي من كتاب « ردود على أباطيل » للعلامة الشيخ محمد الحامد رحمه الله
ص : ٤٢ .

وهكذا يستمر الشباب في طريق الاستعفاف والتسامي حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الزواج فيكون قد اكتمل وتوازن ، وأشبع غريزته من حلال ..

ولكن هل يكفي الشاب أن ينتصر على هذه التحديات الانحلالية بعفته وتساميه ، وينجو منها كفافاً لا له ولا عليه .. أم عليه أن يعمل على استئصالها والقضاء عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؟

نعم لا يجوز للشباب المسلم أن يقول : قد انصلحت حالي ، واستقامت أخلاقي .. لا يضربني من ضلّ إذا أنا اهتديت !! . بل عليه أن يكون له دور كبير فعال في مواجهة التحديات الانحلالية التي تتجتاح بلاد الإسلام ..

فما دوركم - يا شباب - في العمل والمواجهة ؟

في الحقيقة أن دوركم عظيم ، ومسؤوليتكم في استئصال المنكر ، وقمع الفساد .. كبيرة .

فالإسلام يتطلب منكم أن تسيروا في خطوات إيجابية ، ومراحل دعوية .. إن أردتم أن تأخذوا موقعكم في المواجهة والإصلاح والتغيير .

ما هي أهم هذه الخطوات والمراحل ؟

أولاً - أن تنتظموا قلباً وقالباً في صفّ الجماعات الإسلامية المخلصة المجاهدة التي آمنت بالإسلام ديناً ودولة .. وبالقرآن الكريم منهجاً وتشريعاً .. وبالتاريخ الإسلامي اعتزازاً وقدوة .. وبالحضارة الإسلامية روحاً وفكراً .. وبالارتباط الحركي للدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماسة .. تنتظمون معها لأن يد الله مع الجماعة ، ولأن العمل الفردي لا يعطي ثماره المرجوة في الإصلاح والتغيير ، ولأن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية ..

ومن أجل هذا أمر القرآن الكريم أمة الإسلام :

- أن يعتصموا بحبل الله جميعاً وأن لا يتفرّقوا : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾ .

- وأن يتخذوا المؤمنين أنصاراً وأولياء : ﴿ ومن يتولّ الله ورسوله والذين

آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿ (آل عمران : ١٠٤) .

- وأن يكونوا من أمة الإسلام أمة واحدة تقوم بدعوة الناس إلى الخير ، وتقمع في المجتمع الفساد والمنكر : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران : ١٠٥) .

والرسول صلوات الله وسلامه عليه أمر أيضاً بالتزام الجماعة :

- روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : خطبنا عمر بالجابية فقال : [يا أيها الناس : إني قمتُ فيكم كمكان رسول الله ﷺ فينا فقال : أوصيكم بأصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفسو الكذب ، حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد ، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان .. عليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين أبعد ، من أراد بمجوحة الجنة فليزِم الجماعة] .

- وفي حديث حذيفة بن اليمان - كما روى البخارى - حين جاء يسأل الرسول ﷺ : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال صلوات الله وسلامه عليه لحذيفة : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجايبهم قذفوه فيها ، قال حذيفة : صنفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا !! . قال حذيفة : فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟ .

قال عليه الصلاة والسلام : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .. » .

فمن هذه النصوص يتبين - يا شباب - أنه يجب على المسلمين أن يلتزموا جماعة المسلمين لينتسقوا معها إقامة حكم الله في الأرض ، وإزالة معالم الفساد والمنكر في المجتمعات الإسلامية .. لأن معظم تكاليف هذا الدين جماعية ، ولا يستطيع المسلم أن ينهض بها بنفسه ، ولا أن يمارسها بشخصه .. بل لابد أن يعمل مع جماعة ، ولا بد أن ينسق معها ، ولا بد أن يتحرك للدعوة مع من آمنوا بها ، وجاهدوا في سبيلها .. والله المستعان .

ثانيا : أن تنطلقوا في مضمار التبليغ والتوعية بهمة مستعلية ، وعزيمة

جبارة .. لإنقاذ المجتمع الإسلامي مما يُعَانِيهِ من فساد وتَحُلُّل ، ومما يُصِيبُهُ من فَرْقَةٍ وتَمزِيقٍ ، ومما يُسَدِّدُ إِلَيْهِ من سهام التآمر والعدوان .. ومن بَعْدُهُ المجتمع الإنساني مما يَسُوْدُهُ من كُفْرٍ وضَلَالٍ وإِبَاحِيَّةٍ .. تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

يقول الداعية الشهيد الأستاذ « سيد قطب » رحمه الله في كتابه « الظلال » في تفسير هذه الآية : [إن التعبير بكلمة « أُخْرِجَتْ » المبنى للمجهول تعبير يَلْفِتُ النظر ، وهو يكاد يشي باليد المدبّرة اللطيفة التي تخرج هذه الأمة إخراجًا ، وتدفعها إلى الظهور دفْعًا من ظلمات الغيب ، ومن وراء الستار السرمديّ الذي لا يعرف ما وراءه إلا الله .. إنها كلمة تصوّر حركة خفية المسرى ، لطيفة الדיب ، حركة تُخرج على مسرح الوجود أمة ذات دور خاص ، ولها مقام خاص ، ولها حساب خاص : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة ، لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أُخْرِجَتْ لتكون طليعة الأمم ، ولتكون لها القيادة .. بما أنها خير أمة والله سبحانه يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض ، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقّى عن غيرها من أمم الجاهلية ؛ إنما ينبغي أن تعطي هذه الأمم مما لديها : من الاعتقاد الصحيح ، والتصوّر الصحيح ، والنظام الصحيح ، والخلق الصحيح ، والعلم الصحيح .. فواجبها أن تكون دائمًا في الطليعة ، وفي مركز القيادة ..

ومن أول مقتضيات هذا العطاء : أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد ، وأن تكون لها القوّة التي تمكّنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي خير أمة أُخْرِجَتْ للناس ، لا عن مجاملة أو محاباة ، ولا عن مصادفة أو جزاف .. تعالى الله عن ذلك كله علوًّا كبيرًا ، إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر ، وإقامتها على المعروف ..

فهو النهوض إذن بتكاليف الأمة الخيرة (الداعية) بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب ، وبكل ما في طريقها من أشواك .. [أ . هـ .

ثالثاً - أن تدعموا مادّة الدعوة التي إليها تدعون .. بالحجج الدامغة ،
والبراهين القاطعة ، والمنطق العقلاني المقنع السديد ..

فحين تدعون الشباب لمواجهة الانحلال ، والتصدي للميوعة ، والامتناع عن
الفحشاء والمنكر .. فينبغي أن تبصّروهم بالأخطار الجسمية والنفسية والخلقية
والاجتماعية التي تترتب على عمليّة الزنى ، والجري وراء الشهوة والجنس في ضوء
ما أثبتته علماء النفس والطب والاجتماع .. من أضرار وأخطار ؛ فهذه التبصرة
والقناعة يستجيب الناس لدعوتكم ، ويتقبلون نصحتكم ، ويكفّون عن المحارم
والموبقات .. وإلاً فتكونون كمن يصرخون في وادٍ ، وينفخون في رماد ،
ويرقمون عليماء بلا فائدة ولا جدوى ..

والأخطار التي أثبتها المختصّون هي كما يلي :

١ - الخطر الجسمي :

● مرض السيلان : ينتقل هذا المرض من المريض إلى الصحيح بسبب الزنا ،
ويسبب التهاباً حاداً أو مزمنًا في الرحم والخصيلتين ، قد يؤدي إلى العقم ، أو
يؤثر على المولود ، فيحدث له التهابات في عينيه تؤدي إلى العمى !!.

● مرض الزهري : ينتقل هذا المرض بالاتصال الجنسي غير المشروع ، ويسبب
التهابات جلدية ، ومفصلية ، وعظمية ، وعضليّة ، وقلبيّة ، ورئويّة .. وتخريشات
في الجلد والوجه واللسان ..

● مرض التقرّحات الجنسية : ينتقل أيضاً بالاتصال الجنسي المحرّم ، ويسبب
التهابات في العُقد البلغميّة .. قد تؤدي إلى خراجات قيحيّة مزمنة ، والتهابات في
المجاري البوليّة ، وتورّمات في الأطراف .

● مرض القرح اللين : ينتقل عن طريق الزنا ، ويسبب تقرّحاً مؤلماً في الجهاز
التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد .

● مرض النضج الجنسي المبكّر : يصاب به الأولاد نتيجة انتشار الزنا ، ويسبب
تهدّج الشهوة في الولد قبل أوانها ، واستثارة الغريزة قبل اكتمال عُدها ، كما يسبب
تشوّهات بدنية ، وأمراضاً عصبيّة ونفسية في الأولاد !!..

● مرض الإيدز : الذي انتشر مؤخراً في أمريكا وأوربة نتيجة ممارسة الشذوذ الجنسي ، مرض خطير فتاك يؤدي بصاحبه إلى هلاك محتوم .

إلى غير ذلك من هذه الأمراض الصحيّة والجسمية التي تنتشر في المجتمع نتيجة لانتشار الفاحشة .

٢ - الخطر الخلقي والنفسي :

● مرض الشذوذ الجنسي : ويقصد به (اللواط والسحاق) ، وهو مرض خطير ، يكتفي فيه الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، هذا المرض أصيبت به مجتمعات كثيرة تدّعي التقدّم والحضارة كأمریکا وانكلترا .. فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة « نيويورك » بأمريكا ، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون .. أما المتسترّون المخفون فحدّث عن عددهم ولا حرج !!

● مرض الهوس الجنسي : حيث نرى المريض مشغولاً في جميع أوقاته بتخيّلات شهوانية غريزية .. من نكاح ، وتقيل ، وضّم ، وعناق ، وتصوّرات لأعضاء المرأة الظاهرة والباطنة .. تراه منصرفاً عن كل شيء .. ومن أعراضه : أن المريض يكثر نسيانه ، ويقلّ اهتمامه ، وتشدّد غفلته ، ويضعف انتباهه .. وتراه كأنه غيبيّ مخمور ، أو كأنه مكروب محزون .. وتسبّب هذه الظاهرة الأليمة نحولاً في الجسم ، وقلقاً في النفس ، وهوساً في الجنس ... هذا عد الانصراف إلى الشهوات والملذات ، والجري وراء الغرائز والتزوات بلا حدود ولا انضباط .

وكان من نتيجة هذه الأمراض والأخطار أن أصيب شباب العالم شرقاً وغرباً بالخلل الجسمي والعصبي والنفسي حتى أن « خروتشوف » صرّح عام / ١٩٦٢ م بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنه منحلّ مائع غارق في الشهوات .. وفي الوقت نفسه صرّح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها منحلّ غارق في الشهوات ، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأن من بين كل سبعة شبّان يتقدّمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسيّة ..

ويقول الكاتب الفرنسي « أندريا موريا » في كتابه « أسباب انهيار فرنسا » :
[من أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية تفسّخ الشعب الفرنسي
نتيجة لانتشار الرذيلة ، وهذا ما حدا بالجنرال « ديغول » بعد تسلمه زمام السلطة
لأن يستدعي مدير شرطة باريس ويقول له : « أغلق لي المواخير ، وأوكر الخنافس
في عاصمتي »] .

ولا شك أن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية حين ينطلق في متاهات التحلل
والإباحية ، تنفّس في المبادئ الإلحادية والوجودية ، وتكثر في ربوعه الجرائم
الاجتماعية ، والخيانات الزوجية .. وتعجّ في أرجائه أولاد لا كرامة لهم ولا
أنساب ، بل يصبح الإنسان عدواً لأخيه الإنسان ، بل تنعدم فيه على العموم
القيّم ، والمثل ، والأخلاق الفاضلة !!..

٣ - الخطر الاجتماعي :

● تهديد الأسرة بالزوال ، وذلك لأن الشاب حين يشبع نهمه الجنسي بالحرام ،
فإنه لا يفكر على الأغلب بتكوين أسرة ، ولا إنجاب أولاد ، ولا تحمّل
مسؤولية .. وكذلك المرأة حين تسير في طريق الانحراف والانحلال .. فإنها لا
ترغب بالحمل ، ولا ترضى بالولد ، ولا تفكر بالزوج .. ليعيش الاثنان في ظل
الحرية العابثة ، والإباحية المقيتة ، والتفلّت المشؤوم !!.

● ظلم المواليد والأطفال ، ظلم لهم ، لأن ولد الزنا محروم من حبّ أبيه ،
وعطف أمه ، وأين له الحب والعطف والحنان وهو تربية المحاضن
والمستشفيات !!؟ ..

وظلم لهم أيضاً ، لأن الولد حين يميّز ويعمى ، ويستشعر أنه ابن الفاحشة والعار
فإنه يتعقد نفسياً ، وينحرف سلوكياً واجتماعياً .. بل يصبح أداة إجرام على الفرد
والمجتمع ، بل على الأمن والاستقرار !!.

● شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء ، ذلك لأن كلا من الرجل والمرأة
لا يجدان الحياة الهانئة السعيدة ، والعيش المستقرّ الكريم .. إلا في ظلال الحياة
الزوجية القائمة على المودة والرحمة ، والمبنية على الترابط والتعاون وأداء
المسؤولية .. وهذا الأمر يكون معدوماً في المجتمع الذي لا يروج فيه سوق
الزواج ، وفي الأمة التي تسير وراء التميّع والانحلال !!.

● قطع صلة الرحم والقرباة ، لأن الشاب العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملهذات والمحرمات .. تراه منبؤدًا محتقرًا لدى أرحامه وقرباته الصلحاء ؛ وهذا ولا شك مما يؤصل في كيانه روح العقوق والتمرد والعصيان .. بل يندفع إلى الشقاوة والتلطخ بالإثم والعار بشكل أكبر ، كلما رأى من أبويه وأرحامه استنكارًا وإعراضًا !!.

وهل هناك من ذنب - بعد الإشراف بالله - يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الإسلام ؟!!

إلى غير ذلك من هذه الأخطار التي لا تخفى على كل ذى لب وبصيرة ..

٤ - الخطر الاقتصادي :

لا شك أن الذين يصرفون همهم الأكبر في سوق الملهذات والشهوات ، وينساقون وراء الفاحشة والتبجح .. فإنهم يسيبون انهيار الاقتصاد لأمتهم ، وذلك :

- لضعف قواهم .
- وقلة إنتاجهم .
- واتخاذهم الوسائل غير المشروعة .

● أما لضعف قواهم فلأن الذين يلهثون وراء اللذة والفاحشة .. فإنهم يمرضون جسميًا ، ويمرضون عقليًا ، ويمرضون خلقيًا ، ويمرضون نفسيًا .. ولا شك أن المريض تضعف قواه ، وينحط جسمه ، وتنهار همته .. فلا يستطيع - وهذه حاله - أن ينهض بمسؤولية التقدم الحضارى ، والازدهار الاقتصادى لانحطاط جسمه العام ، وإصابته بالمرض المضمئى المقعد .. ولقد تعرّضنا لجوانب هذه الأمراض الجسميّة الخلقية والنفسية بشيء من التفصيل .

● أما لقلة إنتاجهم فإنه حاصل بسبب ضعف القوى ، وإصابة المرض .. وبسبب تبديد الأموال وضياعها في طريق الانحلال والمجون .. وبسبب عدم الإخلاص في العمل ، والإتقان في الإنتاج لانعدام الرادع الإيماني ، والزاجر الأخلاقى لدى الإنسان !!..

هذا عدا عن أنهم سائرون في طريق فقد الكرامة الآدمية ، واللياقة الجسمية والنفسية !!..

● أما اتخذهم الوسائل غير المشروعة فلأن الإنسان الوضيع المنحل الذي ليس له من تقوى الله رادع .. يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق ؟ .. طريق الربا والميسر ، طريق اللهو والترف ، طريق الرشوة والاختلاس ، طريق السرقة وأكل الأموال العامة ، طريق الاتجار بالأعراض ، والاتجار بأفلام الجنس ، والاتجار بالمجلات الخليعة ، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ، والاتجار بالكتب الجنسية ، والقصص الغرامية ..

إلى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لا تعود على المجتمع إلا بالخسارة والضرر ، وقتل الغيرة ومكارم الأخلاق .. إذ بها تهدر الطاقات المنتجة ، وتتعطل المكاسب المشروعة .. ويعيش المجتمع أسير الاستغلال والصوصية .. وسجين الأنانية والمحسوبة .. وعبد الشهوة والشيطان والهوى ..

وإذا كان الاقتصاد في الدول الكبرى كأمريكا وروسيا وغيرها - وهي بؤرة الانحلال والميوعة - لم تُصَبَّ حتى الآن بالتصدع والانهيار .. فإن ذلك عائد إلى أن هذه الدول في أوج شبابها ، والشباب لا تظهر عليه سريعاً أعراض المرض ، ولكن بعد أن تميل هذه الدول إلى الكهولة فإنه سيكون التصدع والانهيار ، ومن قول الشاعر :

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وعليتنا أن لا ننسى أيضاً أن هذه الدول الكبرى هي التي تستعبد الأمم الضعيفة ، والشعوب الصغيرة ، وهي التي تمتص دماءها ، وتسلب خيراتها ، وتجعل من أسواقها سوقاً آخر لبيع منتجاتها .. ولولا هذا الاستعباد والاستغلال لظهر عوار هذه الدول الاقتصادي ، وانهارها الإنتاجي والحضاري منذ زمن ؛ وإن كان مقدمات هذا الانهيار بدأت تظهر في الحكم الشيوعي على صعيد التجارة والاستيراد والإنتاج !!

٥ - الخطر الديني والأخروي :

وأخيراً فإن هؤلاء الذين يتخبطون في أحوال الميوعة والانحلال من شباب الإسلام فإنهم يصابون بأربع خصال ذميمة ، نوّه عن ذكرها ، وعدّد معالمها نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه روى الطبراني في الأوسط عنه عليه السلام : « يَاكُمْ والزنا ، فإن فيه أربع خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ،

ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار .

ومن خطره الديني أيضاً أن الزاني حين يزني ينسلخ من الإيمان والإسلام ..
فقد روى البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن ... »

ومن خطره الأخروي أن الزاني - إذا لم يتب - يضاعف له العذاب يوم
القيامة ، قال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس
التي حرم الله إلا بالحق لا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب
يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ (الفرقان : ٦٨) .

تلکم أهم الأخطار والأضرار التي تنجم عن اقرار الفاحشة ، والتخبط في
أحوال الميوعة والانحلال .. وهي أخطار - كما رأيتم يا شباب - تضر بالصحة ،
وتضر بالأخلاق ، وتضر بالاجتماع ، وتضر بالاقتصاد ، وتضر بالدين ..

ولا شك - يا شباب - حين تدعمون مادة الدعوة التي تدعون بهذه الحجج
الدامغة ، والبراهين القاطعة ، والمنطق العقلاني السديد .. فإن الناس يستجيبون
للحق والهدى ، ويكفون عن الفحشاء والمنكر ، بل تصلح أحوالهم ، وتستقيم
أخلاقهم ، ويكون عندهم الاستعداد التام ، والوجهة الصادقة .. ليرتبطوا
بالجماعة المؤمنة ، ويكثروا سواد الشباب العامل المخلص المجاهد .. الذي يقوم
بدوره الأكبر في الإصلاح والتغيير ..

رابعاً - أن تتحلوا حين تدعون بالأخلاق العالية ولين الجانب .. لأن الذي
يتحلّى بهذه الصفة الكريمة ، ويكون حين يدعو لطيف المعشر ، ويكون هيناً لينا
رقيقاً في لقائه مع الناس ، ودعوته لهم .. لا شك أن تأثيره يكون أبلغ ،
والاستجابة له تكون أقوى .. وهذه الصفات من الرفق واللين ، وخفض الجناح
وحسن الخلق .. هي في الحقيقة من ثمرات الإيمان ، وأخلاق الإسلام وتوجيهات
رسول الإنسانية صلوات الله وسلامه عليه :

- روى البيهقي عن عمرو بن شعيب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من
أمر بمعروف فليكن بمعروف » .

- وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

- وفي رواية لمسلم : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه » .

ويحضرني - يا شباب - هذه القصة التي رواها الثقات عن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور : دخل واعظ على أبي جعفر المنصور ، فأغلظ عليه بالكلام ، فقال له أبو جعفر : [يا هذا ارفق بي ، أرسل الله سبحانه من هو خير منك إلى مَنْ هو شرّ مني ، أرسل الله موسى إلى فرعون فقال له : ﴿ فقولا له قولاً لئنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾] .

فخجل الرجل على ما بدر منه ، وعلم أنه لم يكن أفضل من موسى عليه السلام ، وأن أبا جعفر لم يكن شرّاً من فرعون !! .

ومبدأ اللين والرفق هو الذي أمر به القرآن الكريم بلسان عربي مبين : ﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضتوا من حولك ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

ففي تقديري - يا شباب - أن الواحد منكم حين يكون في الناس رؤوفاً رحيماً ، لئنا رفيقاً ، متواضعاً حليماً .. فالله سبحانه يحقق على أيديكم الخير الكثير ، والنفع العميم ، بل تكونون النجوم الساطعة لإرشاد الخائرين ، والبدور المنيرة لهداية المنحرفين التائهين ..

والذي أخلص إليه يا شباب :

لا يكفي أبداً - كما مرّ - أن تقولوا : قد انصلحت بالإيمان أحوالنا ، واستقامت بالإسلام أخلاقنا ، ولا يضرّنا من ضلّ إذا نحن اهتمدينا ..

لا ، لا .. لا يكفي هذا ، بل مسؤوليتكم - يا شباب - هي أرفع من ذلك وأكبر .. مسؤوليتكم أن تشمروا عن ساعد الجدّ والعمل ، وتنفضوا عن كواهلكم غبار التواني والكسل ، وتسيروا في الحياة عازمين صادقين مخلصين ، لا يصدتكم هول ، ولا تقعدنكم عقبات .. لتقوموا بدوركم الكبير الفعّال في

مواجهة هذه التحدّيات الانحلاّية التي تجتاح أمة الإسلام ، بل عليكم أن تحرّروا المجتمع الإسلامي من برائن الفساد ، وظواهر الميوعة ، وعوامل الانحلال .. بخطوات إيجابيّة معنيّة ، ومراحل دعوية مدروسة .. والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم ، لأنّه القائل في محكم التنزيل : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

* * *

الفصل الرابع

تحديات الحكومات العلمانية

ومن التحديات الكبيرة التي تواجه جيل الإسلام في هذا العصر تحدي الحكومات العلمانية في المجتمعات الإسلامية في كل مكان ، هذا التحدي الظالم المستبد بسلطته وقوته يأكل الأخضر واليابس ، ويكبت الأحاسيس والمشاعر ، ويربي أبناء الأمة على الأسس اللادينية ، ويؤخر تقدم الشعوب المسلمة في وحدتها السياسية ، وعزتها الإسلامية قرونًا وقرونًا ، ويوقع بلاد الإسلام بين فكي الدولتين الكبيرتين المتصارعتين : روسيا ، وأمريكا ، ويسوق الأجيال المتلاحقة نحو الإباحية والإلحاد والتشرد والضياع . .

وإذا أردنا أن نعالج البحث معالجة دقيقة شاملة من جميع جوانبه ، ونلّم به من جميع أطرافه فيحسن أن نتعرض للنقاط التالية :

الأولى : ماذا يقصد العلمانيون برفع شعار العلمانية ؟ .

الثانية : من أين منشؤها ؟ وكيف دخلت على بلاد الإسلام ؟ .

الثالثة : ما هي وسائلها في علّمة الدولة ؟ .

الرابعة : ما هي أهم آثارها على المجتمعات الإسلامية ؟ .

الخامسة : لماذا يتبنّاهم الحكام في أكثر بلاد الإسلام ؟ .

السادسة : ما هي أهم الحلول الإيجابية في مواجهة الشباب لها ؟ .

وسوف أتكلم عن كل هذه النقاط نقطة نقطة . . ، ليعلم شبابنا وشاباتنا وجيل الإسلام في كل مكان حقيقة العلمانية ، وماذا يريد منها دعائها ؟ ولماذا انخرطت أوطانهم في أتونها ؟ وعمّا جناه العلمانيون في بلادنا من تفتيت للوحدة ، ومن فقدان للعزة ، ومن تهديم الكيان الإسلامي العام . . عسى أن يقوموا بدورهم في المواجهة والإصلاح والتغيير . وعسى أن يعيدوا للوطن الإسلامي من غربه إلى شرقه أصلاته في الإيمان والوحدة والقوة والمكانة المرموقة تحت الشمس . . والله من وراء القصد ، والهادي إلى سواء السبيل .

١ - ماذا يقصد العلمانيون برفع شعار العلمانية ؟

كلمة « العلمانية » في الأصل مشتقة من لفظ « العلم » ، ويريد دعايتها من رفعهم لهذا الشعار : أن تسير قوانين الدولة ، ووسائل إعلامها ، وأنظمة قضائها ، وجميع مؤسساتها . . على أسس علمية ، ومنطلقات عقلية ، وتشريعات بشرية ، وتقنيات وضعية . . دون أن يكون للدين أى هيمنة أو تأثير ولرجال الفقه الإسلامى أى تدخل أو تقنين !! .

وهذا التفسير للعلمانية يعنى أن تسير الأمة في طريق اللادينية ، أو إن شئت فقل : أن تفصل الحكومات الدين عن الدولة ، وتترك ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله !!

وهنا يريد هذا السؤال : لماذا عبر العلمانيون عن اللادينية بالعلمانية ؟

عبروا بالعلمانية عن اللادينية لخبث دفين في نفوسهم ، ومكر مبطن في رفع شعاراتهم . . وهذا الخبث والمكر يتجسد في إقناع الشعوب بأن أنظمة الحكم ، وقوانين الدولة . . ينبغى أن تقوم على أسس من العقلانية والموضوعية ، وعلى مراحل من التطور والواقعية ، وعلى قواعد من أصول العلم ، والممارسات التجريبية . .

وأحيانًا يتخذون أسلوبًا آخر في المكر والخداعة لإقناع الأمم ، وترغيب الشعوب كقولهم : إن للدين كرامته وقداسته في نفوس المتدينين ، فلا يصح أن نزع به أبدًا في صراعات الحكم ، ومشكلات الدولة ، وتيارات المبادئ . . بل ينبغى أن يبقى للدين مكانه العلوى ، ومركزه اللائق في التبجيل والتكريم . . دون أن نعرضه لفتنة ، أو نقذف به في خضم الصراع ، أو نلقى به في أتون الأفكار والمبادئ !! .

وأحيانًا يبلغ المكر السياسى مبلغه في أسلوب هؤلاء ومخادعتهم كأن يقولوا : إن للدين دوره الأكبر في إصلاح الأخلاق ، وتركيب النفوس ، وتنقية الضمائر . . فإذا كان الأمر كذلك فلنترك للدين مهمته في أداء رسالته الإصلاحية والتهديبية . . ولنترك للقوانين مهمتها في أداء رسالتها التنظيمية والإدارية والقضائية . . دون أن يتدخل أحدهما في اختصاص الآخر ، ودون أن يتعدى أحدهما على حدود الآخر !! . .

ولا شك أن الغرض من طرح هذه الأفكار والقناعات . . هو دفع تهمة اللادينية عنهم ، وأنهم غير ملحدين . . أو على الأقل هو التلطف والمداراة لكي لا يصدموا بشعاراتهم الكافرة مشاعر المسلمين !! .

أرايتم - يا شباب - لماذا يرفع اللادينيون في الوطن الإسلامي شعار العلمانية؟ ولماذا يطبلون بها ويزمرون؟ فما تخفيه صدورهم أكبر ، والله المستعان على ما يصفون . .

٢ - كيف كانت نشأة العلمانية؟ وكيف دخلت بلاد الإسلام؟

أما كيف نشأت العلمانية فالتحقيق التاريخي أنها نشأت في بلاد الغرب في القرون الوسطى ، وذلك لأسباب وظروف دعت رجال الإصلاح ، وأرباب الأقلام ، ودعاة الفكر في الغرب أن يتبنوها ، ويدعوا إليها ، ويهييوا بالحكام وأصحاب النفوذ بأن يضعوها في حيز التطبيق والتنفيذ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ولكن ما هي أهم الأسباب والظروف التي دعت العلمانيين في بلاد الغرب إلى أن يرفعوا شعار العلمانية ، وينادوا بفصل الدين عن الدولة؟ (١) .

١ - كانت المسيحية خلال القرون الثلاثة من الميلاد تدعو إلى تعاليم المسيح عليه السلام المتمثلة بالحب والرفق والرحمة ، وتهم بإدخال الوثنيين واليهود في حظيرتها عن طريق الدعوة المسالمة ، والموعظة الحسنة . .

وبذلك لم تكن في الموقف المناوئ للدولة ، المعرقل لخطي الإصلاح والعلم والنهضة . . ولم يكن رجال الدين في هذه القرون الثلاث سيفاً مصلتاً في وجوه الأحرار والمفكرين والمصلحين ورجال السياسة . . بل كانت في هذا الطور تقف من الدولة ونظمها وأهدافها . . موقف المسالم المؤيد لأن تعاليم المسيح عليه السلام كما جاء في إنجيل متى : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » .

(١) المرجع في هذا البحث كتاب « الدين والدولة » للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله .

ومعنى هذا أن رسالة المسيح عليه السلام تميّز في هذا الطور بالظواهر التالية :

أ - إنها كانت تحمل رسالة التهذيب ، والإصلاح الخلقى ، والسموّ الروحي . .

ب - إنها ما كانت تتدخل في شؤون الدولة ، ولا تعنى بقضايا الحكم والإدارة .

ج - إنها مكتملة لشريعة موسى عليه السلام .

د - أنها لم يكن لها نظام كهنوتي يجعل من رجال الدين فيها أداة سيطرة على ضمائر الناس وعقائدهم .

٢ - منذ أن أعلن الامبراطور « قسطنطين » في عام /٣٢٤/ م/ حماية المسيحية ، ومنع اضطهاد رجالها ابتدأت المسيحية عهدًا جديدًا لم تكن تحلم به من قبل ، فقد أعفَى الأمبراطور المذكور « القسّ » من أعباء كثيرة ، كما أعفيت أملاك الكنيسة من بعض الضرائب ، ثم جاء من بعده الامبراطور « تيودور » فتابع سياسة « قسطنطين » في منح الامتيازات للكنيسة ورجالها ، والتي من أهمها : عقد المحاكم في الكنائس ، وإعفاء رجال الدين من كل الضرائب .

فما إن أطلّ القرن الخامس الميلادي حتى كان رجال الدين فئة مستقلة تمتاز عن الشعب في كل شيء ، فانفتح الطريق واسعًا أمام سيطرة رجال الدين سيطرة تحكمت في تاريخ المسيحية في العصور الوسطى تحكّمًا تامًا . . حتى ليصحّ أن يقال : إن تاريخ المسيحية في هذه الفترة هو تاريخ الكنيسة ، أو هو تاريخ رجال الدين !! .

وقد تجلّت هذه السيطرة الكنسيّة في الميادين الرئيسية التالية :

أ - في الميدان السياسي :

إذ أصبح آباء الكنيسة في القرون الوسطى يتدخلون في شؤون الممالك المسيحية ، ويتوجّجون الأباطرة ، ويولون أو يعزلون من يرضونه أو يسخطون عليه !! .

جاء في كتاب « معالم تاريخ العصور الوسطى » ص : ١٢٧ ما يلي : [إن البابا « غريغوس » السابع أعلن سنة /١٠٨٥ م/ أن الكنيسة هي صاحبة السيادة في العالم كله ، تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمتد هي ملوك الأرض وأمراءها بالنفوذ ، وأن البابا له مركز فذ في العالم ، فهو الذي يولّي الأساقفة ويحلّهم ، وله الحق في خلع الأباطرة ، لأنه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون] .

وجاء في الكتاب نفسه ص : ١٤٠ : [وأقصى من هذا أن يعلن البابا حرمان أي امبراطور فيضطر أحياناً إلى الوقوف ببابه ثلاثة أيام حافي القدمين ، عاري الرأس . . . بين الثلوج والأمطار حتى يأذن له البابا ويغفر له ذنوبه ! ! . . كما فعل الامبراطور « هنري الرابع » حين حرّمه البابا عام /١٠٧٦ م/ ، ويضطر أحياناً أن يركع بين يدي البابا ، كما فعل الامبراطور « فردريك » حين حرّمه البابا عام /١١٧٧ م/ . .] .

ب - في الميدان الاجتماعي :

فقد أصبح رجال الدين في القرون الوسطى طبقة متميزة لها محاكمها الخاصة ، ولها ضرائبها الخاصة ، ولها تقديسها الخاص . . التي ربما قضى المذنبون فيها كل حياتهم ، حتى أن البابا « بونيفس » الثامن أصدر أمراً عام /١٢٩٦ م/ يقضي بعدم دفع الضرائب لأية مملطة زمنية ، ويهدّد بالحرمان من يقبل دفع الضريبة ، كما جاء في كتاب « معالم تاريخ العصور الوسطى » .

ج - في الميدان الفكري :

ضافت الكنيسة بكل مخالفيها في الدين والعقيدة من شعوب وأفراد :
- أعلنت الكنيسة الحروب الصليبية على المسلمين لحقدّها الأسود الدفين على رسالة الإسلام ، وأمة الإسلام . . فما انتهت من هذه الحروب إلا بعد مائتي سنة ملكت بالدمار والخراب والشقاء . .

- وأعلنت الحرب على المسيحيين (الهراطقة) التي قضت على مدن عامرة ، ومدنية زاهرة . . ولم يكن هؤلاء من ذنب - وقد كانوا مسيحيين - إلا أنهم

ارتابوا في صحة مبادئ روما ، وفي التفسير الصحيح للإنجيل .

- وأعلنت الحرب ضد (الوالدونيين) وهم أتباع رجل اسمه « والدو » ولم يكن له ذنب إلا أنه نعى على رجال الدين ثراءهم وترفهم ، فأعلن البابا عليه وعلى جماعته الحرب وأذن لكل فظّ غليظ مجرم أن ينضمّ إلى هذه الحرب ، وأن يُعْمِلَ السيف ، والنار ، واغتصاب الأموال ، وانتهاك الحرمات ، وخنق الحريات !! ..

وأعلنت الحرب ضد « لوثر » والبروتستانت حتى جرت بعلم الكنيسة وتحريضها مذبحه « سانت بارتلمى » الرهيبة عام / ١٥٧٢ م ، وقد تمّ فيها ذبح مائة ألف بروتستانتى في ليلة واحدة !! ..

وأعلنت الكنيسة « محاكم التفتيش » للتحقيق في عقائد المتهمين ، وفي إخلاصهم للكنيسة ، وولائهم لها .. من مسلمين^(١) ، ويهود ، وبروتستانت ، وأرثوذكس !! ..

وطاردت رجال الفكر والفلسفة والإصلاح في آرائهم ، فأحرقت الكنيسة من أحرقت منهم وهم أحياء ، كما أحرقت « جون هيس » عام / ١٤١٥ م ، وأحرقت « جيروم البراجي » و « جان دارك » و « برونوا » عام / ١٥٨٩ م ، وأحرقت « فانيى » عام / ١٦١٩ م ، وأهلكت وقتلت وأحرقت .. مئات غيرهم !! ..

وسجنت مَنْ سجنت أمثال : « أيلارد » و « روجر بيكون » و « جاليلو » .. ومئات غيرهم من العلماء والمصلحين ، قضى منهم من قضى في سجنه ، وأحرق منهم من أحرق بعد موته ، وشُرِّدَ منهم من شُرِّدَ عن أرضه ووطنه !! ..

وقد قدّر بعض المؤرخين عدد ضحايا التفتيش منذ نشأته في القرن الثالث عشر حتى إلغائه في نهاية القرن الثامن عشر بما لا يقلّ عن تسعة ملايين من الناس^(٢) !! ..

(١) بالنسبة للمسلمين أجبروا على التنصير .

(٢) من كتاب « محاكم التفتيش » للدكتور زكى على ص : ٥٠٠ .

ولم تكن الكنيسة بمطاردة رجال الفكر والعلم والإصلاح في أجسامهم وأرزاقهم . . بل طاردتهم في آرائهم وكتبهم ، فأحرقت الكنيسة الكتب ، وصادرت المؤلفات ، بل كفرت كل من يقول بدوران الأرض حول الشمس ، وبحرية الإنسان في فهم الكتاب المقدس دون وساطة القسس والباباوات ! ! .

٣ - كان من الطبيعي بعد هذه المآسى أن ينفجر البركان في الغرب :

لم تكن المسيحية الأولى - كما مر - هي التي توقد هذا البركان بمسيحها وإنجيلها . . ولكنهم رجال الدين بقسوتهم وأنايتهم ، وتحريفهم لتعاليم المسيح ، واستغلالهم على البشر ، وشهوة التحكم والاستبداد في نفوسهم ! ! .

ابتدأ الصدام أولاً بين الكنيسة والأباطرة والملوك ، ثم انتقل إلى المجالس الشعبية ، حيث قرّر البرلمان الانكليزي عام / ١٣٠١ م أن ليس للبابا حق التدخل في الشؤون الداخلية ، وقرّر مثل ذلك « مجلس طبقات الأمة » في فرنسا عام ١٣٠٢ م . ثم تحركت الأقلام والأفكار والشخصيات :

ففي مثل « أيلارد » و « ويكلف » و « جون هوس » و « لوثر » و « كلفني » تتمثل ثورة المتدينين على مفاسد النظام الكنسي .

وفي مثل « روجر بيكون » و « كوبر نيكوس » و « جاليلو » تتمثل ثورة العلماء على ثقافة الكنيسة وعلومها . .

وفي مثل « ديكارت » و « فولتير » و « روسو » . . تتمثل ثورة الفلاسفة والأدباء على الكنيسة ورجالها على السواء .

وفي القرن السادس عشر عام ١٥٤٦ م قال « لوثر » في بيان وجهه إلى النبلاء الألمان : [أليس من المزري أن يطلب « البابا » لنفسه حق التصرف في الامبراطورية ؟ ، وإلا فهل نسي قول سيده (يعنى المسيح عليه السلام) : إن ملوك الأرض يسودونها ؟ ولكن شأن البابا ليس كشأن الملوك ، فليُنزل إذن قسيس « روما » عن حقوقه المزعومة في مملكة « نابولي » و « صقلية » فإن حقه هناك لا يزيد على حقي أنا « لوثر » ، وليؤدّ البابا فريضة الصلاة ، وليذر الأمراء يحكمون الأرض . .]^(١) .

(١) من كتاب « معالم الدولة » لأحمد توفيق (١ / ٣٣٨) .

٥ - وجاءت في الأخير « الثورة الفرنسية » عام /١٧٨٩م لتقول لرجال الدين : « ارجعوا إلى أماكنكم ، وانزروا في معابدكم ، ولا تتعدوا التعاليم التي جاء بها المسيح » .

ومنذ ذلك الحين أعلن في أوروبا مبدأ « فصل الدين عن الدولة » ، وإقصاء رجال الدين عن السياسة العامة ، وأُعطي « ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » . وهي - لا شك - النتيجة الحتمية لخروج الكنيسة عن حدود وظيفتها ، ومخالفتها لتعاليم المسيح عليه السلام ، ولافئسات رجال الدين على حقوق الدولة وسيادتها !! .

هذا هو السرّ في أن تقف أوروبا في وجه الكنيسة هذا الوقوف الصارخ ، وأن تنادي بملء شديها بفصل الدين عن الدولة ، وأن تحارب بشدّة وحزم تدخل رجال الدين بقضايا الحكم ، وشؤون السياسة . .

٥ - ولا شك أن الإسلام بطبيعة نظمه ، وشمول أحكامه ، ومسؤولية علمائه . . يختلف كل الاختلاف عن طبيعة الديانة المسيحية ومبادئها . . ودور رجال الشريعة في الإسلام يختلف أيضاً عن الدور الذي يجب أن يقوم به رجال الدين في المجتمعات المسيحية !! . .

فإذا كانت المسيحية الأولى أعطت - كما مرّ - « ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » فإن الإسلام في تشريعه الشامل وضع من أصول الحكم ، ومناهج الحياة ، وأنظمة الدولة . . ما يفرض على أيّ حاكم أن ينفذ هذه الأصول ، وهذه المناهج ، وهذه الأنظمة . . تنفيذاً دقيقاً محكماً شاملاً ، فإذا حاد عنها ، أو تغاضى عن تنفيذ بعضها . . فيكون مسؤولاً أمام الله يوم يأتيه يوم القيامة فرداً ، ومسؤولاً في الوقت نفسه أمام الأمة في محاسبته أو خلعه . . ومسؤولاً أمام التاريخ وأمام الأجيال . . في محاكمته وكتابة اسمه في سجل الخائنين لله ولرسوله وللمؤمنين . .

وإذا كانت المسيحية الأولى حدّدت لرجل الدين المسيحي مهمته ، وقصرتها على السموّ الروحي ، والإصلاح الخلقي ، والتهديب النفسي . . فإن الإسلام كلّف أي مسلم في الأمة - وعلى الأخصّ رجل الشريعة فيها - أن يقف في وجه الحاكم إذا تمادى ، وينصحه إذا فرط . .

والتاريخ الإسلامي يتحدث عن كثير من الدعاة والعلماء . . على اختلاف مستوياتهم وقفوا أمام الحكّام برباطة جأش ، وجرأة حقّ ، وقوة إيمان . . كأمثال سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وأحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والعز بن عبد السلام ، ومنذر بن سعيد ، وسلمة بن دينار ، والشهيد سيد قطب ، والشيخ عبد العزيز البدري ، والمجاهد مروان حديد . . ومئات غيرهم من المستقدمين والمستأخرين ، والقدامى والمحدثين^(١) . .

فإنهم كتبوا في سجلّات التاريخ أخلد المواقف ، وأروع الأمثلة . . بل أعطوا للأجيال المسلمة قدوة في نبل مواقفهم ، وعظيم تضحياتهم ، وكريم ثباتهم وجرأتهم . . رحمهم الله وأعلى منزلتهم في عليين .

ومما يجب أن يعلمه كل إنسان أن كل مسلم في المجتمع الإسلامي هو رجل دين ، وهو بهذا المفهوم ملتزم للإسلام عقيدة وسلوكاً ومنهجاً . . ومكلّف دائماً بأداء رسالته دعوةً وتبليغاً ومناصحة . . ومسوق بحكم التزامه لدعوة الإسلام أن يقول كلمة الحقّ أينما كان لا يخاف في الله لومة لائم . .

ولا شك أن رجال الفقه ، وعلماء الشريعة هم أعظم مسؤولية أمام الله وأمام الأجيال . . في حمل الأمانة ، وأداء الرسالة ، والتزام مبادئ الإسلام . . باعتبار أن العالم في الأمة هو محلّ قدوة للناس أجمعين ، وأنه أقدر من غيره في إظهار الحجّة ، وإبطال الباطل ، ومناهضة المنحرفين والشاذين . .

فانطلاقاً من هذا المفهوم والتصور يتبين لكل ذي عقل وبصيرة . . أن فكرة رجل الدين في التصرّو الإسلامي هي فكرة كهنوتية هبّت رياحها في ديارنا من ديار الغرب بعد القرن الثامن عشر الميلادي ، ليصبغ دعاة العلمانية رجال الفقه والشريعة بصبغة كهنوتية بغیضة ، وليحدّدوا لعالم الشريعة المختصّ مهمته التي لا تتجاوز جدران المسجد ، ولا تتعدّى التعليم ووعظ العوامّ ! ! . . أما أن ينتقد الحكم ، وينصح الحاكم ، ويقول للظالم يا ظالم ، ويشارك في أمور

(١) من أراد التفصيل في أخبار رجالنا في التاريخ فليرجع إلى ما كتبناه في كتابنا « إلى ورثة الأنبياء » ، وإلى كتاب « مسؤولية العلماء » للشيخ عبد العزيز البدري رحمه الله ، وإلى كتاب « من أخلاق العلماء » للشيخ محمد سليمان نجد فيها من مواقف النصح والجرأة في الحق ما يشفي الغليل إن شاء الله .

السياسة ويتولى شؤون الإدارة والوزارة والقضاء . . فهذا كله ليس من اختصاصه ولا من مهمته وصلاحيته . .
ولا شك أن هذا مما يسعى إليه اللادينيون ، وما تخطط له الماسونيّة ، وما يرغب به الاستعمار ، وما تفرضه الشيوعية ! ! . .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمفهوم الكهنوتي عند النصارى ، وإنما يوجد في الإسلام رجال اختصاص في الشريعة والسيرة واللغة والتاريخ . . وهذا الاختصاص لا يمنع رجل الشريعة والاختصاص بأن يشارك في قضايا الحكم ، وشؤون السياسة ، ما دام كفؤاً وأهلاً لحمل الأمانة ، وجديراً بتولّي المسؤولية . . كما أنه ليس له صفة القداسة بالمفهوم الكهنوتي ، وليس له أيضاً صفة العصمة ، وإنما هو بشر يخطيء ويصيب ، ويحسن ويسيء . . لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، والتشريع لا يكون إلا لله . . . ورحم الله الإمام مالكاً حين وقف مرة أمام قبر الرسول ﷺ وقال قوله الخالدة : « ما منّا إلا من ردّ ورُدّ عليه إلا صاحب هذا القبر » ، وأشار إلى قبر الرسول ﷺ .

والعالم الحق هو الذى يربط الحق بشريعة الله لا بشخصه الفانى القاصر ، بل ينظر فيما يفعله وما يُفتى الناس فيه ما يحكم الشرع له أو عليه ، بل يقبل تصويب من يُصوّبه إذا أخطأ ، ونصح من ينصح له إذا هو أساء ، وهو بهذا المفهوم لا يعطى لنفسه حق القداسة والتعظيم إلا بقدر ما يأذن به الشرع ، وتأذن به تعاليم الإسلام . .

*وأما كيف دخلت العلمانية بلاد المسلمين ؟

فبعد أن ذكرنا ان العلمانية نشأت في بلاد الغرب في القرون الوسطى لأسباب دعت إليها ، وظروف قد لا يستها . . بقى أن نتكلم عن ملابسات دخولها في بلاد الإسلام ، ليعلم شباب الإسلام في أقطار الأرض كيف دخلت ؟ ومن هم الذين قاموا على تنفيذها ؟

سبق أن ذكرنا في بحث « تحدي الغزو الفكرى » أن أعداء الإسلام لما فشلوا

في استخدام الحديد والنار في تحطيم وحدة المسلمين ، وارتدت فلولهم ذليلة مدحورة أمام جيش صلاح الدين . . فكروا في أسلوب آخر يسلكونه في محاربة المسلمين ، ألا وهو اصطناع عملاء لهم في العالم الإسلامي يُسيّرهم الاستعمار واليهود والماسونية العالمية . . من أجل إلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وتفتيت وحدة المسلمين . . وسبق أن بينّا أن تنفيذ المؤامرة بدأ بأعضاء « جمعية الاتحاد والترقي » الذين ثاروا ضد الخلافة بإيجاع من الدول الاستعمارية الحليفة ، وبتحريض ، من الماسونية التي كانوا ينتسبون إليها .

يشير الشيخ « محمد رشيد رضا » كما جاء في كتاب « السرّ المصون » للويس شيخو ص : ٣٥ : [إلى أن زعماء الاتحاد والترقي الماسونيين كانوا يبذلون أقصى جهدهم لنشر الماسونية بين ضباط الجيش لتدبير المؤامرات ، وإحداث الانقلابات ضد الدين ، وجعل رجال الحكومة من شيعتها وأعضائها تمهيدًا للفصل بين السياسة والدين] . وسبق أن أوضحنا أن تمام تنفيذ مؤامرة الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، وتفتيت وحدة المسلمين . . كان على يد العميلين « كمال أتاتورك » و « عصمت إينونو » فهما اللذان أوحيا إلى مجلس الأمة التركي عام ١٩٢٤م في اتخاذ القرار بإلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، ورفع شعار العلمانية . .

وكان من بنود المؤامرة التي اشترطها المستعمرون على أتاتورك في معاهدة « لوزان » عام ١٩٢٢م : [إلغاء الخلافة ، وطرد الخليفة خارج الحدود . . إعلان علمانية الدولة ، شل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية ، استبدال الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني وضعي . .] .

وفي عام /١٩٢٥م/ ألغى أتاتورك المحاكم الشرعية والأوقاف ، وأصدر قانونًا يقضي بإلغاء الأزياء الإسلامية ، وعمل على تعميم لبس القبة الأجنبية ، واستبدال التحية (السلام عليكم) بإحناء الرأس أو برفع القبة . .

وفي عام /١٩٢٨م/ ألغى أيضًا تدريس العلوم الشرعية ، واستبدال الأذان باللغة التركية ، وسوى في الميراث بين الرجل والمرأة ، وألغى نظام تعدد الزوجات ، واستبدال الحروف العزبية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد . . إلى غير ذلك من هذه التغييرات الجذرية . . وبعد هذه التنفيذات

الخائنة التي قام بها العميل « أتاتورك » اعترفت الدول الحليفة : انكلترا ،
وفرنسا ، وإيطاليا ، واليونان . باستقلال تركيا ، وانسحب الانكليز من
استنبول والمضائق . .

وعلى إثر ذلك - كما مرّ - احتج أحد النواب الانكليز على وزير خارجية
انكلترا « كرزون » في مجلس العموم البريطاني لاعترافه باستقلال تركيا ، فأجابه
الوزير على الفور : « الحقيقة أن تركيا قد قضى عليها ، ولن تقوم لها قائمة لأننا
قضينا على القوة المعنوية فيها : الخلافة والإسلام » .

* * *

بات معلومًا أن العالم الإسلامي بعد الإجهاز على الخلافة الإسلامية وما
سبقها وما تبعها من تقطيع لأوصال العالم الإسلامي ، وما صاحب ذلك من
حملات التبشير والاستشراق ، وتخطيطات الماسونية العالمية التي تديرها اليهودية
في الخفاء . . بات معلومًا أن العالم الإسلامي صار كجسد مشخن بالجراح ،
ويوشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة . .

ولكن الصليبيين ومن وراءهم وعوا الدرس من أن صحوة المسلمين تتم
بسرعة ، وأن أمة الإسلام قد تعود إلى أصالتها في القوة والجهاد والوحدة
والترابط . .

إذن فليتحذروا من الوسائل ما يضمن بقاء الجسد الممزق هامدًا مشخنًا بجراحه
بعيدًا عن روح الإسلام ، متخبطًا في مستنقع اللادينية ، منساقًا وراء العلمانية . .
حتى لا يقوم للعالم الإسلامي بعد اليوم قائمة ، وحتى لا يعود إلى أصالته في
القوة والوحدة التي تتمثل بالخلافة والإسلام . .

فمن أهم هذه الوسائل التي انتهجها أعداء الإسلام في هذا العصر وعلى رأسهم
أمريكا وروسيا والماسونية التي تديرها اليهودية استبدال الاستعمار العسكري
بعمالة محلية مرتبطة بأمريكا أو روسيا . . وذلك عن طريق الانقلابات العسكرية
التي يقوم على تنفيذها رجال وطنيون يدينون بديننا ، ويتكلمون بألسنتنا . .
فهؤلاء أقدر على التغيير الاجتماعي ، وفرض العلمانية ، والاحتكام إلى القوانين
اللا دينية . . من الاحتلال الأجنبي نفسه .
وفي كثير من الأحيان حين تصطنع القوى الدولية المتصارعة حكمًا عسكريين

يأترون بأمرها ، ويتهون بنهيا . . فإنها تظهرهم بمظهر البطولة والوطنية خداعًا وتزويرًا ، ليصفق الجمهور لهم ، ويسير وراءهم دون أن يعرف اللعبة ، ودون أن يتفهم خيوط المؤامرة . . ويا ويل من يعارضهم أو يقف في وجههم فإنه يتم بالتآمر على نظام الحكم ، أو بالخيانة العظمى ، وربما تكون نهايته الإعدام ، أو السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة ، أو التعذيب حتى الموت ! ! . .

ونريد أن نتساءل لماذا استبدلت القوى الدولية المتصارعة في العالم الاحتلال العسكري الاستعماري بالانقلابات العسكرية المحلية الوطنية المرتبطة بها ، والتي تعطيها ولاءها ؟
استبدلت ذلك لأمر ذكرها الدكتور علي جريشة في كتاب « أساليب الغزو الفكري . . . » ص : ٥٢ :

١ - أن النخبة الوطنية التي حلت محل « النخبة الأجنبية » وفرت على الأخيرة أولاً : الدم والمال التي كانت تبذل في الحروب الصليبية أو في محاولات الاستعمار . .

٢ - وأنها كذلك منعت إثارة المشاعر . . الدينية أو الوطنية . . التي كانت تتحرك حين يرى الشعب الجيوش الأجنبية قادمة . . تتحدى قيمه الدينية . . أو قيمه الوطنية . . ومن ثم فقد منعت المقاومة أو ميعتها . .

٣ - إنها بلباس الوطنية . . نفذت المطلوب . . ليس فقط دون مقاومة ، بل أحيانًا مع استحسان الجماهير لها ، وحماسها الحار^(١) .

٤ - إنها استطاعت أن تقضي على كل معارضة من أي فئة ؟ دون أن يتحرك أحد لنصرة هذه الفئة . . بل مع اعتقادهم بما تذيعه « النخبة الوطنية » المسيطرة من أن المعارضين خوارج أو خونة . .

(١) يقول « مايلز كوبولاند » كما جاء في كتاب « لعبة الأمم » ص : ٥٥ : « فإن مساندتنا لأي زعيم للوصول إلى دفة الحكم ، والبقاء هناك حتى يحقق لنا بعض المصالح التي نريد ، لا بد أن يرتطم بالحقيقة القاسية ، وهي أنه لا بد من توجيه بعض الإساءات لنا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة ، ويضمن استمرارها ، وهذا معناه حتى يكسب الزعيم مزيدًا من الصفات الوطنية ، واستحسان الجماهير له ، وبرأته من أي تهمة ! ! . .

وقد يرد سؤال آخر لماذا يفضلونها عسكريّة؟

لأنها أسرع في الوصول إلى الحكم ، وأكثر شغفًا بالسلطة .
لأنها أسرع في تلبية الأوامر الخارجية ، والالتزام حرفيًا بها .
لأن قبضتها أقوى بالنسبة لأية معارضة أو مقاومة . .
أن الطبقة العسكرية في أغلبها أعدت إعدادًا خاصًا يجعلها « علمانية »
وغربيّة . . فهي أنسب الفئات لتنفيذ مخطط المحاربة للإسلام .
أنها تزيج بذلك احتمال تقدم عناصر دينيّة إلى الحكم عن الطريق الشعبي
العادي . .

وهذا الذي ذكرناه لا يمنع من بقاء أنظمة للحكم غير أنظمة الانقلابات
العسكرية في بلاد الإسلام من قبل القوى الدولية المتصارعة . . من أجل أن تقوم
بدورها في تنفيذ المخططات الاستعمارية ، أو مخططات الصهيونية ، أو مخططات
الشيوعية . . ما دام أن الحكم مستتبّ في هذه الأنظمة غير العسكرية ، وما دام
أنها تحقق الغرض الذي تحقّقه الأنظمة العسكرية ، وما دام أنها تقوم على تنفيذ
العلمانية ، وإبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة . .

أعرفتم - يا شباب - كيف نشأت العلمانية؟ وما هو السرّ في دخولها بلاد
الإسلام؟ ومن هم الذين قاموا على تنفيذها في العالم الإسلامي؟
إذا عرفتم هذا فلا يسعكم إلا أن تناهضوها ، وتفقوا في وجهها ، وتستأصلوا
شأفتها ما استطعتم إلى ذلك سبيلًا .

وحين نتكلم عن الحلول الإيجابية في مواجهة العلمانية فسوف نسلط الأضواء
على الطريقة المثلى في مواجهتها ومحاربتها ، عسى أن تكون لكم نورًا ونبراسًا في
طريقكم إلى العز والنصر ، والله سبحانه يتولّاكم ويرعاكم ، ويفتح لكم من
الأسباب والوسائل . . ما بها تصلون إلى أشرف الغايات ، وأسمى
الأهداف . .

وهل من غاية أشرف ، ومن هدف أسمى من العمل في سبيل الله وإقامة
حكم الله في الأرض ، وبناء وحدة الإسلام السياسية الممتدة الأطراف ، الواسعة
الأرجاء . . ؟ . .

لا أعتقد ذلك اللهم إلا إذا انسلخ المسلم من الإسلام ، وأعطى ولاءه لمن
يمشى في ركابه من العملاء اللادينيين المارقين الأقرام !! . .

٣ - ما هي أهمّ وسائلها في تعميق عِلْمَنَةِ الدولة ؟

إن للحكومات العلمانية التي تفرض سلطانها على كثير من بلاد الإسلام طرائق
ووسائل في عِلْمَنَةِ الدولة ، وفصل الدين عن السياسة . . وسوف نكشف -
بعون الله تعالى - الستار عن أهمّ وسائلها وطرائقها . . ليعلم شبابنا ماذا يريد
العلمانيون اللادينيون إذا تولّوا السلطة ، وتحكموا في رقاب الأمة ؟ وما هي
خططهم ووسائلهم في ذلك ؟

الوسائل التي يتخذها العلمانيون في عِلْمَنَةِ الدولة تتجه في أمور خمس :

- الأولى : - في الدسائس الفكرية اللادينية .
- الثانية : - في إخماد الحركات الإسلامية .
- الثالثة : - في القوانين التي يفرضونها .
- الرابعة : - في التعليم الذي يوجهونه .
- الخامسة : - في وسائل الإعلام التي يسخرونها .

وسوف نتكلم عن كل واحدة من هذه الوسائل بشيء من التفصيل وعلى الله
قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق :

١ - في الدسائس الفكرية اللادينية :

من أهم ما تحرص عليه الحكومات اللادينية العميلة ، ولا سيما التي فرضت
سلطانها على بلاد الإسلام بقوة الحديد والنار . . من أهم ما تحرص عليه توعية
الجيل الإسلامي الناشئ بالفكر اللاديني ، والتوجيه للأخلاقى . . ليرتبط الجيل
بها ، وينقاد لأفكارها ، وينفذ في المستقبل جميع مخططاتها ، ويندفع بقوة في الدعوة
إلى مبادئها . .

ولا شك أن لهذه الحكومات اللادينية زمرة من العملاء ، وطبقة من
الدعاة . . متصّفة بالمكر والدهاء ، ومزوّدة بأساليب الإغراء والتضليل . . ما
تستطيع التأثير بها على عقيدة الولد ، وأخلاق البلد !! . .

سبق أن ذكرنا في بحث « مخططات العملاء في الداخل » أهم الأساليب التي يسلكها دعاة العلمانية في الإفساد والتضليل ، وما نحن أولاء سنعددها باختصار على سبيل التبصرة والذكرى :

فمن أساليبهم : ترغيب مَنْ يتوجه على أيديهم بالحضارة الغربية ، أو المبادئ الشرقية . . ووجه الترغيب : أن أصحاب هذه الحضارات والمبادئ ما وصلوا إلى قمة المجد والقوة إلا بعد أن طرحوا الدين جانبًا ، وحصروه بين جدران المعبد ! ! .

ومن أساليبهم : تنمية الولد عند التخرّج بالوظيفة والجاه والمنصب . . إذا قبل الولد أفكارهم ، وانتمى إلى منظماتهم ..

ومن أساليبهم : تشكيك الشباب في النظم الإسلامية كقولهم : إن نظم الإسلام قد انتهى دورها ، واستنفدت أغراضها . . فلم تعد صالحة لعصر الذرة والكهرباء والعلم .

ومن أساليبهم : إقناع الجيل بأن الإسلام ظلم المرأة . . وذلك بفرضه الحجاب عليها ، وبأمره بعودها في البيت ، وبعدم تسويته في الميراث مع الرجل ، وبإعطائه الرجل حق القوامة . . ولا يمكن للمرأة في العصر الحديث أن تصل إلى حقوقها كاملة إلا أن تتحرّر من قيود الدين والأخلاق والأعراف ! ! . .

ومن أساليبهم : دفع المراهقين والشباب والشابات إلى الاختلاط والصدقة البريئة ، بحجة أن الاختلاط يصعد الفرائز ، ويجعل الالتقاء بالمرأة أمرًا مألوفًا عاديًا ! ! . .

ومن أساليبهم : أن الانطواء الغريزي ، والكبت الجنسي . . يؤلّد في الجيل أمراضًا نفسية عصبية . . وليس ثمة من حلّ إلا الانطلاق في حمأة الشهوات ، والاسترسال وراء الملذات ! ! . .

ومن أساليبهم : طرح الشعارات المزيّفة في كل حين ، فحينًا تكون المناذرة باسم الوطنية ، وأحيانًا تكون المناذرة باسم القومية ، وتارة تكون باسم التقدمية ، وأخرى باسم الاشتراكية والمبادئ الثورية . . عدا عن مناداتهم بتحرير المرأة ، وتحرير العامل ، وتحرير الفلاح . . إلى غير ذلك من هذه الأساليب المضلّة ،

والأقويل الخبيثة . . في محاربة الإسلام ، وهدم العقيدة الربانية في المجتمعات الإسلامية .

أعرفتم - يا شباب - هذه الأساليب الحاقدة اللقيمة التي تنتهجها الحكومات العلمانية العميلة في أكثر بلاد الإسلام في إفساد الجيل المسلم عقيدياً وخلقياً وفكرياً . . فإذا عرفتم هذا فما هو دوركم في الإصلاح ؟ وما هي مسؤوليتكم في التغيير ؟ وما هي مهمتكم في الإنقاذ والتحرير ؟

٢ - في إخماد الحركات الإسلامية :

مما لا يختلف فيه اثنان أن الحكومات العلمانية التي فرضت سلطانها على بلاد الإسلام بالانقلابات العسكرية ، وبقوة الحديد والنار . . أو التي ربّاهما الاستعمار وأوجدها لتنفيذ أغراضه ومخططاته . . هذه الحكومات نفسها تقف من الحركات الإسلامية موقف العداء والمحاربة . . تلبية لما يريده أسيادهم من القوى الدولية المتصارعة سواء كانت هذه القوى استعمارية غربية ، أو كانت شيوعية شرقية . .

والدافع لهذا العداء والمحاربة :

حتى لا تصل هذه الحركات إلى أهدافها في استعادة أمجاد الإسلام ، وإقامة حكم الله في الأرض . .

حتى لا تفقد هذه الحكومات العلمانية وجودها وسيطرتها في حال وصول الحركات الإسلامية إلى سدّة الحكم . .

حتى لا تفقد القوى الدولية المتصارعة مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية . . في بلاد الإسلام . .

حتى لا تعود للمسلمين وحدتهم الإسلامية المترابطة ، ويستعيدوا ريادتهم الدولية العالمية ، ويسترجعوا كياناتهم السياسي العريض . .

حتى لاتسري الصحوة الإسلامية في الجيل المسلم سريان النور في الظلام ، ولا أن يكون لها النماء والامتداد في أنحاء المعمورة . .

حتى يتقبل جيل الإسلام مبادئ الغرب أو مبادئ الشرق . . بلا وعى ،
ولا معارضة ، ولا نقد ، ولا جهاد . .

من أجل هذا كله تندفع هذه الحكومات العلمانية اللادينية بعزم وتصميم في
محاربة الدعاة إلى الله ، واستئصال الحركات الإسلامية التي تنادى بحاكمية
الإسلام . . وتتخذ كل الوسائل والأساليب في استئصالها ، والقضاء عليها . .

ومن أعظم هذه الوسائل والأساليب وسيلة الاتهام ، وأسلوب التشهير : فحينما
تتهم هذه الحركات بالتآمر على نظام الحكم ، وأحياناً تنسب إليهم المغالاة في الدين
والتطرف . . كل ذلك من أجل أن يتخذوا المبررات لاعتقالهم ، أو لإعدامهم ،
أو للتجريد من وظائفهم ، أو لنفيهم عن أوطانهم . . والغرض من وراء هذا كله
هو استئصال حركتهم ، وشل نشاطهم ، وإخماد دعوتهم ، حتى لا يرتفع لها
رأس ، ولا تقوم لها في ديار المسلمين قائمة . .

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره اللادينيون المارقون . .

أعرفتم - يا شباب - لماذا تندفع الحكومات العلمانية اللادينية في إخماد
الحركات الإسلامية في بلاد الإسلام ؟ وما هو الغرض من وراء هذا الاندفاع ؟
فإذا عرفتم هذا فما هو دوركم في الإصلاح ؟ وما هي مسؤوليتكم في
التغيير ؟ وما هي مهمتكم في الإنقاذ والتحرير ؟

٣ - في القوانين التي يفرضونها :

على أعقاب إلغاء الخلافة الإسلامية عام /١٩٢٤م على يد العميل
« أتاتورك » غاب الحكم الإسلامي عن كثير من بلاد الإسلام ، واتجهت
الحكومات العميلة إلى عَلمنة الدولة ، وإبعاد التشريع الإسلامي عن واقع الحياة
بوحي من الدول الأجنبية المرتبطة بها ، والتي تعطيها ولاءها . . فأصبحت السيادة
للقانون ، والتشريع للبرلمانات ، والحكم للادينية . .

وكان من نتيجة ذلك أن تَشَتَّت البلاد الإسلامية ، وحلَّ فيها الضعف والوهن ،
وأصبحت ألوية بيد الدول الكبرى المتصارعة وعلى رأسها الدولتان القويتان :
أمريكا وروسيا ، وكان للماسونية العالمية التي تديرها في الخفاء اليهودية الدور

الأكبر في اجتذاب أصحاب النفوذ والقوة والسلطان في العالم الإسلامي إليها ، فاصطنعت منهم حكامًا يأتمرون بأمرها ، وينفذون مخططاتها بأساليب متنوّعة ، وشعارات مطروحة ، وقوانين وضعية . . من أجل علْمنة الدولة ، وفصل الدين عن السياسة ، وجعل السيادة للقانون الوضعي وحده . .

وقد قام الحكام اللادينيّون بتنفيذ ما رسم لهم من قبل أسيادهم بعزم وتصميم ، وبقوة الإكراه ، واستغلال السلطة . . حتى تمّ لهم ما يريدون .

ولكن ماذا جنوا من وراء ذلك ؟

جنوا انحسار الكيان السياسي الكبير عن أرض الإسلام .

جنوا إلغاء الخلافة التي هي رمز العزة والقوة والوحدة للمسلمين .

جنوا انقسام البلاد الإسلامية إلى دويلات صغيرة متعادية متصارعة . .

جنوا انحياز البلاد الإسلامية إلى معسكرات الغرب أو معسكرات الشرق . .

جنوا تنفيذ مخططات الصليبية واليهودية والشيوعية . . في المجتمعات الإسلامية . .

جنوا انعدام الضمير الديني ، والوازع الإيماني في نفوس الأجيال المسلمة الناشئة . .

جنوا انتشار الجريمة والميوعة ، والمبادئ الضالّة . . في بلاد الإسلام في كل مكان . .

جنوا تسلّط اليهود على المسجد الأقصى ، وأرض فلسطين ، والمواقع الاستراتيجية من الحصون والقلاع . .

جنوا الذلّة والتقهقر والتخلّف . . في الشعوب المسلمة التي كانت القدوة في عطاء الحضارة ، وانتشار الإسلام . .

فيتبيّن مما ذكرناه أنهم جنوا السّمّ الرُّعاف ، والثمر المرّ . . مما فرضوه على أمة الإسلام من قوانين وضعية ، وأنظمة بشرية . . ما أنزل الله بها من سلطان ، بينما كانت الأمة الإسلامية في الماضي ترفل في حياة العزة والكرامة ، وتنعم في ربوع المجد والسيادة . . حين كانت تحكمها شريعة الله ، وتظللها مبادئ السماء . .

يقول عمر الفاروق رضي الله عنه - كما روى الحاكم - : « نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » .

فمن معالم هذه العزة في المجد السياسي أن هارون الرشيد وقف مرة على شرفة قصره يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره ويقول لها : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا » .

ومن معالمها في الفتح الإسلامي أن « عقبه بن نافع » القائد الإسلامي الكبير حين وصل بجيشه إلى المحيط الأطلسي الذي كان يسمى ببحر الظلمات حين وصل وخاض جواده في الماء خاطب البحر وقال : « أيها البحر : ورب محمد لو أعلم أن وراءك أرضاً لمضيئاً مجاهدًا في سبيل الله » .

ومن معالمها في العطاء الحضارى أن شهد المنصفون من رجالات الغرب على عظمة الإسلام في الدفع الحضارى ، والتقدم العلمى . . يقول « غوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » : « ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب ، فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حينًا من الزمن . . » ، ويقول : « ولم يتجلّ تأثير العرب في الشرق في الديانة ، واللغة ، والفنون . . وحدها ، بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافتهم العلمية أيضًا . . » ، ونقل عن الأستاذ « ليرى » قوله : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت النهضة الأوربية عدة قرون » .

أعرفتم - يا شباب - ماذا جناه العلمانيون بفرض القوانين الوضعية على شعوبهم ؟ وماذا انحسر على أرض الإسلام من عزة وأجاد وحضارة وفتوح . . حين غاب الحكم الإسلامى عن مناهج الحياة ، وأنظمة الدولة ؟

إذا عرفتم هذا فما هو دوركم في الإصلاح ؟ وما هي مسؤوليتكم في التغيير ؟
وما هي مهمتكم في الإنقاذ والتحرير ؟

٤ - في التعليم الذي يوجهونه :

إن من أهم ما تحرص عليه الحكومات العلمانية في بلاد الإسلام أن تقبض

على زمام التعليم والتربية منهاجًا وتعليمًا وتوجيهًا . . من أجل ماذا ؟
من أجل أن يتوجه الجيل الناشئ المتعلم بالوجهة اللادينية التي لها تسعى ،
وفي سبيلها تناضل . . بل من أجل أن ينشأ الجيل المسلم فارغ العقيدة والخلق ،
محطّم الشخصية والكيان ، مزعزع الثقة بالتاريخ والأجداد . .
ولو ألقينا نظرة فاحصة في المجتمعات الإسلامية التي تحكمها حكومات علمانية
لا دينية ماذا نرى ؟

نرى جيلًا من الشباب متفلّتين من ربة الدين والأخلاق . .
نرى أحزابًا ضالّة تدعو جهارًا ونهارًا إلى الكفر والضلال والإلحاد .
نرى شبابًا يهزأ بعقيدته ودينه ، ويسخر من تاريخه وأجداده . .
نرى أفواجًا من المعلمين والمتخرّجين وأرباب الفكر . . يدعون إلى الاختلاط
بين الجنسين ، والتسيّب من التقاليد والأخلاق ، وتحرير المرأة من ربة الحجاب
والعفاف .

نرى عصابات من الشعب تدعو إلى التحرّر من الأصالة الإسلامية ، والارتقاء
في أحضان الغرب ، أو في إلحادية الشرق . .

نرى . . ونرى . . ونرى . . وهذا كله من لعنة التربية اللادينية التي نشأ
الحكم العلماني الجيل المسلم عليها ، فنشأ من هذا الجيل جيل من المتحرّرين
المارقين . . لا دين يردعهم ، ولا رقابة لله تزجرهم !! .

ولكن ما هي السبل التي انتهجوها حتى أوصلوا الجيل إلى هذا المصير
الخزى ؟

لا شك أن السبل التي انتهجوها هي خطوات مرحلية ومدروسة ، وسوف
نتعرّض لأهمّها :

أولاً - حصر التعليم الديني مادياً ومعنوياً :

أما حصره مادياً فبتقليل ساعاته ، وبتطوير مناهجه ، وبتضييق موارده ،
وبإسناد تدريسه إلى غير المختصين . . كل ذلك ليخمد الحكومات العلمانية في
أهدافها ومخططاتها .

وأما حصره معنويًا فالبهزء والسخرية لمن يقوم على أمره وتدريسه ، وبالتفرقة بين أساتذة الدين ، وأساتذة المواد الأخرى . . تقديرًا وتكريمًا واهتمامًا . . كل هذا الذي سبق ذكره لينفر الطلاب من الدين ورجاله ، ويقبلون على غير الدين . . من حيث يشعرون أو لا يشعرون !! .

ثانيًا - الابتعاث إلى الخارج :

وذلك بإرسال البعثات العلمية والتربوية . . إلى ديار الغرب أو الشرق للتخصص بالعلوم والطب والتربية وعلم الاجتماع . . فالطالب المبتعث إذا كان فارغ الدين والخلق فإنه يتأثر بالفكر الغربي أو الشرق ، ثم بالتالي يتطبع بطباعه ، ويتخلق بأخلاقه ، وينسلخ من كل أدب دعا إليه الإسلام ، ويتحرر من كل أخلاقية أمر بها الدين . . فحين يرجع إلى وطنه فإنه يغدو غريبًا أو شرفيًا . . بل ربما يكون متحمسًا للغرب أو الشرق أكثر من الغربي أو الشرق . . وفي هذا انحرافه ودماره ، بل انحراف ودمار المجتمع بأسره !! .

وحول هذا المعنى يقول أحد الكتاب الغربيين : [فبينما يترك الحكام الغربيون (أى المستعمرون) الشرق الأدنى تتحوّل هذه المنطقة فتصبح أكثر غربيّة ، ويواجه الزعماء العرب طريقتين : فهم يطردون الغرب سياسيًا ، ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافيًا] .

وقد بدأت طريقة الابتعاث إلى الغرب مبكرة لتخريج الأساتذة المتطبعين بأفكارهم وأخلاقهم . . حتى إذا عادوا إلى أوطانهم قاموا بتفريخ مبادئ الغرب في بلادهم بغير حاجة إلى ابتعاث طلاب جُدّد ، وبغير حاجة إلى جهد الغربيين أنفسهم ، وهذا ما صرّح به الكاتب السابق حين قال : [أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امرءًا ما قد ذهب أو لم يذهب إلى أوروبا أصلاً ، فقد اصبح العرب متغربين بدون أن يتكلّفوا عبء الذهاب إلى أوروبا (٢) .

ومثل ذلك هو الشيخ « رفاعة رافع الطهطاوى » الذى ابتعث إلى باريس

(١) و(٢) من كتاب « العالم العربي اليوم » للكاتب « مورو بيرجر » .

خمس سنوات ، ليعود بعدها يصرح بأن الرقص الغربي المختلط لون من العياقة والشلبنة (أى الفتوة) ، ثم ينادي بالفرعونية بديلاً عن الإسلام !! .

وبعد رفاة كان « طه حسين » وكتاباتة في « مستقبل الثقافة في مصر » ، وفي « مرآة الإسلام » . . ومن قبلها في « الشعر الجاهلي » . . لا تحتاج إلى تعليق لكثرة ما أورد من ضلال وإلحاد . . ومع طه حسين « قاسم أمين » الذي نادى في مصر إلى تحرير المرأة من سلطان الحجاب وآداب الإسلام^(١) !! .

ولا ننسى الابتعاث إلى بلاد الشيوعية ليتعلم الطلاب هناك حتى إذا عادوا إلى أوطانهم أشهروا سيف المحاربة على دينهم ، وعلى قيم الإسلام . . ورفعوا شعارات الشيوعية التي تدعو إلى محاربة الأديان ، والتنكّر للذات الإلهية ، وإلغاء الملكية ، وشيوعية المال ، وهدم كيان الأسرة ، وهدر المثل والأخلاق !! . .

وهكذا يستمر الرضاع بين الأم ووليدها دون فطام . . وهكذا يتولّد ضمان الولاء لأعداء الإسلام ، والوفاء للأم الرؤوم التي رضع المبتعثون منها !! .

ثالثاً - السماح للمدارس الأجنبية بفتح أبوابها في بلاد الإسلام :

فقد كان انتشار هذه المدارس في البداية سبيلاً لتنصير المسلمين . . وعلى هذا نصت بعض مؤتمرات التبشير ، وعلى هذا نفهم إنشاء الكلية الإنجيلية في بيروت ، وإنشاء الجامعة الأمريكية في مصر^(٢) .

ولكن كما نصح القسّ « زويمر » مؤتمر المبشرين - كما سبق ذكره - لم يعد مطلوباً إدخال المسلمين في المسيحية ، بل يكفي إخراجهم من الإسلام . وعلى هذا تعمل المدارس الأجنبية حالياً في المجتمعات الإسلامية .

رابعاً - تطوير المناهج التعليمية :

ويشمل هذا التطوير كل ما يتصل بمناهج الدين والأدب والتاريخ والفلسفة والعلوم . . فهذا التطوير وضع في الأصل ليخدم الحكم العلماني بكل أبعاده

(١) ارجع إلى كتاب « أساليب الغزو الفكري » د . علي جريشة ص : ٦٥ .

(٢) ارجع إلى كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » .

وتصوراته . . بل ليخدم الفكر الغربي إذا كان العلمانيون منحازين إلى الغرب ،
أو ليخدم الفكر الشيوعي إذا كانوا منحازين إلى الشرق . . و في كلا الاتجاهين
يقوم التطوير بأداء مهمته في غسل مخّ الجيل المسلم من المعتقدات السائدة ،
والأخلاق الإنسانية الفاضلة ، وهدم كل القيم والمثل التي سادت المجتمعات
الإسلامية منذ القدم .

ونذكر على سبيل المثال أن « كرومر » الانكليزي حين دعا إلى تطوير الأزهر ،
قام خلفاؤه من بعده بعد خمسين سنة أو يزيد . . بتنفيذ هذا التطوير ، ومع
كرومر أو قبل كرومر نادى بذلك مؤتمرات التبشير . . فجاء الأزهر نتيجة لهذا
التطوير وهذا النداء . . ممسوخ التوجيه والإعداد ، مقتصرًا على تخريج الرجال
الذين ليس لهم همّ سوى الراتب والتوظيف ، محتويًا على كتب ومناهج غاية في
التعقيد ، ومجردة من روح الدعوة والجهاد والتبليغ . . وهذا ما يحرص عليه
المستعمرون واللا دينيون حين يدعون إلى الإصلاح والتغيير باسم التقدم
والتطوير !! .

وسبق أن ذكرنا قبل قليل كيف حصر الحكام العلمانيون التعليم الديني ماديًا
ومعنويًا ؟ وكيف قللوا من شأن الدين وأساتذته ، ورفعوا من مكانة المواد
الأخرى ، ونظروا إلى من يدرّسها نظرة احترام وتكريم ؟ !! .

وهذا مما يؤكد أنه لا يراد من تطوير التعليم الديني إلا تنفيذ المخطط في الغرض
من شأن الدين ، وتوريث في اللاشعور كراهيته ، والسخرية من رجاله
وأساتذته !! .

وثمة أمثلة أخرى نسوقها في تطوير المواد الأخرى لخدمة اللادينية في المجتمعات
الإسلامية ، ليعرف شباب الإسلام ماذا يريد الحكام العلمانيون من وراء هذا
التطوير ؟ فالكتب المدرسية التي يدرّسها الطلاب السوريون في مدارسهم
الإعدادية والثانوية ، وفي دراساتهم التخصصية والجامعية . . ففي هذه الكتب
كثير من الدسّ والتشكيك ، والدعوة إلى الإلحاد والمبادئ الضالة . .

وإليكم بعض النماذج (١) :

جاء في كتاب المجتمع والفلسفة لصف الشهادة الثانوية : « إن كل دعوة لإنشاء كيانات سياسية على أسس دينية هي دعوة غبية » .

وجاء في كتب العلوم في كل المراحل المدرسية عرض لنظرية النشوء والارتقاء التي نسبت إلى « دارون » ، وإظهار أنها على حقيقة علمية ، ليتخذها المعلمون الملاحظة ذريعة في التشكيك بالخالق ، وإنكار وجود الله سبحانه . . علماً بأن العلم أبطلها ، وألقاها في سلة المهملات (٢) . .

وفي كتب الأدب تركيز على الحجاب الإسلامي الذي ترتديه المرأة المسلمة ، ووصمه بأنه تأخر ورجعية ، وعلامة فارقة على الجهل والتخلف . .

وفي كتب التاريخ اتهام لثيم للعصور الإسلامية الزاهية ، وعلى رأسها العصر العباسي . . ووصفها بأنها عصور ظلم وإقطاع واستغلال . .

إلى غير ذلك من هذه الدسائس الكاذبة ، والاتهامات الباطلة . . والتي لا يقصد منها إلا أن يتشكك المسلم بعقيدته ودينه ، ويهزأ بتاريخه وأمجاده ، ويسير في طريق اللادينية وقد تجرد من كل القيم والمثل التي دعت إليها الأديان والشرائع ، ونادى بها الفلاسفة وأهل النظر والبصائر منذ القدم . .

وقس على ما ذكرناه من أمثلة ونماذج في أمر الكتب والمناهج . . سائر الحكومات العلمانية العقائدية العميلة التي تتحكّم في رقاب الجيل المسلم في المجتمعات الإسلامية !! .

خامساً - الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم (٣) :

قد بدأ به الحكام العلمانيون في الجامعات في أكثر البلاد الإسلامية . . تحت

(١) هذه الأمثلة منقولة من الكتب والمناهج التي قررتها وزارة التربية السورية على طلابها في المرحلة الثانوية .

(٢) ارجع إلى كتاب « شبهات وردود » للمؤلف فإن فيها الردّ العلمي القاطع على بطلانها .

(٣) ملخص البحث مع بعض التصرف من كتاب « أساليب الغزو الفكري » للمؤلفين : د . جريشة ، والأستاذ زبيق ص : ٦٧ .

دعوى التقدم والتمدن ، والصداقة البريئة ، وتعميق الروح الجامعية ، وكأن التمدن والتقدم وتعميق الروح الجامعية . . لا يتم إلا بإشعال نار الغرائز ، وتأجيج سعار الشهوة في سنّ الشباب الملتهب !! .

وقالوا في تبرير الاختلاط الكلام الكثير . . مما هو غير صحيح حتى في علمهم هم . . فقد قالوا : إن الاختلاط يشدّب الغريزة ويهدّبها ، ويصعد الشهوة ويلطّفها . . وأثبت العلم النفسي أن الاختلاط لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يشيع البرود الجنسي بين الجنسين ، وهذا مرض عضال تشكو منه بعض الأمم ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية .

وإما أن يؤجّج سعار الجنس ، ويقوى لهيبه . . وهو مما يؤكد تجربة القط والفأر اللذين أتيا بهما وهما رضيعان ، ثم وضعا في قفص صغير واحد ، وظلاً يأكلان معاً من طبق واحد ، حتى إذا جاء موعد ظهور الغريزة لكل منهما ، انقضّ القط على الفأر فأكله ، ولم تشفع له عشرة طالت ، ولا اختلاط دام !! .

وتوسّع العلمانيون في أمر الاختلاط فجعلوه في المرحلة الابتدائية . . ثم وسّعوا وتوسّعوا . . فجعلوه في المرحلتين : الإعدادية والثانوية . . وهاتان المرحلتان هما أخطر المراحل في انحراف المراهقين ، وميوعة الشباب !! .

وتأكيداً لهذا السبيل الآثم تحرص المؤسسات الاستعمارية ومن كان عميلاً لها من العلمانيين . . تحرص على التهوين من مقدمات الزنا التي لا بدّ أن تفضي إلى الانحراف إلا من عصم ربي . . وقليل ما هم .

ففي أحد كتب مؤسسة « فرانكلين الأمريكية » التي تنشر في بعض البلاد الإسلامية يقول مؤلف الكتاب : [. . إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبّلها في الوقت المناسب - على أي حال - باعتبارها جانباً من جوانب النموّ الجسمي للمراهق . . وفي كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزّه على التعبير عن حبّه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغط يده أو قبلة . . والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة أمر طبيعي . . فالشوق إلى القبلة ، أو بعض الغزل الرقيق ، أو الإنصات إلى قصة

فيها تلميحات جنسية . . هذه ليست أمورًا شائنة !!] (١) .

ولا شك أن خطوة الاختلاط هذه تسبقها خطوة أخرى . . وهى خلع المرأة المسلمة حجابها ، والكشف عن مفاتها ومحاسنها . . تحت دعوى التحرر والتمدين والحرية . . طواعية كما هو الحال في كثير من البلاد الإسلامية التي تحكمها العلمانية ... أو كرهاً بالقسر والقوة كما وقع في بعض البلاد العربية المسلمة التي تحكمها الباطنية والعمالة .

فقد حدث أن أجبرت الفتاة المسلمة في هذه البلاد بخلع حجابها في المدارس . . والوزارات . . وسائر المؤسسات . . من قبل السلطة الباغية ، حتى بلغت بها الوقاحة اللئيمة بأن تتسلط على المرأة المحجبة في الشارع وهى في طريقها لقضاء بعض حوائجها فكانت بالقسر تأتيها شرطية السلطة وتخلع حجابها بالقسر والقوة على مرأى الناس وعلى مسمع منهم . . من أجل ماذا ؟ من أجل أن تمشى في المجتمع حاسرة سافرة على استحياء منها إلى أن تصل إلى بيتها . . وهذه العملية في زعم السلطة الباطل تمهيد لخلعها الحجاب طواعية منها في المستقبل رغبة أو رهبة ، والصبر عند الصدمة الأولى .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل أجبروا الفتاة المتعلمة لأن تنتمى إلى منظمات الشبيبة والاتحاد . . . لتصاحب الفتيان طوعًا أو كرهاً . . بل أجبروها على ارتداء لباس الفتوة العسكري لتخرج للتدريب وحدها في المعسكرات ، أو لتخرج به راغبة أو راهبة في المناسبات والمسيرات . .

ويا ويلها إذا تخلفت عن الحضور فإنها تعاقب أو ترسب أو تُفصل . . ولا من معترض ولا من شافع ولا من نصير !! .

هذا عدا عما تجبر عليه من أن تظهر على الجمهور بثياب الإغراء والفتنة ، وحركات التخلف والمجون . . وذلك على مسرح المدرسة أو الجامعة أو دور الثقافة . . في المواسم والمناسبات . .

هل سمعتم - يا شباب - في تاريخ التعليم جريمة في خدش الحياء والفضيلة ،

(١) من كتاب « حصوننا مهددة من داخلها » للدكتور محمد محمد حسين .

وذبح العفاف والطهر كجرمة هؤلاء العلمانيين اللادينيين؟! .

نسأل الله سبحانه أن يتولأهم ، وينتقم بالعاجل منهم ، ويقصم على حين غرة ظهورهم ، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ويجعلهم عبرة لمن يريد أن يعتبر . . وما ذلك على الله بعزيز .

أعرفتم - يا شباب - ماذا تفعله الحكومات العلمانية في عِلْمَةِ التعليم الذي يقبضون على ناصيته وزمامه؟ إنها تخطط لتكوين جيل يهزأ بدينه ، ويسخر بأجماده ، ويتبرأ من مآثر جدوده ، ولا يستحيي أبداً من كشف عورته ، ولا يكثر بفجوره ومجونه!! .

إذا عرفتم هذا . . فما هو دوركم في الإصلاح؟ وما هي مسؤوليتكم في التغيير؟ وما هي مهكمتم في الإنقاذ والتحرير؟

٥ - في وسائل الإعلام التي يسخرونها :

العلمانية في التعليم أقدم وأخطر . . والعلمانية في الإعلام أعم وأشمل . . ومن هنا تكمن خطورتها ، وترك في الجمهور أثرها . . فالتعليم يخاطب الآلاف بمناهجه وكتبه وأساتذته . . وأما الإعلام فإنه يخاطب الملايين بنشره وبثه وبرامجه . .

وأكثر هذه الملايين ساذجة جاهلة بسيطة تؤثر فيها الكلمة مقلوبة ، أو مسموعة ، أو منظورة^(١) .

فإننا نستطيع أن نقول وبالأسف : إن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة ، وإذاعة ، وتلفاز ، ومسرح ، وأفلام ، وصلات عرض . . مسخرة اليوم في أكثر بلاد الإسلام سواء كانت حكومتها علمانية أو غير علمانية . . مسخرة لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجرمة ، والسعي بالفساد في الأرض ، وتوجيه الجيل المسلم إلى ما فيه انحرافه وشقاؤه!! .

وتفاوتت درجات الفساد في وسائل الإعلام - إن استخدمت في الشر - تبعاً

(١) من كتاب «أساليب الغزو الفكري» للدكتور جريشة .. مع بعض التصرف ص : ٧٠ .

لتأثيرها وآثارها . . فهي في التلفاز أشد . . باعتبار أنه دخل كل بيت . . ثم تليها دور السينما والمسرح ثم تأتي الإذاعة . . ثم الصحافة . . ثم الفيديو . . ثم الصحيفة . . ثم المجلة . . وهكذا .

ولا شك أن هذه الوسائل الإعلامية السابقة الذكر إذا أمسكت بزمامها حكومات علمانية عميلة . . فإنها تكون مبعثًا للفساد والانحلال . . وبوقفاً للشيوعية أو الاستعمار . . بل يكون من أظهر توجيهاتها ومخططاتها هدم العقيدة والأخلاق . .

ومن المعلوم يقينًا أن ركني العقيدة الربانية ، والأخلاق الإسلامية هما بمثابة الحجر الأساس لبناء صرح الإسلام ، فإذا انهدم الأساس فكيف يتم البناء ؟ .

وهؤلاء العلمانيون العملاء بما لهم من ارتباطات أجنبية . . فإنهم يسخرون وسائل إعلامهم بما يمليه عليهم أسيادهم من الرأسماليين ، أو الشيوعيين ، أو الأستراكيين . .

ولو نظرنا نظرة فاحصة في الإنتاج الإعلامي الذي تنتجه هذه الحكومات العميلة من برامج مرئية أو مسموعة أو مقروءة . . لرأيناها في خدمة من ارتبطوا بهم فكراً وعقيدة وخلقاً ... بل لتنفيذ مخططات من يجرون وراءهم ، ويمثلون أوامرهم ، ويعطونهم ولاءهم . .

ومن أهم هذه المخططات : إشاعة الفاحشة . . الإغراء بالجريمة . . التشكيك بالعقيدة . . التحطيم للأخلاق والمثل . .

من أجل ماذا ؟ من أجل تكوين جيل ، يحمل في نفسه روح العداوة والكرهية لدينه ومقدساته وأمجاده ومثله العليا وأخلاق جدوده المثل . .

فماذا يصبح الجيل بعد هذا التكوين والإعداد ؟

فإنه - ولا شك - ينصرف عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد ، ويلهث وراء التحلل والإباحية ، ويعيش في الحياة هملًا متميماً محطّم الشخصية لا يتطلع إلى مجد مؤثّل ، ولا يعمل لغاية شريفة ، ولا يرتبط بمثل أعلى . . ليس له همّ سوى إشباع بطنه وشهوته ، والجري وراء هواه ولذته . .

وهذا ما تخطط له الشيوعية واليهودية والماسونية والاستعمار . . فإنهم وصلوا إلى أهدافهم - بواسطة عملائهم في الداخل - من انسلاخ أكثر الجيل من مبادئ العقيدة والأخلاق والمثل العليا . .

وقد سبق أن ذكرنا في بحث « **تحدّي الانحلال الخلقى** » أهم هذه المخططات الأجنبية في تدمير أخلاق الجيل المسلم ، وفي إفساد عقيدته وقيمه . . فلسنا بحاجة لذكرها ثانية حتى لا يكون الكلام مكرورًا .

وأريد في نهاية هذا البحث أن أعيد تنديد المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة الإسلامية المنعقد عام / ١٣٩٧ هـ بمدينة رسول الله ﷺ في أنحراف الإعلام . . أن أعيد ما ذكرته للأهمية والذكرى : [.. ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها إعلامنا ، ولا يزال يتردى عن علم من القائمين به أو عن جهل منهم . . فبدلاً من أن يكون الإعلام في البلاد الإسلامية منبر دعوة للخير ، ومنار إشعاع للحق . . صار صوت إفساد ، وسوط عذاب ، وسكت القادة فأقروا بسكوتهم ، أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحمو . . وزلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم . . ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة إلى الحق . .] ا . هـ .

وأضيف أمراً آخر غير ما ذكره المؤتمر . . وهو أن الإعلام في بلاد الإسلام عدا عن أنه زلزل الناس في إيمانهم وقيمهم ومثلهم . . وأصبح صوت إفساد وتدمير لشخصياتهم . . فإنه أصبح أيضاً أداة تمجيد وتعظيم ، وثناء وتبجيل . . للحكم ورجاله ، أو لمن يرتبط به الحكم من المستعمرين أو الشيوعيين أو الاشتراكيين . . فترى أو تقرأ أو تسمع . . التطيل والتزوير ، والتمجيد والتعظيم للحاكم الفلاني ، أو للرئيس العلائي . . ولو كان هذا الحاكم أو الرئيس . . ممن خان الله ورسوله والمؤمنين ، ومن عرف بالعمالة ، ودُمغ بالخيانة ، وانساق وراء المبادئ الضالّة ، وانحرف في تيار اللادينية المقوتة ، وانغمس في أحوال الإباحية الفاجرة . .

أعرفتم - يا شباب - لأية غاية سخر الحكام العلمانيون في المجتمعات الإسلامية وسائل إعلامهم ؟ أعرفتم أن الغاية من تسخيرها هي إشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة ، وزلزلة العقيدة ، وهدم قيم الإسلام ؟ أعرفتم أنهم يفعلون ذلك ما هو إلا إرضاء لأسيادهم ممن يعطونهم ولائهم ، ويأخذون عنهم ، ويمثلون لأمرهم ؟ !! .

إذا عرفتم هذا .. فما هو دوركم في الإصلاح ؟ وما هي مسؤوليتكم في التغيير ؟
وما هي مهمتكم في الإنقاذ والتحرير ؟

تلكم - يا شباب - أهم الوسائل التي يحرص العلماء علىها في تعميق عِلْمَنَةِ الدولة ، وفي تسييرها في تيار اللادينية . . ولقد رأيتم أنها تتجه إلى وسائل خمس :
تتجه إلى الدسائس الفكرية اللادينية التي يثونها . .
وتتجه إلى إخماد الحركات الإسلامية الواعية التي يحاربونها . .
وتتجه إلى القوانين الوضعية المستوردة التي يفرضونها . .
وتتجه إلى مناهج التعليم الهادفة التي يوجهونها . .
وتتجه إلى وسائل الإعلام المغرضة التي يسخرونها . .
ولا شك أن هذه الوسائل في ترسيخ عِلْمَنَةِ الدولة قد عملت عملها في بلاد الإسلام ، وتركت أثرها وتأثيرها في الجيل المسلم . . وإن شاء الله حين نتكلم عن الحلول العملية والإيجابية في مواجهة الحكم العلماني في المجتمعات الإسلامية . . فسوف ترون - يا شباب - حدود مسؤوليتكم ؛ وأبعاد مهمتكم ، ومجالات دوركم . . في المواجهة والإصلاح والتغيير والإنقاذ . . والله سبحانه مع العاملين المخلصين الذين يلبغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله .

٤ - ما هي أثارها على المجتمعات الإسلامية ؟ :

على أعقاب إلغاء الخلافة الإسلامية على يد العملاء المتآمرين : « كمال أتاتورك »
« عصمت إينونو » و « أعضاء جمعية الاتحاد والترقي » . . عام / ١٩٢٤ م
تغير كل شيء في العالم الإسلامي ، وأصبحت البلاد الإسلامية ألعوبة بين الدول الكبرى المتصارعة ، وعلى رأسها : الدولتان الكبيرتان روسيا وأمريكا ، وكان للماسونية العالمية التي تديرها في الخفاء اليهودية الدور الأكبر في عِلْمَنَةِ البلاد الإسلامية على يد عملائها في الداخل من الحكام العسكريين والمدنيين على حد سواء !! .

وها نحن أولاء سوف نتكلم - باختصار - عن أهم مظاهر الانحراف والفساد والتغيير التي تخللت المجتمعات الإسلامية في كل مكان ، بل استخدم أعداء الإسلام كل الوسائل والأسلحة في محاربتها والحُضد من شوكتها . . حتى وصلت أمة الإسلام ، وبلاد الإسلام . . إلى هذه الحالة المتردية من التمزق والمذلة والشّتات ! ! . .

وإيكم - يا شباب - أهم مظاهر التمزق والتغيير باختصار :

ففي الحكم والدولة :

أقصى القرآن الكريم عن دفة الحكم ، وغيّبت الشريعة الإسلامية عن أنظمة الحياة ، ونصّب الحكام أنفسهم آلهة يشرعون للناس ما تمليه عليهم شياطينهم ، وتسوّ لهم أنفسهم . .

ومن الناحية السياسية ومظهر الكيان العام تمزقت الوحدة الإسلامية التي كانت تطل برأسها على الشرق والغرب إلى مزق وأشتات ، وانقسمت البلاد إلى أجزاء ودويلات ، وأصبحت ألعوبة - كما سبق ذكره - بيد القوى الدولية الكبرى المتصارعة ، وعلى رأسها : أمريكا ، وروسيا . . وأحلافهما . .

وفي الحياة الاجتماعية :

أدخلت المرأة كسلاح في المعركة ضد الإسلام ، وزجّ بها في جحيم الشقاوة تحت شعارات خادعة برّاقة بدعوى التحرّر من عصور الظلام . . ثم بيعت سلعة رخيصة ، وقدمت قرباناً رخيصاً على مذابح دعاة الوجودية والإباحية ، وأبواق التحلّل والميوعة . . لسحق هذا المخلوق المكرّم العزيز . .

اجتاحت موجات الميوعة والانحلال بلاد الإسلام ، فكان من مظاهرها : خروج المرأة المسلمة سافرة حاسرة متبرّجة بشكل يدعو إلى الفتنة والإغراء ، واختلاط المرأة بالرجل في المدارس والوظائف والجامعات والمؤسسات . . وإباحة الخمر في الحانات والنوادي والمواخير والمنتزهات . . وأما بيوت الزنا والدعارة ، وصلالات الرقص ، والمساحب المختلطة . . فأصبحت ملتقى المائعين والمائعات من خثالات الأمة وأشقيائها . . ففيها تنتهك العفة ، وعلى أعتابها يخدش الحياء والشرف !!

وفي الحياة السياسية :

مُرّت الأرض الإسلامية بيد رُوَيْضَات^(١) عميلة خائنة ربّاهَا الاستعمار ، واصطنعتها الماسونية ، وأحيانًا تهيّؤها للعمالَة الحكومات الشيوعيّة الكافرة الملحدة . . من أجل مخططاتها في البلاد الإسلاميّة . .

وجاء الوصف للرُوَيْضَات التي تتصف بالخيانة والحقارة والعمالَة في حديث النبي ﷺ القائل : « إن أمام الجيل سنين خداعة ، يُكذّب فيها الصادق ، ويُصدّق فيها الكاذب ويُخونُ فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلّم فيها الرُوَيْضَة ، قيل : وما الرُوَيْضَة ؟ قال : « الفاسق يتكلّم في أمر العامة » ، وفي رواية : « هو النافه الحقير »^(٢) .

ومهمة هذه الروييضات العملاء : بيع الأوطان ، وتنفيذ مخططات أعداء الإسلام ، وكمّ أفواه الدعاة ، وتمزيق الأمة الإسلامية إلى أحزاب وشيع . . وإشاعة التّعرات الجاهلية ، والنزعات القبلية . . وإبعاد الجيل المسلم عن منهج الله ، وتعبيد أشخاصهم من دون الله ، وإغراق الشباب في الميوعة والانحلال ، وزرع الإلحاد والتشكيك في المجتمعات الإسلامية في كل مكان . .

ومن أظهر عمالة هذه الروييضات في العصر الحاضر أنهم باعوا فلسطين الشهيدة منذ عام / ١٩٤٨ م / لليهود ، بتدبير من الماسونية العالمية وعمالئها في الداخل . . فما بين عشية وضحاها ، بعد حرب / ١٩٤٨ م / قامت لليهود دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وبرلمان . . وما زالوا يتوسّعون حتى احتلّوا المسجد الأقصى عام / ١٩٦٧ م / وما زالوا أيضًا يتوسعون ويتوسعون حتى احتلوا سيناء والجولان عام ١٩٧٣ م . . وإسرائيل سوف تتوسّع وتتوسّع - إن بقى الأمر على ما هو عليه - حتى تنفذ مخططاتها الأكبر في الاحتلال : من الفرات إلى النيل . .

(١) الروييضات جمع « رُوَيْضَة » وهو العاجز الذي رَبَضَ عن معالي الأمور ، وانحدر إلى سفاسفها ومحقراتها ...

(٢) الحديث رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني عن أنس بن مالك .

وحتى الآن لم تزل القضية الفلسطينية معلّقة لم تحلّ بعد ، واليهود المجرمون ما زالوا يتكاثرون عددًا وعدة . . والرأسمالية الظالمة وعلى رأسها : أمريكا ما زالت تمدّها بالمعدّات والذخائر والمال . . ، ومشروع الصلح ما زال يملأ أسماع الدنيا ، والنكسات المتكرّرة التي مرّت عليها أمة الإسلام في الحروب الأربع أفقدت الثقة بالنصر ، وأخذت روح المقاومة والجهاد في شبابنا ، والمطامع التوسّعية التي تحلم بها إسرائيل تزداد على مرّ الأيام امتدادًا واتساعًا . . وتصفية العمل الفدائي التي تتبناها حكومة عملية أصبح معلومًا لدى الجميع ، ولا يغيب عن الأذهان ما تفعله إسرائيل في لبنان اليوم !! .

وحتى تاريخ كتابة هذه السطور لم نسمع عن أية حكومة عربية أو إسلامية أعدت خطة عمليّة في تحرير الأرض المقدسة ، وإنقاذ المسجد الأقصى من براثن يهود . .

ولسنا ندري ماذا تكشف عنه الأيام من مخططات ومؤامرات لإنهاء القضية الفلسطينية ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي الحياة الاقتصادية :

ابتزاز الأموال عن طريق المصارف ، والبنوك الربوية ، وإقامة شركات التأمين القائمة على الاستغلال وإنشاء الملاهي والمسارح لامتصاص الأموال عن طريق الجنس والميوعة والانحلال ، وجمع الأموال من أي طريق كان ولو عن طريق بيع الأعراض والحرّمات ، والنظر إلى المادة على أنها معبود من دون الله . .

والأدهى من ذلك والأمرّ جعل البلاد الإسلامية أسواقًا تجارية لمنتجات الغرب الرأسمالي ، أو الشرق الشيوعي دون التخطيط والعمل من أجل إقامة مصانع وطنية ، وإنتاجات محليّة ، وشركات إسلامية . . تنفع البلاد والعباد ، وتستغني عن الاستيراد الاجنبي ، وتستقل بالإنتاج الوطني . .

وفي مجال وسائل الإعلام :

سخرت أجهزة التلفاز ، والإذاعة ، والمسارح الشعبية ، والمراكز الثقافية ، والصحف ، والمجلات ، والمؤلّفات الفكرية . . في أكثر المجتمعات الإسلامية

لأهداف ذميمة ألا وهي انحراف الأجيال المسلمة عن عقيدة الإسلام ومبادئه ، وأخلاق الإسلام . . بل أكثر برامجها ومواضيعها ودعوتها ترمى إلى هدر الشرف ، والدعوة إلى الخنا والزنا ، والتشجيع على السفور ، والاختلاط ، والمفاسد الاجتماعية . . وقليل من برامجها ومواضيعها ما تهدف إلى العلم ، وتوجه إلى الخير ، وتحض على الفضيلة والأخلاق . .

والأنكى من ذلك والأشد أن هذه الوسائل الإعلامية تسخر لضرب الحركات الإسلامية ، واتهام دعائها وقادتها بالعمالة الأجنبية ، ووصفهم بالتخلف والرجعية ، ورميهم أحياناً بأنهم أداة تخريب وإجرام وخطر على الأمن والسلام . .

كل ذلك من أجل أن لا يرتفع للمسلمين رأس ، ولا تقوم لجماعتهم المخلصة في بلاد الإسلام قائمة ! ! . .

وفي المناهج التعليمية ورسالة المعلمين :

أكثر المستلمين لزام التعليم والتربية في الوزارات ، والمشرفين على المناهج وتأليف الكتب المدرسية في المدارس والجامعات ، والقائمين على رسالة التعليم من المعلمين والمدرسين والأكاديميين في بلاد الإسلام . . أكثر أولئك من الشخصيات المرتبطة بالماسونية والصليبية والاستعمار . . وأحياناً بالشيوعية والاشتراكية . . وأحياناً يكون الارتباط فكرياً لا عضوياً ، وأدبياً لا مادياً . . وهنا تكمن الخطورة ، ويعظم البلاء . .

فهؤلاء جميعاً لا يألون جهداً في تلقين الجيل المسلم مبادئ الدس والتشكيك ، والظن بالأديان ، والدعوة إلى الإلحاد ، والانغماس في أوحال التحلل والإباحية . .

وكم سمعنا عن معلمين وأساتذة جامعيين شككوا بالإله الواحد ، واتهموا أنظمة الإسلام بالجمود والرجعية ، وعدم مسيرتها للحياة ، وطعنوا بالقصة القرآنية على أنها - في نظرهم القاصرة الملحدة - أسطورة من الأساطير تُملَى على الرسل بكرة وعشياً !!؟

وكم سمعنا عن كتب مدرسية وجامعية متداولة عرضت نظرية دارون على

أنها حقيقة علمية ، ليتخذها أهل الزيغ والضلال ذريعةً في التشكيك بالخالق سبحانه علمًا بأن العلم قد نقضها وأبطلها ، وألقاها في سلة المهملات ؟ !! .

وكم سمعنا أيضًا عن كتب الأدب و التاريخ وصمّت حجاب المرأة المسلمة أنه تخلف ورجعية ، واهتمت العصور الإسلامية الزاهية عبر التاريخ على أنها عصور إقطاع واستبداد وتسلط ؟ !! .

وذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وفي مخططات أعداء الإسلام :

كل القوى المعادية للإسلام ، والمتآمرة عليه من صليبية ، ويهودية ، وشيوعية ، وماسونية واستعمار واستشراق . . كل هذه القوى المعادية والمتآمرة متضافرة متعاونة متوحددة في حرب الإسلام ، واستئصال العقيدة الربانية من نفوس المسلمين ، بل وسائلها في التدمير والإبادة ، والتشكيك والتضليل ، والتنصير باقية مستمرة . .

وكم سمعنا عن نشاط التبشير والتنصير في أندونيسيا ، وشمال إفريقية ، ولبنان ، ومصر ؟ !! .

وكم سمعنا ورأينا عما وصل إليه اليهود من مخططات وأهداف في اغتصاب المسجد الأقصى ، واحتلال الأراضى المقدسة ؟ !! .

وكم سمعنا عما فعله الشيوعيون في بخارى وتركستان المسلمة ، ويوغوسلافيا ، والآن في أفغانستان ؟ . . وقد أبادوا من المسلمين الملايين !! .

وكم سمعنا عما فعله الصليبيون في بلاد الإسلام من تفكك وتدمير واحتلال ، وإذلال العباد ، وتجزئة البلاد ، وتبيئة العملاء ، وفصل الدين عن واقع الحياة ؟ !! .

وقد تكلمنا الكثير والكثير عن مخططات أعداء الإسلام ، وعن أساليبهم المضللة ، ووسائلهم المغرضة الهادفة . . في بحث « تحدي الغزو الفكري » ، فارجعوا إليه - يا شباب - لتعرفوا الحقيقة ناصعة واضحة في الغزو المدمر للإسلام

وأهله ، وأنا على يقين بأن ضمائركم الحية لإعلاء كلمة الله سوف تتحرك ،
ونفوسكم المؤمنة لنصرة الإسلام سوف تندفع . . والله سبحانه لن يضيع أجر
العاملين الخالصين . .

* * *

ذلكم حاضر العالم الإسلامي بعد أن أُلغيت الخلافة الإسلامية منذ نصف قرن
من الزمان . . وذلكم كان تألب أعداء الإسلام على بلاد الإسلام . .

وعلى أثر ذلك تغيرت المفاهيم الاعتقادية والفكرية عند كثير من أبناء الجيل
حتى غدت إلحادية في ضلالها وكفرها ، وتبدلت المقاييس الخلقية عند كثير من
الشباب المسلم حتى أصبحت غريبة أجنبية في مظاهرها وأشكالها . . وأصبح حال
المسلمين كحال الضوّاري الأوابد تتباعد وتتداني ، وكحال الأمم البدائية الأولى
تتدابّر وتتخاصم ، وكحال الشعوب المستعبدة في أدوار سقوطها وانحلالها . .

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال إذ يقول :
إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يُحي دنيا
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء له قرينا

ماذا جناه الحكام العملاء على أمتنا حين قاموا بتنفيذ مخططات الأعداء في
بلاد الإسلام ؟

جنوا الذلة والمهانة ، والتفرّق والتمزّق ، وانحسار الكيان السياسي عن أرض
الإسلام . .

جنوا انقسام الملة الإسلامية الواحدة إلى دويلات صغيرة متعادية متصارعة . .
جنوا انحياز بلاد الإسلام إلى القوى الدولية الكبرى من المستعمرين أو
الشيوعيين . .

جنوا انتشار الجرائم ، والانحلال ، والمبادئ الضالّة . . في المجتمعات
الإسلامية في كل مكان .

جنوا تسلّط اليهود على المسجد الأقصى ، وأرض فلسطين ، والمواقع
الاستراتيجية من الحصون والقلاع . .

أين ما جنوه اليوم مما كان للمسلمين بالأمس ؟

كان للمسلمين الدولة الإسلامية الواسعة حيث أخضعوا بعزتهم وبساله جهادهم المملكتين العظيمتين : مملكة فارس ، ومملكة الروم ، وما زال سلطانهم يمتد إلى أن وصل بلاد السند شرقاً ، وبلاد الخزر وأرمينية والروس شمالاً ، ودخلت في عدلهم الكريم بلاد الشام ، وبرقة ، وطرابلس الغرب وبقية إفريقية . .

وما زالت دولتهم تستبحر وتمتد إلى أن دخل فيها بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصلت سيادة المسلمين إلى أن انتهت إلى حدود الصين شرقاً ، وامتدت إلى أن دخلت فيها بلاد الأندلس بأوربة غرباً .. حتى قيل : إن الشمس كانت لا تغيب عن مملكة الإسلام ، ودولة المسلمين . .

من ذلك نعلم - يا شباب - أن الإسلام لما امتاز به من الخصائص كان يغمر الكون قوة وحيوية كالشمس ، ويقطع الأرض بسرعة فائقة كأنه الليل والنهار ، وقد استطاع أحد خلفاء المسلمين « هارون الرشيد » أن يصور للعالم بسطة الدولة الإسلامية ، وامتداد سلطانها في الآفاق . . فلم يجد بداً سوى أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره ويقول لها : « أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا » .

لو درى أولئك العملاء لماذا نال جدودهم البواسل الأجماد هذا العز التليد ، والفتوحات المظفرة الخالدة ، والحضارة الإنسانية ذات الصبغة الإسلامية الزاهرة . . لما وقفوا من دينهم هذا الموقف العدائي الظالم ، ولما خانوا الله ورسوله والمؤمنين ، ولما ساروا في ركاب المستعمرين والملحدين ! ! . .

نالوا هذا المجد والعظمة والعز والخلود . .

لأنهم آمنوا بالإسلام على أنه نظام حكم ومنهج حياة . .
لأنهم كانوا يعتقدون أنهم خير أمة أخرجت للناس . .
لأنهم كانوا يقومون بدورهم في تحرير البشرية من عبادة العباد إلى عبادة الله . .
لأنهم أعطوا للعالم حضارة لولاها لبقى العالم متعصباً في دياجير الفوضى والتخلف والجهل والانحلال . . .

لأنهم كانوا حين يخوضون معارك التحرير والفتوح . . يضعون نصب أعينهم
إما النصر ليعيشوا أعزاء ، وإما القتل ليلقوا ربهم شهداء . .

لهذا كلّه انطلقت جحافلهم المؤمنة في ربوع الأرض ، وآفاق الدنيا يمدّون
الأمم ، ويكرّمون الإنسان ، ويفرضون المعرفة ، وينشرون في أنحاء المعمورة ألوية
العلم والحضارة والمدنية . . ويطبعون في ضمير الزمان مبادئ العدل والحرية
والمساواة . .

وقد استقت البشرية قرونًا طويلة من معين علومهم ومعارفهم ، وارتشفت
خلال العصور من سلسيل حضارتهم ومدنيتهم . .

والمؤرخون كادوا أن يكونوا مجمعين بأن الحضارة الإسلامية انتقلت إلى الغرب
عن طريق الأندلس ، وصقلية ، والحروب الصليبية ، ومدارس الترجمة في شمال
إسبانيا وفرنسا وإيطاليا . . ولترك الكلام إلى مفكرى الغرب وعلمائهم
وفلاسفتهم ليُدلّوا بشهادتهم أمام من ينكرون عظمة الإسلام الحضارية ، وسموّه
التشريعى ، ومبادئه المتجددة الشاملة . . أمام من يدينون بديننا ، ويتكلمون
بالسنننا من الخونة والعملاء :

ينقل « غوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » عن « ليبري » قوله :
[لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون ،
ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بالغ كالعرب ، فجميع الأمم التي كانت ذات
صلة العرب اعتنقت حضارتهم ولو حينًا من الزمن . .] .

ويقول « سيديلوت » في كتابه « تاريخ العرب » : [كان المسلمون في القرون
الوسطى متفرّدين في العلم والفلسفة والفنون . . وقد نشروها أينما حلّت
أقدامهم ، وتسرّبت عنهم إلى أوربة . . فكانوا سببًا في نهضتها وارتقائها . .] .
ويقول « لين بول » في كتابه « العرب في إسبانيا » : [فكانت أوربة الأمية
تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في
العالم] .

ولم يكن هؤلاء وحدهم في هذا الحكم والشهادة ، بل الكثير من المنصفين
الأجانب أشادوا بعظمة الإسلام ، وأثره البالغ في ميادين الحضارة والعلم ! ! .
شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

أعرفهم - يا شباب - ماذا تركت العلمانية من آثار ذميمة ، ونتائج وخيمة . .
في أرجاء العالم الإسلامي في كل مكان ؟
أعرفهم ماذا جنى الحكام العلمانيون على أمتهن من تفرق وتمزق ، وذلة
ومهانة . . ؟

أعرفهم حين آمن المسلمون بالإسلام دينًا ودولة ، ومصحفًا وسيفًا ، وتزكية
وجهادًا ، وعقيدة وتشريعًا . . كيف وصلوا إلى قمة العلم والحضارة ، وذرى
العزة والسيادة . . ؟

إذا عرفتم هذا - يا شباب - فأحكموا أمركم ، واجمعوا شتاتكم ، وانفضوا
بمسؤوليتكم ، واشحذوا عزائمكم ، وسيروا صامدين صابرين في طريق الدعوة
والجهاد . . لتعود أمتكم الإسلامية خير أمة أخرجت للناس ، والله سبحانه
يتولاكم وينصركم ، ولن يتركم أعمالكم . .

٥ - لماذا يتبناها الحكام في بلاد الإسلام ؟

لو استعرضنا الأسباب والبواعث التي دفعت العلمانيين إلى أن يتبنوا الحكم
اللا ديني في البلاد التي يحكمونها ، ويفرضون سيطرتهم عليها . . لوجدنا جلها
تتصل بثلاثة أسباب رئيسية خطيرة :

الأول - الفساد في التصور الإسلامي .

الثاني - التأثير بالفكر اللا ديني .

الثالث - العمالة للأجنبي .

وها نحن أولاء سوف نستقصي هذه الأسباب والبواعث بشيء من التفصيل ،
ثم نضعها تحت مجهر الحقيقة ، ونزنها بميزان البحث العلمي . . ليعلم من يريد
أن يعلم هل الحكام العلمانيون في بلاد الإسلام محقون في تبنيهم للعلمانية ،
وانجرافهم في تيار اللادينية . . أم هي محض افتراءات وأوهام وأكاذيب . . على
الحقيقة والتاريخ ؟

الأول - الفساد في التصور الإسلامي :

يحتج العلمانيون على دعواهم في تبنيهم للحكم العلماني بحجج واهية ، ومزاعم باطلة . لا تقوم على دليل علمي ، ولا تركز على حقيقة منطقية ، ولا يمكن أن يقبل بها من أوتي علمًا وفهمًا ووعيًا وبصيرة . . ممن درسوا الإسلام حقيقة من أبناء المسلمين ومن رجال الغرب المنصفين !! .

وأظهر هذه المزاعم التي يحتجون بها هي :

الأمم الراقية اليوم لم تصل إلى قمة المجد والعلم والحضارة . . إلا بعد أن حصرت الدين في العبادة ، وفصلته عن الحكم والدولة والسياسة .

الإسلام إذا كان صالحًا للحكم في العصور الإسلامية السالفة فإنه لا يصلح للتطبيق في عصر الذرة والكهرباء والعلم . . لعطاء الحياة الحاضرة وتجديدها وتطورها ، واستفحال عقدها ومشاكلها .

ماذا نصنع باليهود والنصارى في المجتمعات الإسلامية إذا كانت الحاكمة فيها للإسلام ؟ هل نجبرهم على الدخول في الإسلام أو نخرجهم من أوطانهم أم ماذا ؟ تلکم اهم المزاعم التي يتدرّع بها العلمانيون في تنحية الإسلام عن الحكم ، وفصل الدين عن الدولة . .

وهذه المزاعم - كما أضحى - قائمة على فساد في التصور الإسلامي ، وعلى جهل بحقائق الإسلام !! .

وها نحن أولاء سنفتد هذه المزاعم الباطلة واحدة بعد واحدة ، ثم نتساءل هل يمكن أن تثبت أمام الحقيقة العلمية ؟ وهل تستطيع أن تواجه البرهان المنطقي العملاق ؟

أما زعمهم أن الأمم الراقية اليوم لم تصل إلى قمة المجد والحضارة إلا بعد أن فصلت الدين عن الدولة ... هذا الزعم صحيح من جانب ، وباطل من جانب آخر .

صحيح من جانب ، لأن أوربة حين أعلنت فصل الدين عن الدولة ، وتنحية

رجال الدين عن ممارستهم لأمر السياسة . . كان نتيجة حتمية للأحوال السيئة التي تفتتت في الغرب في القرون الوسطى ، وأهم هذه الأحوال السيئة : هي خروج الكنيسة عن حدود وظيقتها ، ومخالفاتها لتعاليم المسيح عليه السلام التي كانت ترفع شعار : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » كما جاء في إنجيل « متى » ، بل وصل الأمر بها أن تتدخل رجال الدين المسيحي في شؤون الدولة ، وقضايا السياسة . ، ونظام الحكم . .

فكان من الطبيعي بعد هذا أن تقوم الثورة على الكنيسة ، وينفجر البركان . . وقد ذكرنا في بحث « من أين كان منشأ العلمانية ؟ وكيف دخلت على بلاد الإسلام ؟ » الشيء الكافي ، والتعليل المفصل في أسباب نشوء العلمانية في ديار الغرب ، فارجع إليه - أخي الشاب - تجد فيه إن شاء الله ما يبيل الصدى ، ويشفي الغليل . .

وباطل من جانب آخر ، لأن العلمانيون قاسوا تعاليم المسيح عليه السلام على تعاليم الإسلام ، وقاسوا أيضاً رجال الدين المسيحي على رجال الشريعة والاختصاص من المسلمين .

وقد سبق أن ذكرنا في بحث « منشأ العلمانية . . . » أن من تعاليم المسيح عليه السلام : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، ومعنى هذا أن رسالة المسيح عليه السلام كانت تتميز بالنقاط التالية :

أنها كانت تحمل رسالة التهذيب الخلقي ، والسمو الروحي . .

أنها لم تكن تتدخل في شؤون الدولة ، وقضايا الحكم . .

أنها مكتملة لشريعة موسى عليه السلام .

أنها لم تكن نظاماً كهنوتياً فيها أداة سيطرة على ضمائر الناس وعقائدهم . .

وهذا ما يدل على أن تعاليم المسيح عليه السلام كانت متمثلة بالحب والرفق والمسالمة ، وكانت مهمّة في أن يدخل الناس في حظيرتها بالدعوة اللينة ، والموعظة الحسنة . .

أما تعاليم الإسلام فإنها نزلت لإقامة الدين والدولة ، وإصلاح العقيدة ومناهج الحياة . .

ففى إقامة الدين ، فإن تعاليم الإسلام تقوم على الأسس التالية :

أولاً - تقوم على العقيدة الربانية :

وذلك بتحريرها العقل الإنسانى من الخرافة والبدع الوثنية . . ودعوها إلى الإيمان بالله الواحد والتوحيد الخالص ، وتنزيهه سبحانه عن الشرك ، والشبيه ، والمماثلة . .

ثانياً - تقوم على العبودية الخالصة :

وذلك بإفراد الله جلّ جلاله بالعبادة ، والانقياد لحكمه فى كل الأمور ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع . .

ثالثاً - تقوم على مبادئ الأخلاق :

وذلك بالدعوة إلى مكارم الأخلاق المتمثلة بالصدق ، والأمانة ، والحلم ، والكرم ، والشجاعة ، وإغاثة الملهوف ، والإحسان إلى الجار ، وبر الوالدين وغيرها . .

ولو استعرضنا الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة . . لرأينا الكثير منها تدعو إلى إصلاح المجتمع فى تصحيح عقيدته ، وتعميق عبوديته ، وسموّ أخلاقه . . والهدف من هذا الإصلاح تنمية الشخصية الإنسانية ، وإصلاح أقوالها وأفعالها ، ورفعها إلى قمة الفضائل والمكارم والمعالي . .

وهذا الإصلاح يشمل جميع أبناء المجتمع بصغاره وكباره ، ونسائه ورجاله ، وشبيهه وشبابه ، وعامته وخاصته . . بلا استثناء .

وفى إقامة الدولة ، فإن تعاليم الإسلام تقيم بناءها ، وتحدد معالمها على المرتكزات التالية :

١ - رئيس أو أمير أو خليفة . . يختاره الشعب بمحض اختياره وإرادته تنفيذًا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ولما روى الإمام أحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « من بايع أميرًا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعه له ولا الذى بايعه » .

وللأمة حق تنحيته وعزله إذا انخرق عن الإسلام لقول أبي بكر رضى الله عنه : « .. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيتم فلا طاعة لي عليكم » .

٢ - جهاز حكومي .. يُنتقى له أصحاب الكفاءات والاختصاصات من غير نظر إلى أي اعتبار آخر من جاه أو نسب أو غنى أو محسوبية .. لما روى الحاكم عنه عليه الصلاة والسلام : « من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمرهم عليه فحداً محاباة فعليه لعنة الله » ، وروى الحاكم بسند صحيح عنه عليه السلام : « من استعمل رجلاً من عصابة (أى جماعة) ، وفيهم من هو أَرْضَى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

٣ - قوانين مدنية وسياسية واقتصادية .. وضع الإسلام قواعدها الكلية ، ومبادئها العامة ، وترك للمجتهدين في كل زمان ومكان الاجتهاد في أمر تطبيقها ، والتوسع في تفاصيلها بما يجلب للناس مصالحهم ، ويدبرأ عنهم مفاسدهم .. على أن لا يَصْطَلِم اجتهادهم بنص صريح من قرآن أو سنة أو قياس أو إجماع أو قاعدة فقهية ثابتة ..

٤ - قوانين للعقوبات الجزائية الجنائية .. تعرف بالشرعية بنظام الحدود ، ونظام التعزيرات .

فالحدود تشمل : حدّ الارتداد ، وحدّ قتل النفس ، وحدّ السرقة ، وحدّ القذف ، وحدّ الزنا ، وحدّ الخمر ، وحدّ الإفساد في الأرض .

والشريعة الإسلامية قد بينت مقدار هذه العقوبات ، وحدّدت كيفيتها ، فلا مجال لتعديلها ولا للاجتهاد فيها .

والتعزيرات ، هي عقوبات غير مبيّنة في الشرع مقدارها ، وإنما يرجع أمر تقديرها لهيئة القضاء العليا ، وهي تجب في كل ما كان حقاً لله أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفارة ، كالعقوبات التي يفرضها رجال القضاء في حق من يفطر في رمضان ، أو من يؤذي جاره ، أو من يعتدى على إنسان ، أو من يخالف أنظمة المرور .. وقد تكون العقوبة توبيخاً ، أو جلداً أو حبساً ، أو نفيّاً أو غرامة مالية .. على أن لا تبلغ حدّاً من الحدود على رأى الأكثر .

٥ - جيش قوى يرهب الأعداء ، ويحمى الديار ، ويدفع عن أرض الإسلام العدوان ، ويعلى كلمة الله في الأرض .. وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

٦ - قضاء مستقل عن أية سلطة : يساوي بين رئيس الدولة ، والرجل العادي في الأمة ، وشعاره في ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾ (النساء : ١٣٥) .

ومهمة القضاء الأساسية تحقيق العدل بين الناس بغض النظر عن أديانهم أو أجناسهم أو ألوانهم . . وشعاره في ذلك : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (النساء : ٥٨) .

٧ - تعاون دولي : يقوم على البر والقسط وحسن التعامل . . وشعاره في ذلك : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين ﴾ (المتحنة : ٨) .

٨ - دعوة إلى تعلم العلوم النافعة سواء كان العلم شرعياً أو كونياً ، نظرياً أو تجريبياً . . ما دام لمصلحة الدين والدنيا ، وشعاره في ذلك : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (طه : ١٤٤) .

٩ - تطلع دائم نحو العزة والسيادة ، لتتوج رؤوس المسلمين بها ، ويرفعوا في العالم لواءها . . وشعاره في ذلك : ﴿ والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ (المنافقون : ٨) .

١٠ - حراسة دائمة للرأى العام ، تتمثل في « نظام الحسبة » الذى يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإشراف على تطبيق أنظمة الإسلام ، وتحقيق مصالح الأمة ودفع الأذى والشر عن الناس . . وقد جعل الإسلام « نظام الحسبة » وظيفة اجتماعية للرجال والنساء على حدّ سواء ، وشعاره في ذلك : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيزو حكيم ﴾ (التوبة : ٧١) .

تلكم أهم المبادئ والأسس في تبيان أن الإسلام دين ودولة ، وعقيدة ونظام ، ومصحف وسيف ، وعبادة وسياسة ، وتزكية وجهاد . .

والإسلام بهاتيك المبادئ ، وهذه الأسس يختلف كل الاختلاف عن طبيعة

الديانات الأخرى ، وعن قدرتها على التطور ، وعن شمولها لمناهج الحياة !! .

وسبق أن ذكرنا في بحث « منشأ العلمانية ... » أنه لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمفهوم الكهنوتي عند اليهود والنصارى . . وإنما يوجد في الإسلام رجال اختصاص في الشريعة ، واللغة ، والسيرة ، والتاريخ . . وهذا الاختصاص - كما مر - لا يمنع من يقوم على أمره بأن يشارك في قضايا الحكم ، وتقنين القوانين ، وشؤون الدولة . . ما دام كفوًا وأهلًا لحمل المسؤولية والأمانة . . كما أنه ليس له صفة القداسة والعصمة والتعظيم . . بالمفهوم الكهنوتي المعروف ، وإنما هو بشر يحسن ويسئ ، ويخطئ ويصيب . . لأن العصمة لا تكون إلاً للأنبياء ، والتعظيم لا يتجاوز حدود الأدب الذي رسمه الإسلام للكبير والعالم والسلطان الصالح . . بينما انحرف رجال الدين المسيحي - كما ألقينا - عن تعاليم المسيح عليه السلام ، واستعلوا على البشر ، وأقاموا من أنفسهم أربابًا من دون الله .

إذن فزعم العلمانيين بأن أمة الإسلام لا تصل إلى مصاف الأمم المتقدمة إلا بعد أن تفصل الدين عن الدولة ، وتنتجى الإسلام عن الحكم . . هذا الزعم - كما عرفتم يا شباب - هو زعم باطل تهاوى أمام الحقائق الإسلامية ، والردود المنطقية ، والأدلة العلمية . .

ولقد رأيتم - يا شباب - أن هذا الزعم إن كان ينطبق على الديانات الأخرى في إعطائها ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فإنه لا ينطبق بحال على تصور الإسلام في تشريعاته ومبادئه . . في الجمع بين الدين والدولة ، والأخلاق والسياسة ، والعبادة والجهاد ، والعقيدة والحياة . .

أما زعم العلمانيين بأن الإسلام استنفد أغراضه ، وأصبح لا يصلح للتطبيق في هذا العصر لتطور الحياة وتجديدها ، واستفحال عقدها ومشاكلها . .

فهذا الزعم باطل للاعتبارات التالية :

أولاً - لكونه يمتاز بالشمول والتجدد والعلمية . .

ثانيًا - لشهادة الواقع بنظرياته القانونية .

ثالثًا - لشهادة المؤتمرات الدولية بعطاءاته التجديدية . .

رابعًا - لشهادة النصفين بمبادئه في إصلاح الإنسانية .

وسوف نتكلم - يا شباب - عن هذه الاعتبارات^(١) بشيء من التوضيح ،
والله المستعان ، وعليه قصد السبيل .

أولاً - لكون الإسلام يمتاز بالشمول والتجدد والعالمية :

لا شك أن شريعة الإسلام ذات خصائص ومزايا ، فأظهر خصائصها
ومزاياها :

(أ) أنها تمتاز بالشمول : وذلك لاشتغالها على نظم وأحكام وقواعد . . في
كل جانب من جوانب الحياة . . سواء ما يتعلق بالعقائد ، والعبادات والأخلاق ،
أو ما يتعلق بالقوانين العامة من مسائل مدنية ، وأمور جنائية ، وأحوال شخصية ،
ونظم اجتماعية ، وعلاقات دولية . . أو ما يتعلق بأسس الحكم ، وقواعد
الاقتصاد ، وركائز المجتمع الفاضل . . كل ذلك في مبادئ دقيقة محكمة ، وفي
تشريعات ربانية خالدة ، تعطى ولا تأخذ ، وتجمع ولا تفرق ، وتؤلف ولا تبدد ،
وتبنى ولا تهدم . . تنزيل من حكيم حميد ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ ونزلنا
عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل :
٨٩) .

ولقد ذكرنا طرفاً عن شمولية مبادئ الإسلام حين تكلمنا عن حقيقة « الإسلام
دين ودولة » في هذا البحث قبل قليل .

ب - وأنها تمتاز بالعطاء والتجدد : وذلك لما جاءت به من مبادئ عامة ،
وقواعد كلية . . تفي بحاجات الزمن المتطور ، وتواكب مصالح العصور
المتجددة . . ولا سيما في أحكام المعاملات ، والمسائل الدستورية ، والنظم
الاقتصادية ، والقضايا المدنية ، والعلاقات الدولية . .

ولنضرب على ذلك أمثلة :

القرآن الكريم في الأمور القضائية نصّ - بوضوح - على مبدأ العدل : ﴿ وإذا
حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ ، فهذا المبدأ الذي نصّت عليه الآية

(١) هذه الاعتبارات التي ذكرناها في هذا البحث في صلاحية الشريعة مختصرة من كتابنا « حتى
يعلم الشباب » للمؤلف .
١٥٩

قاعدة كلية ثابتة في نظام الحكم لا تتبدّل ولا تتغيّر ، وهذه القاعدة يجب العمل بها في كل زمان ومكان ، ولكن وسائل تطبيق مبدأ العدل متروك للزمن المتطوّر ، والحياة المتجدّدة ، فتطبيقه في محكمة واحدة ، أو بتعدّد من المحاكم ، أو بفصل السلطة القضائية عن السلطة التشريعية ، أو السلطة التنفيذية . . فهذا كله متروك للأصلح من تجارب البشرية .

فمقصد الشريعة الأولى تطبيق مبدأ العدل ، فليكن التطبيق بأية وسيلة كانت ، وبأية صورة ارتأها أهل الحلّ والعقد ، وبأي تنظيم أشار إليه أهل الاختصاص في هذا المجال ، ما دامت المحاكم المتطوّرة تطبق مبدأ العدل بالنسبة للجميع .
ولنقس على ذلك مبدأ الشورى في قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ومبدأ المساواة في قوله سبحانه : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، ومبدأ تنظيم المعاملات المالية في قوله جلّ جلاله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... ﴾ . . وغيرها من المبادئ المدنية ، والنظم الدستورية ، والقوانين الاقتصادية . .

أما المسائل التي لم يرد فيها نصّ أصلاً فهي خاضعة للاجتهاد الزمني عن طريق القياس ، أو المصلحة المرسلّة ، أو الاستحسان أو الاستصحاب . . أو غير ذلك من الأدلة التي تختلف في تقديرها آراء الفقهاء ، واجتهاد المجتهدين باختلاف مدارسهم الفقهية . . فيجتهد بهذه المسائل المستجدّة التي لا نصّ فيها علماء راسخون متّسمون بالورع والتقوى ، فيصدرون أحكامهم بما يحقق وجه المصلحة ، وما يلائم التطور الحضاري ، والتجدّد الحياتي . . كاجتهادهم في جواز التعويض العائلي ، والتأمين الصحي ، والتكافل الاجتماعي والتقاعد المعاشي . . وعلى هذا يقول علماء الأصول : « لا ينكر تغيير الأحكام بتغيير الأزمان » .

وأما المسائل التي ورد فيها نصوص قطعية الثبوت والدلالة كمسائل العقيدة ، وأركان الإيمان ، وأحكام العبادات ، وتحريم الزنا ، وألربا ، والخمر ، والميسر ، وتحديد أنصبة الموارث ، وعدة الطلاق والوفاة ونحوها . . فهذه النصوص القطعية منطقة محرّمة لا يدخلها الاجتهاد ، ولا تخضع لأيّ تبديل ، بل كل من يريد أن يبدّل فيها ، أو يجتهد في تطويرها وتعديلها . . فيكون هادماً للشريعة ومحاولاً لله والرسول ، وخالفاً من عنقه ريقة الإسلام . . وعلى هذا يقول علماء الأصول : لا مجال للاجتهاد في مورد النصّ .

ج - وأنها تمتاز بالعالمية : ذلك لأن الشريعة في كل أحكامها ومبادئها وأنظمتها ذات صبغة إنسانية عالمية ، فهي رحمة للعالمين ، وهداية للناس كافة ، فليست تشريعاً لجنس خاص من البشر ، أو لإقليم معين من الأرض ، بل هي للإنسان من حيث هو إنسان : أبيض أو أسود ، عربياً أو أعجمياً ، شرقياً أو غربياً . فلا عنصرية في هذا التشريع ، ولا عصبية ولا طبقية في هذا الدين ، وإنما الناس فيه سواء .

وهذه العالمية مؤكدة في أكثر من آية في كتاب الله عز وجل :

من هذه الآيات : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

ومن هذه الآيات : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

وإن شريعة تجمع في طياتها مزايا العالمية والشمول ، وتحمل في أنظمتها خصائص العدل والتجدد والعطاء . . . هي شريعة تستحق البقاء ، وتستأهل الخلود ، وتضيء للدنيا أنوار الحق والهداية والعرفان ، وترفع في سماء البشرية منارات العلم والمدنية والحضارة ، وتسطر في ضمير الزمان آيات المجد والعظمة والخلود .

ثانياً - شهادة الواقع بنظرياته القانونية :

إن النظريات القانونية التي يباهي بها العصر الحديث ، وتفتخر بها الفلسفات الدستورية اليوم ، قد سبقت بها الشريعة الإسلامية ، وأرست قواعدها ، وقام على ذلك فقهاها وتشريعها وقضاؤها قبل أربعة عشر قرناً .

وقد عرض القانوني الكبير الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله في مقدمة الجزء الأول من كتابه القيم « التشريع الجنائي في الإسلام » طائفة من النظريات ، والمبادئ التشريعية التي لم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيراً .

من هذه النظريات : « نظرية المساواة » التي جاءت بها الشريعة من وقت نزولها بنصوص صريحة تقرّها وتفرضها فرضاً بلا قيود ولا استثناءات ، فلا امتياز لفرد على فرد ، ولا لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، ولا للحاكم على محكوم . . .

والشعار في ذلك : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات : ١٣) .

هذا على حين لم تعرف القوانين الوضعية هذه النظرية إلا في أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، وهي مع هذا تطبيقاً محدّداً بالنسبة إلى الشريعة التي توسّعت في تطبيقه إلى أقصى حدّ .

ومن هذه النظريات : « نظرية الحرية » التي قرّرتها الشريعة في أروع صورها فقررت حرية التفكير ، وحرية العقيدة ، وحرية القول . . وساق الشهيد عودة من النصوص الدالّة على هذه الحرية ما يملأ النفس والعقل .

ومن ذلك : « نظرية الشورى » التي نزل بها القرآن الكريم منذ عهده المكي ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ وأمّدها في المدينة بقوله : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ .

وقد سبقت الشريعة القوانين الوضعية في تقرير مبدأ الشورى بأحد عشر قرناً ، حيث لم تأخذ القوانين به إلا بعد الثورة الفرنسية في القرن السابع عشر ، وقانون الولايات المتحدة الذي أقرّ المبدأ بعد منتصف القرن الثامن عشر .

ومن ذلك أيضاً : « نظرية تقييد سلطة الحاكم » ، وهي تقوم على ثلاثة مبادئ أساسية :

- أولها : وضع حدود لسلطة الحاكم .
- ثانيها : مسؤوليته عن عدوانه .
- ثالثها : تخويل الأمة حق عزله .

وقد جاءت هذه النظرية بهذه المبادئ الثلاثة في وقت كانت سلطة الحكام في العالم سلطة مطلقة على المحكومين ، فكانت شريعة الإسلام أول شريعة تقيّد هذه السلطة ، وتلزم الحاكمين أن يتصرّفوا داخل حدود معينة ، وضمن دائرة خاصة ، ليس لهم أن يتجاوزوها وإنّ لا . . فلم يكن لهم سمع ولا طاعة . .

ومن التفريعات على هذه النظريات :

(أ) الطلاق : الذي اضطرت دول الغرب كافة إلى الاعتراف به ، وآخرها تلك الدولة الكاثوليكية العريقة بتعصّبها وهي إيطاليا ، وقد عقد في « لاهاي » سنة / ١٩٦٨ م مؤتمر للقانون الدولي الخاص (الدورة الحادية عشرة) ، فكان

مما تناوله البحث : إعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق والتفريق القانوني على المستوى الدولي ، وهذا معناه الرجوع إلى حكم الإسلام .

(ب) الربا : الذي زعموا في وقت من الأوقات أن عجلة الحياة الاقتصادية لا تدور إلا به ، حتى قام من كبار الاقتصاديين في الغرب من ينقض فكرة الربا من أساسها باسم العلم والاقتصاد نفسه ، لا باسم الدين والإيمان ؛ ولعل أشهر اسم يذكر في هذا الصدد هو اسم الاقتصادي البريطاني الشهير « كينز » الذي قرّر : « أن المجتمع لا يصل إلى العدالة الكاملة إلا بالقضاء على سعر الفائدة » ؛ وكذلك الدكتور « شاخنت » الألماني الذي يقول : « بعملية رياضية غير متناهية ، يتضح أن جميع المال صائر إلى عدد قليل من المرابين »^(١) .

إلى غير ذلك من هذه النظريات والتفريعات التي جاءت بها الشريعة قبل أربعة عشر قرناً ، والتي تكشف عن عظمة الإسلام التشريعية ، ومبادئه الإنسانية الخالدة .

ثالثاً - شهادة المؤتمرات الدولية بعطاءات الشريعة التجديدية :

ففي مدينة « لاهاي » سنة / ١٩٣٧ / م انعقد مؤتمر دولي للقانون المقارن دُعي إليه الأزهر الشريف ، فمثله مندوبان من كبار العلماء حضرا فيه عن « المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية » ، وعن « استقلال الفقه الإسلامي » ، ونفّي كل صلة مزعومة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني ، وقد سجّل المؤتمر على أثر ذلك قراره التاريخي الهام بالنسبة إلى رجال التشريع الغربي وقد جاء فيه :

- ١ - اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرًا من مصادر التشريع .
- ٢ - وأنها حيّة قابلة للتطور .
- ٣ - وأنها شرع قائم بذاته ليس مأخوذًا عن غيره^(٢) .

وفي نفس المدينة « لاهاي » سنة / ١٩٤٨ / م انعقد مؤتمر المحامين الدولي

(١) ارجع إلى « الظلال » للشهيد سيد قطب - المجلد الأول - آية : ﴿ الذين يأكلون الربا ... ﴾ .

(٢) من كتاب التشريع الإسلامي للأساتذة : السايس ، والسبكي .. ص : ٣٥٣ .

الذي اشتركت فيه (٥٣) دولة من أنحاء العالم ، والذي ضمَّ جمعًا غفيرًا من الأساتذة والمحامين من مختلف الأمم والأقطار .

اتخذ المؤتمر القرار التالي : « نظرًا لما في التشريع الإسلامي من مرونة ، وما له من شأن هام ، يجب على جمعية المحامين الدولية أن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع وتشجع عليها »^(١) .

وفي سنة / ١٩٥٠ م/ عقدت شعبة الحقوق من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمرًا تحت اسم « أسبوع الفقه الإسلامي » في كلية الحقوق من جامعة باريس ، وقد حضره كثير من المختصين ، وفي الختام وضع المؤتمر بالإجماع هذا التقرير : [وبناءً على الفائدة المتحققة من المباحثات التي عرضت أثناء أسبوع الفقه الإسلامي ، وما جرى حولها من المناقشات التي نخلص منها بوضوح إلى :

- ١ - إن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها .
- ٢ - إن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية وهي مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها ..]^(٢) .

ففي هذه الشهادات من المؤتمرات الدولية المتخصصة برهان ساطع على صلاحية هذه الشريعة وتجديدها ، واستجابتها لجميع مطالب الحياة .

رابعًا - شهادة المنصفين من العلماء الغربيين في عظمة الشريعة^(٣) :

شهادات المنصفين الغربيين في عظمة التشريع الإسلامي أكثر من أن تحصى . . هذه الشهادات ليست من رجال الأزهر ، وعلماء الإسلام . . وإنما هي شهادات من كبار رجال القانون الوضعي الذين عاشوا في أجوائه ، ورضعوا من لبنه ، وهي شهادات معللة تحمل في عباراتها براهين صدقها معترفة بفضل الشريعة وسبقها وتفوقها .

(١) المدخل الفقهي للأستاذ مصطفى الزرقاء جزء (١) ص : ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أكثر هذه الشهادات التي سقناها من كتاب « شريعة الإسلام » للدكتور القرضاوي ص : ٢٥ .

ولا بأس أن نسوق هنا بعض شهادات هؤلاء للذين لا يزالون يثقون بالفكرة إذا هبت ريحها من جهة الغرب :

يقول الدكتور « إيزكو انسباتو » : « إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية ، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً » .
ويقول العلامة الأستاذ « شبرل » عميد كلية الحقوق بجامعة « فينا » في مؤتمر الحقوق عام ١٩٢٧م : إن البشرية تفتخر بانتساب رجل كمحمد - ﷺ - إليها ، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة .

ويقول المؤرخ « سيديو » : « إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك هو (شرح الدردير على متن خليل) » .

ويقول العلامة الكبير « ساتيلانا » : « إن في الفقه الإسلامي ما يكفي للمسلمين في تشريعهم إن لم نقل ما يكفي الإنسانية كلها » .

ويقول الدكتور « هوكنج » أستاذ الفلسفة في جامعة « هارفارد » : « إن في نظام الإسلام استعداداً داخلياً للنمو ، وإني أشعر بأني على حق حين أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة للنهوض » .

ويقول الفيلسوف الانجليزي المشهور « برنارد شو » : « لقد كان دين محمد موضع تقدير سامٍ لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وإن رجلاً كشاكلته إذا تولّى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته » .

إن هذه الأقوال وأقوالاً كثيرة غيرها تشهد بجلاء على ما انطوت عليه شريعة الإسلام من ثروة قانونية وتشريعية ، وقوة دفع علمية وحضارية ، وظاهرة عطائية وتجديدية . . والفضل كل الفضل بما اعترف به المنصفون ، وشهد به الأعداء . .
شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

إذن فزعم العلمانيين أن الشريعة الإسلامية استفدت أغراضها ، وأصبحت

لا تصلح لعصر الذرة والكهرباء وتطوّر الحضارة اليوم . . هو زعم باطل تهاوى أمام الحقائق الإسلامية ، والرودد المنطقية ، والأدلة العلمية ، والشواهد الواقعية والدولية ، واعترافات المنصفين بالإسلام في مدى فعاليته في إصلاح البشرية . .

فما عليكم - يا شباب - إلا أن تعلنوا للدنيا أن هذا الإسلام العظيم الذي به تؤمنون هو السبيل الأوحى في توطيد دعائم الأمن والسلام والاستقرار ، وفي نشر مبادئ الحق والعدالة والحرية والمساواة . . وفي رفع لواء العلم والحضارة والمدنية في العالم . . عسى أن تنعم البشرية بهداية الإسلام من جديد .

أما ماذا نصنع باليهود والنصارى في المجتمعات الإسلامية
إذا كان الحكم فيها للإسلام؟

فهذا الزعم تردّه المبادئ الإسلامية في تعاملها مع أهل الكتاب ، وتكذيب التجربة التاريخية التي أعطت البرهان العملي فيما كان يلقاه أهل الذمّة من سماحة ووفاء وحسن تعامل . . في ظل الحكم الإسلامي ، وتحت رعاية الخلفاء .

أما أنه تردّه المبادئ الإسلامية في تعاملها مع أهل الكتاب .

فإن الإسلام بمبادئه السمحة ، وتعاليمه الرشيدة أعطاهم من الحقوق العادلة ما لا يمكن أن ينالوها في ظلّ الديانات الأخرى ، والقوانين الوضعية في أي عصر من العصور .

ما هي أهم هذه الحقوق؟

١ - حرية العقيدة : حيث يعيشون أحراراً في ظلّ عقيدتهم التي بها يدينون ، إذ لا يجوز لأحد من المسلمين أن يكرههم على الإسلام ، ولا أن يضطرهم إلى اعتناقه بالتهديد أو الإغراء . . للشعار الذي يرفعه القرآن : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (البقرة : ٢٥٦) .

٢ - حرية العبادة : حيث يعيشون أحراراً في معابدهم وأحوالهم الشخصية إذ لا يجوز لأحد أن يتدخل في عبادتهم وأمور زواجهم .

جاء في معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين ما يلي : « هذا ما أعطى

عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم » .

٣ - المحافظة على أموالهم ودمائهم وأعراضهم : جاء في كتاب « نصب الراية » عن علي كرم الله وجهه : « وإنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا » ؛ وجاء في شرح البخاري لليعني : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من قتل معاهدًا بغير حق لم يُرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا » .

٤ - حمايتهم من كل ظلم أو اعتداء أو اغتصاب : جاء في رواية البخاري : كان فيما أوصى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته : « أوصي الخليفة من بعدي بدمية رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم » .

وروى أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من ظلم معاهدًا ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ شيئًا منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » .

٥ - إعطاؤهم من الحقوق العامة ما يعطى للمسلمين : وكنموذج لمعرفة حقوق الذميين الناتجة عن عقد الذمة نذكر جانبًا مما جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران - كما جاء في كتاب « فتوح البلدان » و « الخراج » - : « ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ على أموالهم ، وأنفسهم ؛ وأرضهم وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعتهم (أي كنائسهم) ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . . لا يغير أسقف من أساقفتهم ، ولا راهب من رهبانهم . . ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولا يطاق أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقًا فبينهم النصف (أي العدل) غير ظالمين ولا مظلومين .

٦ - تؤخذ منهم الجزية بنسبة محدودة : قرّر الفقهاء : [أن الجزية تؤخذ من الفقير القادر على الكسب ما يساوي (١٢) درهمًا ، ومن متوسط الحال ما يساوي (٢٤) درهمًا ، ومن الغني ما يساوي (٤٨) درهمًا ، يؤخذ هذا من كل واحد مرة واحدة في العام] .

وقد قرروا أيضًا : [وتسقط الجزية بالعمى ، والزمانة المرضية ، والعجز ،

والشيخوخة . . ولا تضرب الجزية على نساء أهل الكتاب ، ولا على صبيانهم حتى يبلغوا ، ولا على عبيدهم ومجانينهم ، وأصحاب الصوامع من الرهبان . . [. . .]
 وهذا الذي يؤخذ منهم من الجزية قليل جدًا مما يؤخذ من المسلم زكاة من أصل ماله ، ومما يؤخذ منه أيضًا بما يسدّ الحاجة في أيام الكوارث والجوائح ، والجهاد مع الأعداء . . ومما تجدر الإشارة إليه أن الجزية تسقط عن الذمي إذا أسلم بمحض حرّيته ، لما روى الإمام أحمد وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام : « ليس على من أسلم جزية » .

ومما يجب التنبيه إليه : أن هذه الجزية التي تؤخذ من الذميين هي مقابل رد العدوان عنهم ، وتحقيق التكافل لهم . . فإذا عجز المسلمون عن حمايتهم فعليهم أن يردّوا إليهم أموالهم التي أخذوها منهم ، ثم يجبروهم أنهم عاجزون عن حمايتهم فليحموا أنفسهم .

٧ - تحقيق التكافل لعاجزهم وضعيفهم : روى « أبو يوسف » في كتابه « الخراج » : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الحاجة ، والجزية ، والسّنّ ، فقال له عمر : « ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك » ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ، ووضع الجزية عنه وعن ضربائه .

ومما ذكر « أبو يوسف » في كتاب « الخراج » : « أن عمر رضي الله عنه مرّ على قوم مجذومين من النصارى ، فأمر بمعالجتهم ، وفرض لهم ما يكفيهم من بيت المال » .

٨ - أمر الإسلام بمحاسنتهم وملاطفتهم : ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص عامله في مصر : [إن معك أهل ذمة وعهد ، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم ، وأوصى بالقبط فقال : « استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمةً ورحمًا »] .

ومما يشهد لهذه المحاسنة والملاطفة ما قاله « بورجيه » في كتابه « الحروب الصليبية » : « . . إن المسلمين تداركونا ، وسدّوا خلّتنا ، وأطعمونا بعد أن أهلكنا الجوع ، وما زالوا يحسنون إلينا حتى غمرونا ببرّهم وإحسانهم . . » . ويقول « أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » : [لقد كانت هذه المعاملة

الرحيمة سبباً في التجاء الكثير من الصليبيين إلى الإسلام والدخول فيه . . . » .
تلكم أهم الحقوق العادلة التي منحها الإسلام لأهل الكتابين : اليهود
والنصارى ، حينما يريدون أن يعيشوا في كنف الدولة الإسلامية ، ويرفلوا في
رياض السباحة والعدل . . .

فهل يعي العلمانيون والقوميون هذه الحقائق ؟ وهل يدركون أن هذه الحقوق
التي قنتها الشريعة الغراء لأهل الكتاب لا يمكن بحال أن يروها في أية أقلية تعيش
في كنف دولة قوية لها بين الأمم كيان ، وبين الدول سلطان !!؟

ثم ماذا عن التجربة التاريخية ؟

وهنا نريد أن نسأل العلمانيين والقوميين وسائر اللادينيين :

ماذا يعلمون عن تاريخ الوحدة الإسلامية ، وتجربة الحكم الإسلامي خلال
القرون ؟

هل سمعوا أن كتابياً واحداً من اليهود والنصارى قد أصابه أى حيف أو ظلم
في ظلال الحكم الإسلامي ، والوحدة الإسلامية الشاملة ؟ .

هل يستطيعون أن ينكروا ما سجله التاريخ من شكر النصارى لعدالة الإسلام ،
وسماحة المسلمين تحت راية الحكم بما أنزل الله ؟ .

وإيكم التجربة التاريخية بأظهر أدلتها :

(أ) إن السلطان « سليم الأول » العثماني رأى أن الأروام ، والبلغار ،
والأرمن . . . قد كثروا في مملكته كثرة مزعجة ، وأقضوا مضجع الدولة الإسلامية
بفتنهم ومؤامراتهم . . . فقرّر أن يجبرهم على الإسلام ، أو يخرجهم من مملكته ،
فعارض شيخ الإسلام « زنبيلي علي افندي » معارضة شديدة ، وقال له بلهجة
شديدة قاطعة : وليس لك على اليهود والنصارى إلا الجزية ، وليس لك أن
تزعجهم عن أوطانهم ، فرجع السلطان سليم عن عزمه امتثالاً لإرادة الشرع .

(ب) لما غزا التتار بلاد الإسلام ، ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم ،
ثم عادت الغلبة للمسلمين ، ودان ملوك التتار للإسلام ، خاطب شيخ الإسلام

أمير التتار بإطلاق الأسرى ، فسمح له الأمير التتاري بفك أسرى المسلمين ، وأنى أن يسمح بفك أهل الذمة ، فقال شيخ الإسلام : لا بد من فك الأسرى من اليهود والنصارى ، لأنهم أهل ذمتنا ، فأطلقهم له .

(ج) ذكر « البلاذري » في كتابه « فتوح البلدان » من أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وفد عليه قوم من أهل « سمرقند » ، وشكوا إليه « قتيبة بن مسلم الباهلي » بأنه دخل مدينتهم على غدرٍ منهم ، وأسكن المسلمين بها ! ! . فكتب عمر إلى واليه في الولاية المجاورة ، وأمره بأن يرفع شكواهم إلى القاضي ، فإن ثبت لديه ما ادّعوه ، أمر بإخراج المسلمين من سمرقند ، فلما رفعت القضية إلى قاضي المسلمين « ابن خاطر الباجي » حكم بإخراج المسلمين لكونهم لم يندروهم ولم يدعوهم . . فعجب أهل « سمرقند » من عدالة المسلمين والإسلام ، فأكبروها ودخلوا في الإسلام طائعين .

(د) ومما يذكره التاريخ بملء الافتخار أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتص من ابن واليه عمرو بن العاص لضربه قبطياً مصرياً ظلماً بدون حق ، ثم التفت إلى عمرو وقال له قوله الخالدة : « يا عمرو متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

(هـ) ومما يرويه التاريخ في صفحاته الخالدة أن عاملاً من عمال عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عمر يقول له : إن الدخول في الإسلام أضرب بالجزية ، فاقترح على أمير المؤمنين أن يفرضها على من أسلم ، فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز يقول : « قبح الله رأيك . . إن الله سبحانه لم يرسل محمداً ﷺ جابياً ، وإنما أرسله هادياً ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فارفع الجزية عن من أسلم من أهل الذمة !! . (و) والكثير يعلم موقف عليّ كرم الله وجهه - وهو أمير المؤمنين - حين مثل هو ويهودي أمام القضاء في قضية « درع » كان قد افتقدها أثناء ذهابه إلى صفين ، فحكم القاضي « شريح » بالدرع لليهودي ، لكون الأدلة لم تتوفر لديه أن الدرع درع أمير المؤمنين .

والرواية التاريخية تقول : إن اليهودي أعلن إسلامه في مجلس القضاء لما رأى العدالة والنزاهة في أجلى صورها ، واعترف - أمام القضاء - بأن الدرع ليست درعه ، وإنما هي درع أمير المؤمنين ، كان قد التقطها من الأرض عندما تحرك جيش عليّ رضي الله عنه إلى صفين ! ! .

هذا غيظ من فيض مما ذكره التاريخ في ثنياه ، عن ظاهرة النزعة الإنسانية المتمثلة في مبادئ الإسلام ، والمتحققة في عالم الواقع عبر العصور . .

فقد طوّف الإسلام في الآفاق شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، ونزل السهول والوديان ، وساح في الجبال والصحاري ، وتقلّب في جميع الأقطار والأمصار ، وعاصر الرخاء والشدة ، والسلم والحرب ، والحضارة والتخلف . . وواجه الأحداث في جميع الأزمنة والقرون . . فكانت المحاسنة والمعاملة لأبناء الشعوب لا مثيل لها في التاريخ ، بل كان التسامح الذي شهده أصحاب العقائد والملل والديانات . . من حكام المسلمين مفخرة من مفاخر الإسلام على وجه الزمان والأيام .

ولسنا وحدنا في هذه الشهادة ، بل شاركنا بها رجال منصفون من غير المسلمين ، فقد أدوا الشهادة خير أداء للحقيقة والتاريخ .

وإليكم بعض النماذج من شهاداتهم الصادقة :

يقول الأستاذ « أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » ص : ٦٦ - ٦٨ : [ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في « فحل » ، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون : « معشر المسلمين : أنتم أحبّ إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكفّ عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا] .

« وغلّق أهل حمص أبواب المدينة دون جيش « هرقل » ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحبّ إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم . . وإن كانوا على دينهم .. » [.

ويشهد البطريك « عيشوييه » عام / ٦٥٦ / هـ بسماحة الإسلام حين قال : [إن العرب الذين مكّتهم الربّ من السيطرة على العالم ، يعاملوننا بعدالة - كما تعرفون - ، إنهم ليسوا أعداءً للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسنا ، ويمدّون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا] .

ويقول « غوستاف لوبون » في كتابه « تاريخ العرب » : « ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب » .

ومما يتغنى به التاريخ على مدى الدهر أن السلطان « صلاح الدين الأيوبي » عندما استردَّ بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ، ووفى لهم بجميع عهوده ، وعاملهم أحسن معاملة . . علمًا بأن الصليبيين ذبحوا في يوم واحد في الحرب الصليبيَّة الأولى سبعين ألف مسلم تذييح النَّعاج ، حتى إن الدماء كانت تجري أنهارًا في شوارع القدس والمسجد الأقصى . . لم يرحموا كبيرًا ولا صغيرًا ، ولم يوقروا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا طفلًا ! ! ! . .

ولترك الكلام إلى « بورجا » ، ولنستمع إلى ما يقول في كتابه « الحروب الصليبيَّة » ، فقد نقل على لسان أحد الصليبيين الذين شهدوا المعركة شهادة حق حيث قال : [هؤلاء (أي المسلمون) الذين قتلنا آباءهم ونسائهم بشتى الطرق ، وسلبنا أموالهم ، وأخرجناهم من منازلهم عراءً . . تداركونا ، وسدّوا خلّتنا ، وأطعمونا بعد أن أهلكنا الجوع ، وما زالوا يحسنون إلينا حتى غمرونا ببرّهم وإحسانهم . . لما كنا أسرى في ديارهم وفي قبضة أيديهم ، فلو ضاع لأحدنا شيء ما أبطأ أن ردّه إلى صاحبه] .

من هذه الموازنة يتبيّن لكل ذي عقل وبصيرة الفرق الكبير بين عدلنا وظلمهم ، وسماحتنا وحقدهم . . ورحم الله من قال :

ملكنا فكان العدل منا سجيّة فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلّلتُم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى نمّ ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناء بالذي فيه ينضح

من هذه الشهادات الصادقة الحقّة يتبيّن لكل من يريد أن يعلم الحقيقة ناصعة ساطعة أن التاريخ لم يعرف أنبل ولا أكرم ولا أرحم . . من سماحة المسلمين في معاملتهم ، وعدلهم في أحكامهم ، ورحمتهم لأعدائهم . .

إذن فزعم العلمانيين بادعائهم : ماذا نضع باليهود والنصارى في المجتمعات الإسلاميّة إذا كان الحكم فيها للإسلام ؟ . . هو زعم باطل تهاوى أمام الردود العمليّة ، والحقائق الإسلاميّة ، والشواهد التاريخيّة ، واعترافات المنصفين المحقّقين من الشخصيات الغربيّة . .

فما عليكم - يا شباب - إلا أن تعلنوا للعالم كله أن هذا الإسلام العظيم نزل لتجد الإنسانية في ظلال حكمه ، ومعاملة ولاته . . كل عطف وإكرام ورعاية . . بل لتجد كل رحمة وعدل وهداية . .

ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون ؟

* * *

الثاني : - التأثر بالفكر اللاديني :

بعد أن تكلمنا مفصلاً عن الباعث الأول^(١) في تبني الحكم العلماني في بلاد الإسلام نتكلم إن شاء الله عن الباعث الثاني بشيء من التفصيل ، والله المستعان ، وعليه قصد السبيل .

من المؤكد يقيناً أن الذي فسد تصوّره عن الإسلام وأحكامه ، وأنظّمته وتشريعاته ، وتاريخه وأمجاده ، ومدنيّته وحضارته . . من المؤكد أنه يتأثر بكل غزو فكري ، ويتفاعل مع كل دعوة لادينية ، وينقاد لكل فكرة لا أخلاقية . .

ذلك لأنه فارغ العقيدة ، وفارغ العلم ، وفارغ الأخلاق . . فمن الطبيعي أن يتأثر ، ويتفاعل ، وينقاد . . بدون إحساس من ضمير ، وبدون احتكام لمنطق ، وبدون بحث عن حقيقة . . ومن الطبيعي أن تجد هذه الأفكار العلمانية ، والدعوات اللادينية من نفسه قلباً خالياً فتعشش فيه ، ونفسيةً خربة فتأوي إليها ، فيصبح عدواً لدينه وأمته ، وحرماً على عقيدته ومقدّساته . .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وسبق أن ذكرنا في أول بحث « تحدي الغزو الفكري » أن المقصود بالغزو الفكري النظريات والمبادئ والشعارات . . التي يرفع رايتها الغرب والشرق على حدّ سواء .

(١) الباعث الأول هو « الفساد في التصور الإسلامي » كما سبق بيانه والحديث عنه .

فهؤلاء الحكماء العلمانيون في بلاد الإسلام هم الذين يردّدون هذه النظريات والمبادئ والشعارات . . . ترديد البيغاوات ، ويقلّدونها تقليد القردة دون أن يدركوا حقيقتها ، أو يعرفوا مضرّتها ، أو يتدبّروا أثرها ونتائجها . . . وهذا لعمرى هو التقليد والانحراف والضلال المبين ، بل هو الجحود والنكران لعظمة الإسلام التشريعية ، وأجداد المسلمين التاريخية ، ومعطيات القرآن الحضارية . . .

فالمتأثر بالفكر الغربي ماذا يتبنّى ؟

يتبنّى في مجال الحكم مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وحصر الدين بين جدران المعبد . . .

ويتبنّى في مجال الاقتصاد النظام الرأسمالي ، والقانون الطبقي . . . ويتبنّى في مجال السياسة مبادئ الديمقراطية ، والقوانين الوضعية . . . ويتبنّى في مجال الاجتماع المبادئ التي تدعو إلى تحرير المرأة ، والاختلاط بين الجنسين . . .

ويتبنّى في مجال الأخلاق النظريات التي تشجّع على الإباحية ، والتفلّت من ربة الفضائل والمثل . . .

إلى غير ذلك من هذه الأنظمة والمبادئ والشعارات . . . التي تقلّل من شأن الدين ، وتطعن الأخلاق ، وتقتل الشخصية ، وتفقد الكرامة ، وتوجّه إلى الانحراف .

والمتأثر بالفكر الشيوعي أو الاشتراكي ماذا يتبنّى ؟

يتبنّى مبادئ « كارل ماركس » و« لينين » . . . الإلحادية التي تقوم على أنه :

- « لا إله في الكون والحياة مادّة » .
- « الدين أفيون الشعوب » .
- « الأنبياء لصوص كذّابون » .
- « الله ، والأديان ، والرأسمالية ، والإقطاع . . . ما هي إلا دميّ محنّطة في

[نحن نؤمن بثلاثة : « كارل ماركس ، ولينين ، وستالين » ، ونكفر بثلاثة :
الله ، الدين ، الملكية الخاصة »] .

ويتبنى النظام الاجتماعي الذي يقوم على الأسس التالية :

- ١ - القضاء على الأسرة بمنع رباطها ألا وهو الزواج . .
- ٢ - إقامة « الحظائر الجماعية » لتربية أبناء الدولة ، ومنع الأبوين من أي توجيه أو تلقين . .
- ٣ - إطلاق المشايعة الجنسية بين رجال الدولة ونسائها ، أو الزواج الاختياري كما يسمونه .

ويتبنى النظام الاقتصادي الذي يقوم على شيوعية المال ، وإلغاء الملكية وآلية العامل المسخرة . .

ويتبنى النظام السياسي الذي يقوم على الحكم الدكتاتوري ، والتسلط الحزبي ، والكبت الاجتماعي . .

إلى غير ذلك من هذه الأنظمة والمبادئ التي تقتل كرامة الإنسان ، وتسوقه بالعصا وقوة القهر إلى حظائر الاستعباد والمهانة . .

وينبغي أن لا يغرب عن البال ، بل مما يجب أن يعيه كل إنسان أن المتأثرين بالفكر الغربي أو الشيوعي ، والمتبئين للأنظمة والمبادئ التي يدعو إليها أحدهما أو كلاهما . . قد جراً البلاد الإسلامية إلى تبعية بغیضة منكرة ، وفي هذه التبعية يكمن دهاء هذه الدول المتبوعة ومكرها . . فليس أقتل للشعوب من أن تفقد إحساس الشعور بالكرامة والتحرر والحرية وهي ترسف في قيود الذلة والتبعية والاستعباد . . وليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم من أن يخون حكامها الأمانة ، وأن يعجزوا عن التخطيط والعمل لمستقبلها ومصيرها . .

والأنكى من ذلك والأشدّ هو أن يرموا في أحضان أعدائها ، فما تحسّ هذه الأمة إلا وهي دائرة في فلك من تستغلّ خيراتها ، وتعيث بعقائدها ، وتهدم أمجادها ، وتشكك بتاريخها وأمجادها ، وتفقدها كل مقومات عزتها وسيادتها ووجودها !! . .

هل أدرك العلمانيون ماذا يجبون على أمة الإسلام؟

هل أدركوا أن في انخراطهم في تبعية الدول الكبرى ما هو إلا ضياع للأمة الإسلامية بأسرها ، وتبديد لمستقبلها ، وفقدان لكيانها ووحدها . . فضلا عما يصرفها عن كتاب ربها ، وسنة نبيها ، وإعراضها عن منهج الله عز وجل ؟ !! .

هل أدركوا في تبنيمهم للغزو الفكري بمعتقداته الفاسدة ، وتصوراته المنحرفة . . ما هو في الحقيقة إلا انسلاخ من العقيدة الإسلامية التي أقر أهل الحق بأصالتها ، وجحود للشريعة القرآنية التي شهد الأعداء من أهل الخبرة والاختصاص بمعطياتها وصلاحيتها ؟ !! .

هل أدركوا أن في أخذهم عن مناهج الدول الكبرى ما هو إلا تشوية لفكر أمة الإسلام ، وجحود لأصالته ، ونكران لصلاحيته ، ومسوخ لهديه وحقايقه ؟ !! . .

هل أدركوا أن في تنفيذهم لمخططات الغزو الفكري ما هو إلا قطع الصلة بين الجيل الحاضر وبين تاريخه المشرف الخالد ، وأمجاده السامقة التليدة . . ليحل محل ذلك تاريخ عدو لا يرجو الله وقارا ، ولا يقيم للدين حرمة ، ولا للأخلاق الفاضلة وزنا ؟ !! .

هل أدركوا أن في ارتباطهم في ذيل الدول الكبرى ما هو إلا تراحم للغتها على لغة القرآن ، لتحل محلها اللغات القومية ، واللهجات العامية والإقليمية . . وما ذاك إلا إضعاف لفكر أمة الإسلام ، وقتل لذاتيتها وشخصيتها . . ؟ !! .

هل أدركوا أن في تبعيتهم لأعدائهم ، وتلقينهم عن فكر غيرهم . . ما هو إلا تقليد لسلوكهم وأخلاقيتهم ، ومحاكاة لتقاليدهم وعاداتهم ، والجري وراء فسادهم وانحلالهم ؟ !! .

وسبق أن تكلمنا بإيجاز عن آثار العلمانية وتأثيرها على المجتمعات الإسلامية . .

تكلمنا عن آثارها : في الحكم والسياسة ، في الحياة الاجتماعية ، في الحياة السياسية ، في الحياة الاقتصادية ، في مجال وسائل الإعلام ، في مناهج التعليم والتربية ، في انتشار مخططات أعداء الإسلام . .

وما ذاك إلا لتأثر الحكّام العلمانيين بأفكار أعدائهم ، وتنفيذهم لمخططاتهم ،
والارتقاء في أحضانهم ، واعتزازهم بقيمتهم وحضاراتهم . .

ولكن ما الدافع الأكبر الذي دفع العلمانيين إلى أن ينساقوا وراء الدول
الكبرى ، ويعطوها ولاءها ، ويتأثروا بأفكارها ومبادئها ؟

هو في الحقيقة انبهارهم بالحضارة المادية الحديثة ، وانخداعهم ببريقها دون أن
يدركوا مفهوم الحضارة بشقيها ، ودون أن يعوا أخطارها ومثالبها .

نعم هذه الدول الكبرى المتبوعة قد تحضّرت مادّيًا وصناعيًا ، ولكنها لم تتحضّر
روحياً ومعنويًا . . لأن الحضارة - كما عرفها العلماء - ذات شقين : مادي ،
ومعنوي .

فالمادي : هو مظاهر الرقي الذي يشمل جميع جوانب الحياة المادية من
صناعة ، وزراعة ، وتجارة ، وعمران ، وفنون ، واختراع . .

والمعنوي : هو مظاهر الرقي الذي يتصل بالقيم الروحية ، والمشاعر الإنسانية ،
والمبادئ الخلقية ، والإبداع الأدبي والفكري . .

فبناءً على هذا التقسيم العلمي الموضوعي للحضارة يتبيّن أن الأمة لا تقاس
بالتقدّم العلمي والصناعي والآلي والعمرائي . . إلا بمقدار ما يكون ذلك تعبيرًا
عن مقاصد إنسانية صالحة ، وتجسيدًا لمبادئ خلقية فاضلة . .

ولقد أجمع المختصون من رجالات التربية والإصلاح والأخلاق في كل
عصر . . على أنه لا يلزم من وجود الرقي المادي في بيئة من البيئات وجود حضارة
إنسانية بالتقسيم الذي أوضحناه ؛ إذ قد توجد أمة متفوّقة مادّيًا ، ومتقدّمة علميًا
وصناعيًا ، ولكنها غير متحضّرة إنسانيًا ، وغير متسامية روحياً وخلقياً ! ! .

وأوضح مثل على ذلك : تلك التفرقة العنصريّة بين البيض والسود التي ترفع
لواءها اليوم « أمريكا » هذه الدولة تعدّ - في نظر الكثير - من أعظم دول العالم
في الحضارة المادية ، والإنتاج الصناعي ، والاختراع العلمي . . عدا عن
استعبادها للدول الضعيفة ، وتحيزها لإسرائيل ، ووقوفها بجانبها ، ضد من
أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق من شعب فلسطين الآمن الوديع ! ! .

وإن نسينا فلا ننسى استعباد الدول الشيوعية والاشتراكية لأفراد شعبا ، وعلى الأخص استعبادها لأبناء المسلمين الواقعين تحت سيطرتها ونفوذها ، فإنها سامتهم سوء العذاب ، وذبحت نساءهم وأطفالهم وشيوخهم ورجالهم . . . وليس لهم من ذنب إلا أن قالوا ربُّنا الله ، فإن أفعالها ظلمت ولا تزال تظلم وصمة عار في جبين الإنسانية ، بل تسلط وهمجية لم يشهد التاريخ مثله على مدى العصور .

ولقد رأينا في هذا العصر الذي يسمونه عصر الحضارة والعلم والكهرباء . . . أن الرقي المادي للقوى الدولية المتصارعة استخدم - ويا للأسف - في إشعال نار الحرب المدمرة التي ذهب ضحيتها ملايين من البشر ، واستخدم أيضاً في استعمار الشعوب المستضعفة واستعبادها التي لا تملك لها حولاً ولا قوة . . . من أجل سلخها عن أوطانها ، وأحياناً عن عقيدتها . . . ليحل محلها شعب آخر يعيث في ربوعها ظمناً وعدواناً ! ! . . .

غير أن ذلك الرقي المادي غير الإنساني لا بدّ سيصيبه من الفناء والدمار كما أصاب حضارات عظيمة في التاريخ . . . علّت في الأرض ، وسادت زمناً ، ثم أخذت على حين غرة ، فأصبحت أثراً بعد عين ، وخبراً في بطون التاريخ ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس . . . ﴾ (يونس : ٢٤) .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن الدول الكبرى وعلى رأسها : أمريكا وروسيا يمكن أن نقول عنها إنها متحضرة مادياً ، ولكنها غير متحضرة روحياً وإنسانياً ، لكون الحضارة بشقيها - كما سبق توضيحها - تشمل : الرقي المادي ، والرقي المعنوي على حدّ سواء ، ولكونها تعبيراً عن مقاصد إنسانية نبيلة ، وتجسيداً لمعاني خلقية سامية . . .

وإذا كان الدافع الأكبر في انسياق العلمانيين وراء الدول الكبرى - كما سبق ذكره - هو انبهارهم بحضارتها المادية الحديثة ، وانخداعهم بمظهرها اللامع البراق . . . فهذا يعود إلى جهلهم الفادح بمعطيات الإسلام الحضارية ، ومبادئ الشريعة التجددية . . .

وقد نسوا أو تناسوا أن الإسلام حين كان يحكم الحياة قَدَم للإنسانية جوانب من الحضارات المتنوعة سعدت بها الأمم زمنًا ، وما زالت مفخرة من مفاخر الإسلام على مرّ الزمان والأيام ، وما زالت البشرية تعبّ من معينها في كل مجالات العلوم : في الفلسفة ، في التاريخ ، في الجغرافيا ، في الفلك ، في الفيزياء ، في الكيمياء ، في الطب ، في الأدوية ، في الصناعة ، في الزراعة ، في سائر العلوم ، وهذا عدا عن مجالاتها في ميدان الفكر والعقيدة ، وميدان اللغة والأدب . .

ولا شك أن الحضارة الإسلامية بشتى ميادينها ومجالاتها . . هي التي حوّلت أوروبا من الجهل إلى العلم ، ومن الضعف إلى القوة ، ومن التوحش إلى التمدّن ، ومن التخلف إلى التحضر ، ومن ظلمة الحياة إلى نورها الوضاء المبين . .

ويكاد المؤرخون أن يجمعوا بأن الحضارة الإسلامية انتقلت إلى الغرب عن طريق المعابر التالية : الأندلس - صقلية - الحروب الصليبيّة - ومدارس الترجمة - الرخالة المسلمين . .

ومهما عددنا من معابر مرّت حضارة الإسلام خلالها إلى أوروبا ، فستظل الأندلس هي المعبر الرئيسي لحضارة الإسلام في شتى مجالاتها العقيدية ، والعلمية ، والفنية ، والأدبية ، والاقتصادية ، والروحية . .

ويمكن أن نقول باختصار : لولا الحضارة الإسلامية التي أشرفت شمسها على الدنيا منذر أربعة عشر قرنًا لبقى العالم الإنساني متخبطًا في دياجير الجهل ، منزلقًا في مهاوي الفوضى ، منحدرًا في حضيض التخلف . . إنها حضارة الإسلام المشرقة ، والمدنية الزاهرة ، والمجد العلمي العريق . .

وهذا ما شهد به العلماء المختصون ، والمؤرخون المنصفون من الغربيين والشرقيين على حدّ سواء !! وإليكم طائفة من أقوالهم وشهاداتهم :

يقول « سيديلوت » في كتابه « تاريخ العرب » : [كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون . . وقد نشروها أينما حلّت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربة ، فكانوا سببًا لنهضتها وارتقائها . .] .

ويقول « دوير » المدرس في جامعة « نيويورك » في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : [إن المسلمين قد رَقّوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدًّا ،

وأوجدوا علومًا جديدة لم تكن معروفة قبلهم . . إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوربة وأمراؤها يغدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها [.

ونقل « غوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » عن الأستاذ « ليبري » : [.. لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربة الحديثة عدة قرون] .

ويقول « شريستي » في حديثه عن الفن الإسلامي : [ظلت أوربة نحو ألف سنة تنظر إلى الفن الإسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب] .

ويقول « لين بول » في كتابه « العرب في إسبانيا » : [.. فكانت أوربة الأمية تزحر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم ..] .

ومن أراد التوسع فيما تركته الحضارة الإسلامية من أثر في نهضة أوربة الحديثة فليقرأ كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للدكتورة البحّانة : « زيغريد هونكه » .

فالكتاب كله إقرار بفضل الحضارة الإسلامية وأثرها البالغ على نبوغ العرب العلمي ، وتفوقه الحضاري ، وإبداعه الفكري والأدبي . .

فهذه الأقوال وأقوال كثيرة غيرها تدلّ بشكل لا يقبل الجدل والشكّ على ما انطوت عليه الحضارة الإسلامية من ازدهار وتفوق ، وما اختصّت به من شمول وتجّد ، وما تميزت به من واقعية وعطاء . .

وحين أتكلم عن الحلول الإيجابية في مواجهة العلمانية ، وفي مناهضة من يتبناها من الحكام وأصحاب النفوذ والكتاب والمفكرين . . فسوف أتكلم - إن شاء الله - بشيء من التفصيل عن « مفاتيح الحضارة في ضوء مبادئ الإسلام » ، ليعلم من يريد أن يعلم كيف أن الإسلام فتح للإنسان مغاليق المدنية والحضارة ، وخط له مناهج العلم والمعرفة ، وبصّره حقائق الكون والحياة ؟ ! ! . هل عرفتم - يا شباب - أن تأثر العلمانيين بالفكر اللاديني وانبهارهم بالحضارة

المادية هو الذي دفعهم إلى أن يتبنوا الحكم العلماني في بلاد الإسلام ؟ .

ولقد رأيتم أن تأثرهم هذا جرّ على الأمة الإسلامية كل تمزق وتفترق ، وفساد وتحلل ، وفوضى وجاهلية ، وتأخر وتخلف .

إذا عرفتم هذا فعليكم - يا شباب - أن تقوموا بدوركم ، وتنهضوا بمسؤوليتكم في حمل رسالة الإصلاح والهداية ، ومواجهة الفكر العلماني ، وإظهار حقائق الإسلام . .

عسى أن يثوب الناس إلى الحق والهدى ، ويتبصر الحكام معطيات الإسلام الحضارية ، وتصوّراته الفكرية في الكون والحياة والإنسان . .

الثالث - العمالة للدول الأجنبية :

سبق أن ذكرنا أن البواعث التي دعت الحكام إلى أن يتبنوا الحكم العلماني في بلادهم ، ويفرضوا تنفيذه على أمتهم تتركز في ثلاث :

١ - الفساد في التصور الإسلامي .

٢ - التأثير بالفكر اللاديني .

٣ - العمالة للأجنبي .

فكنا فصلنا القول عن الباعث الأول ، وعن الباعث الثاني بما فيه الكفاية ، بقي الكلام أن نتكلم عن الباعث الثالث ، وهو الذي نحن في الحديث عنه ، والله المستعان .

من المؤكد يقيناً أن الذي فسد تصوره عن الإسلام ، وتأثر كل التأثير بفكر الأعداء . . من المؤكد أن يرتبط بعجلة الدول الكبرى يأتمر بأمرها ، وينتهي بنهيا ، ويتفاعل مع فكرها ، وينفذ مخططاتها ، ويكون بوقاً لها ، وذليلاً في ركابها . .

ذلك لأن هذا العميل فيما يتصف به ، ويصنعه لأمته . . فارغ من العقيدة التي تثبته ، وفارغ من التصور الإسلامي الذي يبصره ، وفارغ من العزة الإسلامية التي يسعى المسلم إليها ، وفارغ من مبادئ الأخلاق الفاضلة التي تتوقف حياة الأمم عليها .

فإذا كان فارغاً من كل هذا . . فلا يتصور منه أن يشيد لأمتة عزاً ، وأن يبنى لها مجداً ، وأن يقودها إلى نصر . . بل تصبح العداوة لدينه وأمتة طبعاً مكيناً من طباعه ، ومحاربه للدعوة الإسلامية ورجالها . . خلقاً أصيلاً من أخلاقه . .

وهذا لعمرى هو الجحود والنكران والخيانة . . في عصور الانتكاس والضلال ، بل هو المروق من الإسلام ، والمحادة لله ولرسوله وللمؤمنين !! .
وللإحاطة بموضوع العمالة الأجنبية من جميع جوانبها نصنّفها إلى ثلاثة أصناف :

الأول : العمالة للغرب في أنظمتها ...

الثاني : العمالة للشرق في شيوعيته ..

الثالث : العمالة لليهودية في ماسونيتها ..

أما العمالة للغرب في أنظمتها :

فإنها تتجلى في طبقة من الحكام ارتبطوا ظاهراً أو خفية بعجلة الغرب في مبادئه وتشريعاته ، في لهوه ومجونه ، في مناهج تربيته وتعليمه ، في سياسته ومعاملته ، في أسس حكمه واقتصاده ، في طبقيته واستعلائه . . هذا من ناحية تبعية التابع ، ومحاكاة المقلد .

أما من ناحية نفوذ المتبوع ، وتسלט القوي فإنه أدهى وأمرّ ، فإن قادة الغرب يجعلون من هذه البلاد المرتبطة بهم والتي تسبح في فلكهم . . أداة امتصاص لخيراتها وثرواتها يستخدمونها لمصالحهم ، وأسواقاً تجارية لترويج إنتاجهم وصناعاتهم ، وقواعد عسكرية لعمليات استعمارهم واستعبادهم . .

هذا ما يجنبه العملاء الغريبيون على أمتهم وبلادهم . . فهل أدرك العملاء بمن يرتبطون ، وإلى أين هم يسرون ؟ وإلى أي أمة فيها يتطبعون ويتأقلمون ؟

أما العمالة للشرق في شيوعيته :

فإنها أكبر وأعظم . . لكونها تجلّى في زمرة من الحكام باعت دينها للشيطان ، وأعطت ولاءها للكفر والإلحاد ، وسارت بالأمة نحو الدمار والهلاك ، ووضعت

أغلال تسلّطها في أعناق المجاهدين الأحرار . . حتى لا يرتفع لهم رأس ولا تقوم لهم قائمة . .

أما تنفيذها لشيوعية المبادئ فإنها تسير في مراحل الإلحاد والغاء الأسرة شيئاً فشيئاً ، وتقوم على تنفيذ إلغاء الملكية وشيوعية المال مرحلة مرحلة ، وتوجّه مناهج التربية والتعليم لاعتناق الجيل مبادئ الشيوعية خطوة خطوة ، وتقوم على محاصرة الدين في زوايا المعابد درجة درجة ، وتلغي ضوابط السلوك والأخلاق في أبناء الجيل فترة فترة بعد فترة . . حتى تصل إلى الغاية المتوخّاة في تطبيق الشيوعية أو الاشتراكية في البلاد الإسلامية التي يحكمونها ، ويفرضون بقوة الحديد والنار سيطرتهم عليهم . .

هذا ما يجنيه العملاء الشيوعيون أو الاشتراكيون على أمّتهم وبلادهم ! !
فهل أدرك هؤلاء العملاء بمن يرتبطون ؟ وإلى أين هم يسرون ؟ وإلى أية أمة هم فيها يذوبون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب هم ينقلبون ؟

أما العمالة لليهودية في ماسونيتها :

فإنها أخبث وأمكر . . ذلك لأنها - كما سبق ذكره - تدخل على قلوب من يعتنق مبادئها بحلاوة اللسان ، ويريق الشعار ، وإغراء المنصب ، ومطمع الجاه . . حتى إذا دخلوا محافلها ، وترقّوا في أعلى مراتبها . . كاشفوا العملاء عن مخططاتها ومبادئها . . ليقوموا بدورهم بالتنفيذ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ومن مخططاتها ومبادئها : « المسلمون ، والنصارى ، واليهود ، والمجوس . . إخوة في الوطن والإنسانية ، لا دين يفرقهم » ، « ينبغي أن يقوم لليهود كيان سياسي كبير من الفرات إلى النيل » ، « إن غايتنا هي إبادة الدين من الوجود »^(١) ، « سوف نتخذ الماسونية غاية من دون الله » ، « ينبغي خلق جيل لا يستحي من كشف عورته » ، « إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة . . . » . . .

وأهم الشعارات التي يرفعونها للتضليل : شعار : « الحرية ، والمساواة ، والإخاء » حيناً وشعار : « الوطنية ، والقومية ، والإنسانية » أحياناً . . .

(١) ويقصدون من إبادة الدين ، الأديان غير اليهودية .

فهذه الشعارات البرّاقة المضلّلة استطاعت الماسونية ، ومن ورائها اليهودية أن تُوقع كثيراً من أهل الجاه والنفوذ في شبك صيدها ، فستقبلهم صغاراً في مدارسها ومعاهدها ، وتُدخلهم كباراً في أُنديتها ومحافلها ، فبعد بلوغهم في المرتبة العليا من درجاتهم تصطنعهم عملاء في بلادهم ، لينفذوا مخططات اليهودية في الوصول إلى أهدافها بلا حياء ولا حجل !! .

هذا ما يجنيه العملاء على أمّتهم وبلادهم !! .

فهل أدرك هؤلاء العملاء بمن يرتبطون ؟ وإلى أين هم يسرون ؟ وإلى أية فئة معها يتعاملون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب هم ينقلبون .

وهذه العمالة للأجنبي سواء أكانت متصلة بالغرب الاستعماري ، أو بالشرق الشيوعي . . ، أو بالماسونية اليهودية . . فإن رجالها - على الأكثر - هم من أبناء جلدتنا ، ويتكلمون بالستنتنا ، وينتمون زوراً إلى إسلامنا . .

ومن مظاهر خداعها أنهم يتقمّصون رداء الإسلام ، أو العروبة ، أو الديمقراطية ، أو المبادئ الثوريّة . . لتضللّ بوسائل إعلامها الجيل المسلم بأسلوبها الكاذب ، ومبادئها المزيفة . . حتى ينخدع الناس بهم ، ويستجيبوا لدعوتهم ، ويُفتنوا بأسلوبهم . . وحتى يهتف الجيل باسمهم ، ويتهج ويصفق ليوم استقبالهم ، ويطلب ويזمر لتعظيم أشخاصهم . .

فإذا وصلوا إلى قمة الثقة الشعبية بأسلوب دَجَلهم وتهريجهم قاموا بتنفيذ المخطط الذي رسمه لهم أسيادهم : وهو فصل الدين عن الدولة ، وحصر الدين بالعبادة ، وتنحية الإسلاميين عن دفة السياسة ، وإحلال الأخلاق الأجنبيّة محلّ الأصالة الإسلامية ، والفضائل القرآنية . . ويا ويل من يرفع من المسلمين الواعين المخلصين رأساً ، أو يتكلم بكلمة ، أو يجهر بحق . . وإذا فعل . . فإنه يُتهم بالعداء للعروبة والوطنية ، والارتباط بالاستعمار والصهيونية ، ويلصق به كل باطل من القول وزور . . بل يتخذ العملاء في حقه وحقّ غيره كل المبررات والوسائل لسحقهم ، واستئصال شأفتهم ، والقضاء على دعوتهم . . وهكذا يفعلون !! . .

وإذا كان من البواعث التي دفعت هؤلاء الحكام إلى العمالة - كما سبق

ذكرها - هو فساد تصوّرهم عن الإسلام ، وتلقّفهم بشغف فكر الأعداء . .
فإننا نضيف مع هذا وذاك باعثاً آخر ، له تأثيره الأكبر ، وفعالته العظمى في
اندفاعهم وراء العمالة ، وارتمائهم في أحضانها ، وإعطائهم ولاءهم لها . . هذا
الباعث هو الإغراء بالمنصب ، والفتنة بالجاه . .

نعم ، من أجل المنصب والجاه يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل .

من أجل المنصب والجاه يخونون الله ورسوله والمؤمنين . .

من أجل المنصب والجاه يمزقون أمة الإسلام بوحدتها ، ويتآمرون على

سيادتها . .

من أجل المنصب والجاه يقتلون الرجال ، ويذبّحون الدعاة ، ويدمّرون المدن . .

من أجل المنصب والجاه يجعلون بلادهم أسواقاً تجارية للاستعمار ، وقواعد

حريّة لمسكرات الأعداء . .

من أجل المنصب والجاه يجرّون الشباب والشابات إلى مراتع الانحلال ،

ومتاهات الإباحية . .

من أجل المنصب والجاه يفسدون الجيل المسلم بعقيدته ، ويفتنونه بدينه ،

ويؤلّبونه على علمائه ودعائه ، ويؤغّرون صدره على تاريخه وأجماده . .

كل هذا من أجل المنصب الفاني ، والجاه الرخيص !! .

لو أدرك العملاء على اختلاف أصنافهم وأشكالهم أن الحياة زائلة ، والعمر

محدود ، والموت لا محالة . . وأن لا بقاء ولا خلود في هذه الدنيا ، وأن لا مسرّة

ولا سعادة في هذه الحياة . .

ولو أدركوا أن التاريخ بمحاكمته لهم يدمغهم ، والأجيال التي تأتي بعدهم

سوف تلعنهم ، والعذاب الأبدي بعد الموت - بما كسبت أيديهم - سوف

يلحقهم . .

ولو أدركوا ما ارتكبه بحق المسلمين من خيانة ، وحق الأديان من محاربة ،

وحق الإنسانية من إجرام . .

لو أدرك العلمانيون كل هذا . . لأقلعوا عن بغيهم ، وكفّوا عن عمالتهم ،

وتابوا من ضلالهم ، وثابوا إلى رشدهم ، وساروا مع كتاب ربهم وسنة نبيهم ،
وعادوا مهتدين خير أمة أخرجت للناس . .

ألا ليتهم يدركون ويعقلون ويصرون . . ؟ . .

إذن عليكم - يا شباب - أن تعرفوا مهمتكم في الدعوة والإصلاح
والتغيير . عسى الله عز وجل أن يحقق على أيديكم هداية الضال ، وتثبيت
المتحير ، وإرشاد التائه ، وتسديد المنحرف . . وما ذلك على الله بعزيز .

تلكم - يا شباب - أهم الأسباب والبواعث التي دفعت العلمانيين إلى أن يتبنوا
الحكم العلماني في أوطانهم ، وأن يفرضوه بالقوة والنفوذ على أممهم . .

ولقد رأيتم أن هذه البواعث والدوافع تتركز في ثلاث :

١ - في فساد التصور الإسلامي . .

٢ - في التأثير بالفكر اللاديني . .

٣ - في عمالتهم للأجنبي . .

ففساد تصوّره عن الإسلام حملوا في أنفسهم روح الكراهية له ، والحقد
عليه . .

وبتأثرهم بالفكر اللاديني انخدعت عقولهم بكل غزو فكري ، وتفاعلت
نفسياتهم مع كل دعوة لا دينية ، وانبهرت تصوّراتهم بالفلسفات المادية الحديثة . .

وبعمالتهم للأجنبي ارتبطوا بعجلته ، وأتمروا بأمره ، وانتهو بنهيه ، ونفذوا
مخططاته ، وركضوا لاهئين وراء ذيله . .

إن مسؤوليتكم - يا شباب - في مواجهة الحكم العلماني مسؤولية شاقة ،
ومهمتكم في تقويمه ومعالجته مهمة دقيقة صعبة . .

فالأمر يتطلب منكم عزمًا وصبرًا ومجاهدة وحكمة . . وعملاً دائماً
مستمراً ، وتخطيطاً دقيقاً محكماً . .

والله سبحانه مع العاملين المتخلصين ، والعاقبة للمتقين الصابرين . .

٦ - ما هي أهم الحلول الإيجابية في مواجهة الشباب لها ؟

فبعد أن عرفنا ما هي العلمانية وما يقصد منها . .

وبعد أن كشفنا النقاب عن منشئها وتسربها . .

وبعد أن سلطنا الأضواء على أهم أساليبها ووسائلها . .

وبعد أن تحدثنا عن أظهر نتائجها وآثارها . .

وبعد أن أزعجنا الستار عن تبني الحكام لها ، وتنفيذهم لمبادئها . .

بعد هذا كله . . نعرّج - بعونه تعالى - إلى ذكر الحلول الإيجابية العملية في مواجهة الشباب المسلم لها ، وموقفهم منها . . وبذل جهدهم الدائب في استئصالها والإجهاز عليها . . والله المستعان ، وعليه التكلان .

وأرى ان الحلّ الإيجابي العملي الأمثل في مواجهة الشباب المسلم للحكم العلماني في بلادهم يتطلب منهم أمرين هامّين أساسيين :

الأول - إعطاء التصوّر الصحيح عن الإسلام .

الثاني - سلوك العمل الحكيم المرکز . .

١ - أما إعطاء التصوّر الصحيح عن الإسلام :

فهو الذي يعطي لكل من يدعو إلى العلمانية ، أو من كان متأثراً بها . . القناعة الوجدانية والعقلية بأن الإسلام ، وما اشتمل عليه من مبادئ وأحكام . . هو أقوى وأقدر من أيّ تشريع . . عطاءً للحلول ، ومواكبةً للحضارة ، ومسايرةً للزمن ، وإيفاءً بحاجات البشرية في كل زمان ومكان . .

وسبق أن تكلمنا - يا شباب - في بحث « لماذا يبتئها الحكام في أكثر بلاد الإسلام ؟ » عن الحقائق الإسلامية التالية :

الإسلام دين ودولة .

خصائص الشريعة الإسلامية وعوامل نموّها وتجديدها .

الإسلام وحقوق غير المسلمين من أهل الذمّة .

الشهادات^(١) الصادقة على عظمة الإسلام التشريعية ، ودفعه الحضاري . .

التجربة التاريخية في تطبيقات الحكم الإسلامي خلال القرون .

وأريد في هذا البحث أن أضيف حقيقة أخرى من حقائق التصور الإسلامي تكشف لكل ذي عقل وبصيرة أن الإسلام بتشريعه الشامل المتكامل . . فتح للإنسان مغاليق المدنية والحضارة ، وبصره طريق العلم والمعرفة ، وأهاب به أن يتعرف على حقائق الكون والحياة . .

ولكن ما هي هذه المفاتيح التي فتحتها الإسلام للإنسان ليصل بسببها إلى قمة المدنية والحضارة ، وإلى ذروة العلم والمعرفة ؟ .

أرى أنه هذه المفاتيح تتركز في المبادئ الإسلامية التالية :

(أ) في شمولية الإسلام للعلم :

قبل أن نتكلم عن شمولية العلم في الإسلام يحسن أن نتكلم عن تكريم الإسلام للعلم والعلماء .

فمن ظواهر هذا التكريم أن الله سبحانه كرم العلم ، وكرم القراءة ، وكرم القلم . . في أول آية نزلت : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم . . ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

ومن ظواهر هذا التكريم أن الله جلّ جلاله قرن الإيمان بالعلم إشارة إلى أن العلماء حين يكونون مؤمنين هم أعلى مقامًا ، وأرفع منزلة ، وأجل شأنًا . . في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة : ١١) .

ومن مظاهر هذا التكريم أن النبي عليه الصلاة والسلام جعل مقام طالب العلم في مقام الجاهد في سبيل الله من حيث الأجر والمنزلة والفضل . . روى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

(١) الشهادات التي تحدثنا عنها : شهادة الواقع . . وشهادة المؤتمرات الدولية ، وشهادة المنصفين من غير المسلمين .

ومن مظاهر هذا التكريم أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه اعتبر الطريق الذي يسلكه طالب العلم للعلم طريقاً مؤدياً إلى الجنة ، روى مسلم عنه عليه السلام : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

وعلى ضوء هذه التوجيهات الإسلامية في رفع الإسلام لمنار العلم ، وشعار المعرفة . . نجد أن « البيروني » حينما حضرته الوفاة دار الحديث في مجلسه حول مسألة من مسائل الإرث المعقدة ، فطلب « البيروني » من أحد الحاضرين أن يوضحها له ، فقال له الزائر : في أي حال أنت وتساءل عن هذا ؟ ، فقال له البيروني : لأن أذهب إلى الله وأنا أعرفها خير من أن أذهب إليه وأنا أجهلها ! ! .

والعلم في نظر الإسلام يشمل كل علم نافع سواء أكان العلم دينياً أو دنيوياً ، نظرياً أو تجريبياً ، فرض عين أو فرض كفاية . . ما دام أنه في خدمة الدين والدنيا ، وما دام أنه في إصلاح الكون والحياة والإنسان . .

ومما يدل على الشمولية : أن الإسلام حين أمر بالعلم لم يقيده بالعلم الديني أو الكوني أو النظري أو التجريبي . . وإنما أطلق لفظ العلم ليشمل كل علم نافع ينفع الأمم في دينها ودنياها كقوله تعالى : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (طه : ٣٠) .

ومما يدل على الشمولية : أن الإعداد المقصود في قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ يشمل الإعداد المادي ، والإعداد الجسمي ، والإعداد المعنوي على حد سواء ، فكل علم متخصص يهيء لهذا الإعداد يكون تعلمه على سبيل فرض الكفاية في نظر الإسلام .

فبناء على هذا كان تعلم الهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، وتحضير الأدوية ، وعلوم الذرة والكهرباء . . من قبيل فرض الكفاية في المجتمع الإسلامي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقيين ، وإذا لم يقم به أحد فالكُل آثمون ومسؤولون .

ومما يدل على الشمولية : أن كل الآيات القرآنية التي تحض على التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض هي في الحقيقة حض على العلم التحريبي في كل صورته وأنواعه ، وذلك أن المسلم حينما يتأمل في أسرار الطبيعة ، ويتعمق

في خفايا الكون ، ويتعرّف على أسرار الحياة . . فإنه يزداد إيمانًا بعظمة هذا الخالق العظيم ، وبإبداعه الرائع ، وبقدرته الفائقة الفريدة . .

ومن هنا ندرك المراد من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، لأن العالم كلما ازداد علمًا بخفايا الكون ، وأسرار الطبيعة . . ازداد إيمانًا بالله ، وثقةً به ، وخشيةً منه . .

ومن هنا نعلم أن مبدأ شمولية العلم في الإسلام هو مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة من حين ظهور الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

(ب) في تكريم الله للإنسان :

القرآن الكريم قرّر بأية صريحة واضحة مبدأ تكريم الإنسان ، قال سبحانه : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

فما مجال هذا التكريم ؟

كرّمه الله سبحانه بالعقل والحواس ، لأنهما الطريقان إلى المعرفة ، واستجلاء الحق والحقيقة ، واكتشاف عظمة الله في دقائق الكون ، وإبداع الحياة ، قال جلّ جلاله : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل : ٧٨) .

وكرّمه بالاستخلاف في الأرض ، كما هو واضح في قول ربّ العزة والجلال : ﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ (البقرة : ٣٠) .

ومعنى الاستخلاف : أن يسير الإنسان على وفق ما أَرَادَهُ المستخلف منه . .

والذي يريده المستخلف منه أن يكون سيّد هذه الأرض ، ومالكًا لزماتها ، مستخرجًا لدفائنها ، ومستجليًا لكل سرّ فيها . . وهذا لا يتأتّى إلا أن يسلك سبيل العلم والمعرفة ، ويبحث بعزم وصدق عن كل ما يتصل بقانون الكون ، ونواميس الحياة . .

وكرّمه بتسخير الكون له ، وجعل الطبيعة كلها تحت تصرّفه ، وهذا ما

أفصح عنه القرآن الكريم في أوضح بيان ، قال تعالى : ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الجاثية : ١٢ - ١٣) .

وما دام أن هذا الكون مسخر للإنسان ، ومذلل له . . فعليه أن يستخدمه لخدمة الإنسانية ، ومصلحة الحضارة ، وارتقاء الحياة . .

ومن هنا نعلم أن مبدأ تكريم الله للإنسان هو مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة ، وعامل قوَّى لاستجلاء الحقائق العلمية على مدار التاريخ ، وكرّ الأعوام . .

ج - في تقرير مبدأ المساواة :

وذلك ما أعلنه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا في قوله سبحانه : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، وما قرره النبي ﷺ في خطبته الجامعة في حجة الوداع : [أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربيّ على عجميّ ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . .] .

كل هذه النصوص تؤكد أن كل الأجناس البشرية التي انضوت تحت راية الإسلام ساهمت مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإنسانية ، بل كان رجالها من أشهر الرجال في النبوغ العلمي ، والتفوق الحضاري كأمثال أبي حنيفة ، وسيبويه ، والبيروني ، والخوارزمي ، والرازي ، وابن سينا . . ومئات غيرهم ممن حملوا إلى الإنسانية ألوية التشريع ، والطب ، والرياضيات ، والتاريخ ، والاجتماع ، والفلك ، والجغرافيا ، وسائر العلوم ، وما زال التاريخ يتغنى بعظمة نبوغهم ، ومدى تأثيرهم وآثارهم . .

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل ما تدين به الحضارة الإسلامية للعصر السلجوقي ، ولا أن ينكر ما قدمته للحضارة الإسلامية أيضًا نهضة التيموريين في أواسط آسيا .

ولا يستطيع أحد أن يتغاضى عن الدور الهائل الذي لعبه الأتراك العثمانيون

في انبعاث الحضارة الإسلامية وازدهارها . .

فإن ذكرنا أن هؤلاء كانوا من جنسيات مختلفة عرفنا جيدًا أن كل من يمين بهذا الإسلام العظيم عقيدة وعبادة وتشريعًا . . ساهم في بناء الحضارة ، وشارك في ازدهار العلوم ، ودفع عجلة التطور والتقدم والمدنية إلى الأمام .

ومن هنا نعلم أن مبدأ المساواة في الإسلام هو مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة الإنسانية ، وعامل قوي في انبعاثها وازدهارها خلال العصور وعلى مدار التاريخ . .

د - في قاعدة التعارف على الشعوب :

والأصل فيها قول الله عزّ وجلّ : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا . . ﴾ (الحجرات : ١٣) .

والإسلام قد أكدها وأيدها في أكثر من موطن :

فمن المؤيّدات لقاعدة الانفتاح والتعارف : الاستفادة من حضارة الأمم ، روى الترمذي والعسكري عنه عليه السلام : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحقّ بها » .

ومن المؤيّدات . . الإحسان والبرّ للذين لم يناصروا المسلمين العداء ، قال جلّ جلاله : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين ﴾ (المتحنة : ٨) .

ومن المؤيّدات . . المحافظة على العهود ، ولو كان أهل العهد مشركين ، قال سبحانه : ﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئًا ولم يظاهروا عليكم أحدًا فاتّمّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحبّ المتقين ﴾ (التوبة : ٤) .

ومن المؤيّدات . . إجارة غير المسلم ولو مشركًا ، حتى يتبين له الحق ، ويدخل في أمان المسلمين ، قال عز من قائل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ (التوبة : ٦) .

ومن المؤيّدات . . . جواز أكل ذبائح أهل الكتاب ، وجواز نكاح نسائهم ، قال ربّ العزة والجلال : ﴿ اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيموهنّ أجورهنّ محصنين غير مسافحين ولا متّخذين أخذان ﴾ (المائدة : ٥) .

فبناءً على قاعدة التعارف ، والمؤيّدات التي أكّدها . . . انفتح المسلمون على غيرهم ، وتعارفوا على شعوب كثيرة من غير ملتهم . . . وكان من نتيجة ذلك أن استفادوا من مدنيات متعدّدة ، وحضارات متنوّعة . . . كحضارة الإغريق ، واليونان ، والرومان ، والفرس ، والهند . . . وغيرها من الحضارات التي عاصروها ، وتعرّفوا عليها ، فتكوّنت لدى المسلمين تحبّرات واسعة في شتى المجالات الصناعية ، والتجارية ، والزراعية ، والعمرائية ، والعلميّة . . . فصهروها في بوتقة الإسلام ، وعرضوها على تعاليمه . . . فجاءت الحضارة الإسلامية فيما بعد مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمه ، ومتميّزة على كل المدنيات والحضارات خلال العصور ، وعبر التاريخ . . .

فإذا كان الإسلام ينطوي على مبدأ الدعوة إلى العلم الشامل .
ومبدأ تكريم الله للإنسان بالعقل والحواس . . .
ومبدأ المساواة الإسلامية بين أجناس البشر . . .
ومبدأ الانفتاح والتعارف على الشعوب . . .

فإذا كان الإسلام ينطوي على هذه المبادئ كلّها فأحرّ بالمسلمين الواعين المتفهمين لمبادئ دينهم ، والعاملين على مقتضى شريعتهم . . . أن يحملوا إلى الإنسانية مشعل العلم والمعرفة ، وأن يرفعوا في سماء البشرية ألوية المدنية والحضارة ، وأن يكونوا بحق هداة الأمم ، وأساتذة الدنيا ، ومنارات متألّفة في بحار الظلمات . . .

والمؤرّخون مجمعون - كما سبق ذكره - على أن الحضارة الإسلامية انتقلت إلى أوروبا عن طريق المعابر التالية :

معبر الأندلس .

ومعبر صقلية .

ومعبر الحروب الصليبية .

ومعبر مدارس الترجمة في شمال إسبانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا . .

ومعبر التجار الذين نشروا الإسلام في كثير من بلدان العالم .

وبقيت أوربة بعد عبور الحضارة الإسلامية في أرجائها قرونًا طويلة ترتشف من معين الحضارة الإسلامية ، وتنهل من سلسيل علومها ومعارفها . . حتى استطاعت في أمد قصير أن تصل إلى قمة الحضارة المادية ، وأن تبدع في العلوم الكونية ، وأن تحيط بالمعارف الإنسانية ، وأن يكون لها في مجال الصناعة والاختراع وسائر الفنون . . شأن وأي شأن

ولولا أن يكون إسلامنا - يا شباب - دين علم ، وقرآنا مبعث حضارة ، وديننا مفتاح نهضة . . لما سمعنا في التاريخ عن أخبار جلود عباقرة ، وآباء نبغاء . . ملأوا الدنيا معارف وعلومًا ، ونشروا في العالم نور المدنية ، ورفعوا في سماء الإنسانية مشعل الحضارة . .

وما زالت أسماء العباقرة الأفاضل تتردد على ألسنة الغرب والشرق عبر القرون ؛ وما زالت البشرية اليوم تنهل من معين معارفهم ، وترتشف من سلسيل علومهم ، وتستضيء بنور حضارتهم . . على مدى الأيام ؛ وما زالت الأجيال الصاعدة تتغنى بمآثرهم ، وتفتخر بعبقريتهم ونبوغهم . . على مدى الزمان . .

وأذكر لكم - يا شباب - على سبيل المثال تخصصات جلودكم في مضمار الحضارة والعلوم . . لتعرفوا جيدًا كيف أثر الإسلام فيهم ؟ وكيف دفعهم إلى بناء الأبحاث العلمية ، وصناعة الحضارة الإسلامية على مدار التاريخ ؟

ابن خلدون الذي حمل إلى الإنسانية لواء التاريخ وعلم الاجتماع وفن العمران . .

وأبو زكريا الرازي الذي حمل إلى الإنسانية لواء الطب . .

وأبو علي ابن سينا الذي حمل إلى الإنسانية لواء الفلسفة وأصول المناظرة . .
والشريف الإدريسي الذي حمل لواء الجغرافية . .
وأبو بكر الخوارزمي الذي حمل لواء الرياضيات والفلك . .
وعلي بن الهيثم الذي حمل لواء علم الطبيعة والبصريات . .
وأبو القاسم الزهراوي الذي حمل لواء الجراحة . .
وأبو زكريا العوام الذي حمل لواء علم النبات . .
وأبو البناء الذي حمل لواء علم الحساب . .
وأبو الريحان البيروني الذي حمل لواء علم التاريخ القديم والآثار . .
والإمام الغزالي الذي حمل لواء النقد والتربية ومعالجة آفات النفوس . .
والأئمة : مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل . . الذين حملوا ألوية الفقه
والتشريع . .

وسبق الكلام في بحث « الشهادات . . . » كيف شهد المنصفون من
مستشرقين ومستغربين ، وعلماء اجتماع ، وفلاسفة مختصين ، ورجال حقوق
مترسّخين . . على عظمة الحضارة الإسلامية في شتى مجالاتها وأنواعها ؟ وكيف
أثرت هذه الحضارة على نهضة أوربة ورقبها في العصر الحديث ؟ وكيف نبغ
في المسلمين علماء أثروا الحضارة الإنسانية بعلومهم ومعارفهم ، وأغنوها بعقريّتهم
وذكائهم ، وما زال أهل الاختصاص في الغرب والشرق يعترفون بفضلهم ،
ويتغنّون بمآثرهم . .

أولئك آباي فجنّني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير الجامع

فما عليكم - يا شباب - بعد أن عرفتم حقائق الإسلام الخالدة ، وأدركتم
مفاتيح الحضارة الإنسانية الباقية . . إلا أن تقوموا بدوركم الكبير في إعطاء
العلمانيين تصوّر الصحيح عن الإسلام ، وفي توعيتهم وإقناعهم على أن هذا
الإسلام العظيم هو دين حضاري وعلمي ، وشريعة عطاء وتجدّد . . عسى أن
يعرف أولئك حقائق دينهم ، ويستجيبيوا طائعين مختارين لهدي ربهم ، وعسى
أن يصحّحوا عن الإسلام تصوّره ، وتتفاعل مع الحق مشاعرهم . . ويحكموا

في البلاد وبين العباد بما أنزل الله ، ويحملوا رسالة الإسلام إلى الدنيا من جديد !! ..

٢ - وأما سلوك العمل المحكم المرکز : * * *

فهو من أهم العوامل في نجاح العمل الدعوي ، ودفعه الفائق إلى الأمام ، واستمراره المطّرد على مدى الأيام ؛ بل بسببه يصل الدعوة إلى أفضل النتائج ، وأينع الثمرات . .

أروني جماعة إسلامية واحدة في السابق وفي اللاحق وصلت إلى غايتها في إقامة الحكم الإسلامي بالعموية والارتجال ، بالحماس والانفعال ، بالتهور والاستفزاز . .

أروني فئة من العاملين للإسلام بنت للمسلمين مجداً ، وأقامت لهم دولة بيضع عشرات من الشباب دون أخذ بأسباب نصر ، وخطوات عمل ، ووسائل قوة ؟ !! .

أروني طائفة من الشباب المؤمن المخلص المتحمّس . . أطاحوا بنظام كافر ، وأجهزوا على حكومة ملحدة دون استكمال لعدّة ، واعتماد على قاعدة ، وتخطيط لمستقبل ؟ !! .

فإذا كان الجواب لا ، فلماذا تتورط جماعات ، ويتحمّس شباب ، ويتهور رجال في دخول المعركة مع أعدائهم ، وهم لم يتجاوزوا المئة عدداً ، ولم يتعدّوا البندقية عدّة ؟

ألم يعلموا أن بعملهم هذا جرّوا البلاد والعباد إلى كارثة أليمة لا يعلم مداها إلا الله ؟

ألم يتبصّروا أن بعفويتهم هذه عرضوا الأمة إلى إراقة الدماء ، وانتهاك الأعراض ، وسلب الأموال . . ؟

ألم يدركوا أن بحماسهم المتهور أوقفوا المدّة الإسلامي في متابعة مسيرته إلى الأمام ؟

ألم يعرفوا أن باستعجالهم حمل السلاح مكّنوا أعداء الإسلام في تنفيذ مخططاتهم في نشر الفساد والإلحاد ؟

ألم يعقلوا أن بدخولهم المعركة من غير تركيز ولا إعداد زعزعوا ثقة الأمة بالدعوة والدعاة ، والمجاهدين والجهاد ؟

ألا فليأخذ رجال الدعوة الإسلامية في كل مكان من تجربة المواجهة المسلّحة من غير تركيز ولا إعداد العظّات والعبّر ، وليحذروا من أن يتورّطوا في الثورة كما تورّط غيرهم . . إن أرادوا لدعوتهم أن تصل إلى غايتها في الوصول إلى النصر الأكبر ، وإن رغبوا أن يشيدوا لبلادهم مجدّاً ، ويقىموا لأمتهم دولة ؟ ! .

نعم حين يصل الأمر بالطغاة اللادينيين إلى أن يلاحقوا الدعوة ورجالها بالتصفية والاستئصال من غير ما سبب ولا ذنب إلا أن يقولوا ربّنا الله . . جاز لهم شرعاً أن يواجهوا العدو دفاعاً عن النفس ، ودرءاً للعدوان . . فلا يتصوّر والحال هذه أن يقف شباب الدعوة مكتوفي اليدين وأعداء الله يعملون سيوفهم في رقابهم غدراً وقتلاً وتنكيلاً . . بل ليس أمام الشباب من خيار سوى أن يقابلوا الاعتداء بالاعتداء ، ويردّوا المقاومة بالمقاومة . . فإن قضا مضوا إلى ربّهم شهداء ، وإن نجوا فحسبهم أنهم امتثلوا أمر ربّهم في ردّ الغدر والاعتداء ! ! .

إذا لم يكن إلاّ الأستة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها

ولكن ما هي أهمّ وسائل العمل المركز ؟

الوسائل الإيجابية التي ينبغي أن ينتهجها شباب الدعوة في مواجهة الحكم العلماني ، والوصول إلى النصر . . تتركز في الخطوات التالية :

- ١ - إيجاد القيادة الجماعية .
- ٢ - الانطلاق في مضمار التوعية .
- ٣ - التركيز على التربية والإعداد .
- ٤ - العمل على تكثير القاعدة .
- ٥ - التدبير المحكم المركز للوصول إلى النصر .

وكثيراً ما تسير هذه الخطوات والوسائل جنباً إلى جنب نظراً لتنويع العمل ، وتوزيع المهام ، وتنسيق الجهود . . فداعية يعرف ويدعو ، والآخر يربي

ويكون ، والثالث يجمع ويوحّد ، والرابع يسعى ويدأب ويواصل . . حتى إذا تيقن الجميع أن الدعوة الإسلامية انتشرت وعمت ، وأن القاعدة قوية وتمكّنت . . انتظروا وتريثوا ماذا تأتيم من أوامر ؟ وماذا ينفذون من مسؤوليات ؟ فإن كانت الخطّة محكمة ، والأوامر إيجابيّة مضوا على بركة الله عازمين منفذين غير وجلين ولا متواكلين . .

وعلى الأغلب - إن صدقوا مع الله وأخلصوا - يكون النصر حليفهم ، والحكم للإسلام رائدهم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
واستكمالاً للبحث لا بدّ لنا أن نتكلم عن كل خطوة من هذه الخطوات بشيء من التفصيل عسى أن تظهر لشبابنا معالم الحقيقة ، وتوضّح لديهم الصورة ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمدّ العون والتوفيق :

١ - إيجاد القيادة الجماعية :

من أهم خطوات العمل الدعوي الهادف المركز . . إيجاد القيادة الجماعية التي منها يكون الانطلاق في طريق الدعوة ، والتي عليها يقوم صرح الإسلام . .
واقصد بالقيادة الجماعية أن يلتقي المخلصون من رجالات الدعوة والعلم والإصلاح . . على صعيد العمل الإسلامي ، ويكونوا فيما بينهم قيادة جماعية لها أمير ، والتي من أولى مهمّاتها وضع خطّة عمل إيجابيّة ذات مراحل وأهداف ، فمنها تنطلق ، وعليها تعتمد ، وعلى أساسها تسير ، حتى إذا انتهت من مرحلة بدأت بأخرى ، وهكذا . . حتى تصل إلى الهدف الأكبر في إقامة دولة الإسلام .
وتكوين القيادة الجماعية في أمة الإسلام ضرورة حتمية ، وفريضة شرعية للأدلة التالية :

(أ) لأمر الرسول ﷺ في التزام الجماعة : وذلك للأحاديث التالية :

« .. عليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد مجبوحة الجنة فليزِم الجماعة » رواه الترمذي وابن المبارك .

وفي الحديث الذي رواه البخاري بإسناده عن حذيفة أنه كان يسأل رسول الله ﷺ عن الخير والشر . . وأخيراً قال حذيفة : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال عليه الصلاة والسلام : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله : صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . . قال له حذيفة : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

وجاء في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام : « من مات ولم تكن له في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » .

(ب) لأمر القرآن الكريم بالوحدة والاعتصام وإعطاء الولاء للمؤمنين : وذلك للآيات التالية :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (آل عمران : ١٠٣) .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران : ١٠٤) .

﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (المائدة : ٥٦) .

(ج) للقاعدة الشرعية التي تقول : « ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب » :

إن بلاد الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها يجب أن تكون محررة صافية إلا من مسلم صادق ، أو ذمي معاهد ، وما عداهم من مرتدين أو ملحدين أو شيوعيين أو مستعمرين أو صهيونيين . .

فلا يصح أن يقَرَّ لهم في بلاد الإسلام قرار ، ويكون لهم فيها وجود واستقرار !! .

وهذا لا يتأتى إلا أن يستشعر الجيل المسلم في العصر الحديث معنى الواجب الذي كلفه الشرع به ، ومعنى المسؤولية التي حمّله الإسلام إياها . .

فإقامة حكم الله في الأرض هو من أعظم المسؤوليات ، وتحرير بلاد الإسلام من الإلحاد والكفر والانحلال والاحتلال . . هو من أقدس الواجبات ،

واسترجاع الوحدة الإسلامية تحت إمرة واحدة هو من أعزّ الأمنيات . . وهذا معنى : (ما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب) كما أعلن ذلك علماء الأصول ، وفقهاء الإسلام .

فمن هذه النصوص يتبيّن أنه يجب على المسلمين أن ينتخبوا فيما بينهم أميرًا ، وأن تعينه في أداء مهمته قيادة ، وأن يحرص الجميع على تكوين الجماعة . . . لتستطيع أن تؤدّي رسالتها ، وتصل إلى غايتها ، وتزيل العوائق التي تعترض طريقها . . لأن معظم تكاليف هذا الدين جماعية ، ولا يستطيع المسلم أن ينهض بها بنفسه ، ولا أن يمارسها بمفرده ، فالله مع الجماعة ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

فأخطوة الأولى في العمل الدعوي المرکز إذن - يا شباب - هي إيجاد الجماعة الإسلامية بأمرها وقيادتها ورجالها . . فالقيادة وجماعتها يواجه المسلمون الحكم العلماني في بلاد الإسلام ، وبسببها يصلون - بتوفيق الله - إلى النصر الأكبر في إقامة عزّة سامقة ، ودولة كبرى عتيقة ، ومجد عظيم مؤثّل . . وما ذلك على الله بعزيز .

٢ - الانطلاق في مضمار التوعية :

فبعد تكوين الجماعة الإسلامية بأمرها وقيادتها في بلاد الإسلام تأتي خطوة التعريف والتبليغ والتوعية في المجتمعات الإسلامية في كل مكان . .

ولكن ماذا يجب على المرّين أن يعرفوه قبل أن يقوموا بدورهم في التعريف والتبليغ والتوعية ؟

عليهم أن يعرفوا عالمهم الذي يعيشون فيه ، وما يقوم عليه من نظم ، وما يسوده من مذاهب ، وما يحرّكه من عوامل ، وما يصطّرع فيه من قوى ، وما يجري فيه من تيارات ، وما يعاني أهله من متاعب ، وبخاصة وطنهم الإسلامي الكبير : بآلامه وآماله ، وأفراحه وآمسيه ، ومصادر قوته ، وعوامل ضعفه ، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيته المحليّة : وما يسودها من أوضاع وتقاليد ، وما تقاسيه من صراع ومشكلات ، وما يشغل أهله من قضايا وأفكار . .

إن الداعية الواعي لا ينجح في توعيته ما لم يعرف مَنْ يدعوهم ؟ وكيف يدعوهم ؟ وماذا يقدم من الأهم على المهم ؟ وما هي الوسائل في مواجهة الأفكار الزائفة ؟ وما هي مخططات الغزو الفكري من الداخل عن طريق العملاء ، وعبيد الفكر الغربي ؟ وما هو واقع الفرق المنشقة عن الإسلام في أرض الإسلام كالكفادانية ، والإسماعيلية ، والبهائية ، والدرزية . . وغيرها من الفرق الباطنية ؟ وما هي أوضاع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام مثل التيار الاشتراكي ، والماركسي ، والليبرالي^(١) ، والقومي ، والرأسمالي ، وغيرها ؟ فالداعية الواعي الحصيف هو الذي يحيط بواقعه إحاطة شاملة قبل أن يعرف ويبلغ . . إذا قام بدوره هذا . . فتكون الاستجابة له أبلغ ، والتأثر بكلامه أعظم ، والتعلق به أكبر ، والنجاح في مهمة التعريف والتوعية أسمى وأفضل .

ثم ماذا عن فضل الدعاة في انطلاقهم الكبرى في مضمار التبليغ والتوعية ؟

إنهم من خير الناس ، لقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

إنهم الشهداء على الأمم ، لقوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

إنهم بمنزلة في أعلى المنازل ، لقوله جلّ جلاله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت : ٣٣) .

إنهم ورث النبوة ، لما روى الخمسة وصحّحه ابن حبان والحاكم . . أن رسول الله ﷺ قال : « العلماء ورثة الأنبياء » .

إن أهل السماء والأرض يستغفرون لهم ، لما روى الترمذي عن أبي أمامة مرفوعاً : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى الثملة في جحرها ، والحيتان في البحر . . يصلون على معلم الناس الخير » .

(١) التيار الليبرالي هو تيار استعماري النظرة والفكرة والهدف .. وهو موالي للمعسكر الغربي .

إن طاعتهم تأتي بعد طاعة الله ورسوله ، لقوله عزّ من قائل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . . ﴾^(١) (النساء : ٥٩) .

إن أجورهم لا تنقطع ولا تنتهي ، لما روى مسلم وأصحاب السنن عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » .

إن هداية واحد من البشر خير لهم من الدنيا وما فيها ، لما روى البخاري عن عليّ كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حُمْر النعم » ، وفي رواية : « خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

إنهم في الهدى كنجوم السماء في الظلماء ، لما روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يُهتدى بهم في ظلمات البرّ والبحر ، فإذا انطمست النجوم أو شك أن تضلّ الهداة » .

فإذا كان الذين يقومون بدورهم في التوعية ، وتبليغ الدعوة . . هم بهاتيك الفضائل والمنازل . . فما على شباب الإسلام ، وعلى الأخصّ الذين يرتبطون بجماعتهم إلا أن يؤدّوا الرسالة ، ويلتغوا الأمانة ، وينصحوا الأمة ، ويدعوا إلى الله على هدى وبصيرة . . عسى أن يرتبط الناس إلى اختلاف أجناسهم وألوانهم :
بالإسلام ديناً ودولة . .

وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً . .

وبالتاريخ الإسلامي اعتزازاً واقتداءً . .

وبالحضارة الإسلامية أخذاً وعطاءً . .

وبالارتباط الحركي اندفاعاً وحماساً . .

(١) قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه ، وجابر بن عبد الله ، والحسن البصري ، وأبو العالية ، والضحاك ، ومجاهد ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه : « أولوا الأمر : هم العلماء » ويدخل فيهم الدعوة ، ارجع إلى تفسير الطبري ج ٦ ص : ١٤٩ .

فإن تمّ لهم هذا بلغوا أعلى المنازل ، ووصلوا إلى قمة الفخار ، وحظوا بسعادتي
الدنيا والآخرة . .

ثم ماذا عن وسائل التبليغ والتوعية ؟

والشباب الذين يقومون بدورهم في التبليغ والتوعية . . لا يعدمون وسيلة في
تصحيح الأفكار والتصورات ، وفي الردّ على المطاعن والشبهات ، وفي توضيح
المخططات والمؤامرات وفي التحرك في مضمار العمل والجهاد ، وفي التحرر من
قوقعة العزلة والانزواء . .

وهذه الوسائل كثيرة ومتنوعة ، وفنية ومتطورة ، ومقنعة ومشوّقة . .

من هذه الوسائل : وسيلة الجلسة المفتوحة ، فهذه الجلسة تُطرح الأسئلة الهادفة
التي توضح فكرة الإسلام الكليّة عن الكون والحياة والإنسان ، وتعطي التصوّر
الكامل على أن الإسلام نظام حكم ، ومنهج حياة ، وتبيّن خصائص الدعوة
الإسلامية الشمولية والعالمية وخلودها المستمر المتجدّد على مدى الزمان والأيام .

من هذه الوسائل : وسيلة الشريط الإسلامي ، حيث يختار من الأشرطة الدعوية
أعلاها وأقواها ، ولا سيما الأشرطة التي عاجلت الانطوائية في الشباب ، وعزلتهم
عن صراعات الحياة ، ومشاكلهم في خصمّ المفاسد والانحلال . . إلى غير ذلك
من المواضيع الهامة التي تعالج المشاكل ، وتظهر الخصائص ، وتعرّف بالحضارة
والأمجاد .

من هذه الوسائل : وسيلة الكتاب الإسلامي ، حيث يختار من الكتب الفكرية
والدعوية والتاريخية . . أفضلها أسلوباً ، وأحسنها معالجة ، وأمسّها بروح الواقع ،
وقضايا المسلمين . .

من هذه الوسائل : وسيلة المحاضرات العامة ، وذلك بالدعوة النشيطة لسماع
محاضرة لداعية كبير من دعاة الإسلام ، ولا سيما إذا كانت المحاضرة تعالج قضايا
الدعوة ، ومشكلات الشباب . . وتظهر للجمهور عظمة الإسلام في تشريعه ،
وأسرار القرآن في إعجازه ، وحياة الرسول ﷺ في سيرته وقُدوته ، وتاريخ أمة
الإسلام في أبطالها وأمجادها . .

من هذه الوسائل وسيلة خطب الجمعة والدروس العامة ، حيث يُختار من العلماء والدعاة والمرشدين . . أقواهم علمًا ، وأفضلهم وعيًا ، وأحسنهم أسلوبًا وإرشادًا ، وأصفاهم تقىً وصلحاءًا ، وأخلصهم نيةً وسريةً ، وأميزهم طريقةً وموضوعيةً ، وأقواهم حركةً وحماسًا . . هؤلاء هم خيار الناس ، فهم تصحح الأفكار ، وبواسطتهم تنقف العقول ، وبأسلوبهم وإرشادهم يجذب الشباب . وبإخلاصهم ومثابرتهم تتقدّم الدعوة .

وإن نسينا فلا ننسى :

وسيلة نشر المجلة الإسلامية ، والصحيفة الدعوية ، والنشرات الفكرية . .
ووسيلة أخذ العظات والعبر من ذكريات الإسلام كذكرى الإسراء والمعراج ، والهجرة النبوية ، وغزوة بدر ، وفتح مكة ، ووقعة القادسية واليرموك وحطين . .
ووسيلة إعداد الزيارات ، والرحلات ، والتزهات . . أيام الجمع ، والعطل ، والأعياد . .
ووسيلة إحياء الليالي المباركة على مدار العام . . كإحياء ليلة القدر ، وليلة الجمعة ، وليلى العيد ، وليالي العشر الأواخر من رمضان . .
ووسيلة تداول الأناشيد الدعوية والتاريخية . . التي تحرك في المسلم مشاعر الدعوة ، وتنفع فيه روح الجهاد .
ووسيلة المسرحيات الإسلامية والتاريخية . . التي تذكر بالبطولات والأعجاب ، وتدفع إلى التضحية والفداء .

إلى غير ذلك من هذه الوسائل الدعوية ، والطرائق الإيجابية . . التي تنشر الوعي الإسلامي ، وتوضح فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان .
ولكن المسألة ليست منحصرة فيما ذكر من هذه الوسائل . . فقد ينقدح في ذهن الداعية من الوسائل التبليغية والدعوية ما يحقق الخير لأمة الإسلام ، ما لم ينقدح في ذهن داعية آخر ، فالهمم أن يفكر رجال الدعوة ، وأن ينطلق الشباب ، وأن يكون الجميع على مستوى الاهتمام والمسؤولية ، وأن يسيروا في

طريق التعريف والتوعية صادقين مخلصين عازمين . . غير هيّابين ولا يائسين ولا متواكلين . . والله سبحانه يتولّاهم ويرعاهم ، ولن يترهم أعمالهم . .

ثم ماذا عن دراسة البيئة ؟

[وعلى الجماعة التي تنطلق في مضمار الإصلاح والتوعية أن تدرس البيئة التي تدعو فيها دراسة موضوعية شاملة ، وأن تعرف مراكز الضلال ، ومواطن الانحراف معرفة كاملة ومستوعبة ، وأن تفكر أيضاً في أسلوب العمل الذي يتفق مع عقليّة الناس واستعداداتهم ، ويتلاءم مع مستوى تفكيرهم ومدى استجابتهم . .

فبلد انتشرت فيه مبادئ الشيوعية ، أو العلمانية اللادينية ، أو النعرات القومية . . مثلاً ، وأصبحت عند أهله انحرافات فكرية ، وضلالات عقيدية ، ومفاسد خلقية . . مثل هذا البلد بالذات تختلف الكتب التي ينبغي أن تنشر فيه ، ونوعية المحاضرات التي تهاضر فيه ، وأسلوب المناقشات التي تطرح فيه ، واختيار الموضوعات التي تبحث فيه . . تختلف كلياً عن بلد فيه باطنيون ، أو فيه نصارى ، أو فيه أكار رأسمالية ، أو فيه نزعة إلى الحرية والديمقراطية . . وتختلف كلياً أيضاً عن بلد فيه مسلمون بالفطرة ولكن الجهل خيم عليه ، والعصبية تحكمت فيه ، والبدع المخالفة للشرع أثرت به . .

فلا بدّ إذن من دراسة مركّزة لأنواع الانحراف والشذوذ . .

ولا بدّ من معرفة شاملة لأحوال المنحرفين والشاذين .

ولا بدّ من تخطيط شامل ، وأسلوب مناسب . . مع هذا وذاك .

ولا بدّ من مسح كامل للفئات المؤيدة ، والفئات المعارضة ، والفئات التي

تقف على الحياد . .

ولا بدّ من مراحل العمل المتواصل الدائب لتبليغ الدعوة إلى الناس كافة .

ولا بدّ من معرفة اللغة أو اللهجة . . حتى يتكلّم الداعية بلسانهم ، وينطق بلهجتهم .

ولا بدّ من الإحاطة بعمق في فهم مشكلات الناس الاجتماعية ، ونزعاتهم

الخلقية ، وأحوالهم النفسية . .

ولا بدّ من تقديم الواجب على التّفنل ، والأهمّ على المهمّ بعد الإحاطة بالمعرفة الواقعية .

ولا بدّ من الاطلاع التام على من يشاركونه في مسؤولية التوعية ، وتبليغ الدعوة . . وهل يمكن أن ينسّق معهم ، ويتعاون وإياهم ؟

كل ذلك ينبغي أن يعرفه رجل الدعوة والتوعية . . معرفة إحاطة وشمول قبل أن يبدأ بالدعوة في البيئة التي يريد أن يدعو فيها ، ويعمل في وسطها . . حتى تكون دعوته عن تخطيط وإحكام ودراسة . . في إصابة الرمي ، والوصول إلى الهدف [١] .

فأخطوة الثانية في العمل الدعوي المرّكز إذن - يا شباب - هي الانطلاقة الكبرى في مضمار الدعوة والتوعية بدراسة للبيئة شاملة ، وبمعرفة للوسائل تامّة ، وبغاية في نيل الأجر من الله سامية . .

فبهذه الانطلاقة الكبرى - يا شباب - تواجهون الحكم العلماني في بلاد الإسلام ، وتصلون - بعونه تعالى - إلى النصر المؤرّر ، والفتح المبين .

٣ - التركيز على التربية والإعداد :

الأصل في هذا التركيز قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تَرَهَّبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ . . ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ويدخل في مفهوم هذه الآية كل ما يحتمله لفظ الإعداد من وسائل عملية ، ومراحل إيجابية في تكوين الجيل المسلم ، وتربية الجماعة المسلمة ، وإعداد الشباب المؤهلين في مواجهة الحكم العلماني في بلاد الإسلام .

فبناءً على هذا يدخل في مفهوم التربية والإعداد :

تزويد العقول بالعلوم النافعة الشاملة ، والثقافة الواقعية الواعية . .

(١) من كتاب « كيف يدعو الداعية ؟ » للمؤلف ص : ٧ - ٨ مع بعض التصرف .

وتدريب الأجسام على معاني القوّة والفتوّة ، ووسائل المواجهة والجهاد . .
وتغذية الأرواح بالإيمان الراسخ ، وتلاوة القرآن الخاشعة ، والعبادة الربانية
الخالصة .

وتعويد النفوس على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره . .
وربط الشباب المسلم الواعي بالجماعة المؤمنة الواعية الراشدة . .

إلى غير ذلك من هذه الإعدادات الشاملة التي ينبغي أن يترنّى عليها جيل
الشباب ، وأبناء الإسلام . .

والذي أريد أن أوجّه أنظار المربّين إليه أن يكون تركيزهم في التربية والإعداد
على أمور ثلاث :

الأول : - التربية الروحية .

الثاني : - التربية النفسيّة .

الثالث : - التربية على الجنديّة .

أما التربية الروحية^(١) :

فهي صقل القلب بالعقيدة ، وتهذيب الروح بالعبادة ، وارتقاء النفس إلى أسمى
معارج الكمال . .

وإنّ السبيل إلى الروحانية التقوى ، والتقوى - كما عرفها العلماء - هي : « أن
لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك » ، أو هي - كما يدلّ عليها
لفظها - : « اتقاء عذاب الله بصالح العمل » .

والسبيل إلى التقوى :

أولاً - المعاهدة : وهي أن يخلو المسلم بينه وبين ربّه ، ويعطيه العهد بشكل
دائم على أن لا يعبد إلاّ إيّاه ، وأن لا يستعين إلاّ به ، وأن لا يلتزم إلاّ منهجه

(١) ارجع إلى كتاب « روحانية الداعية » للمؤلف تجد بحوث التربية الروحية مفصلة إن شاء الله .

القويم . . وهذا ما يخاطب به العبد ربّه في الوقفات الخاشعة في كل ركعة من ركعات الصلاة : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ﴾ .

ثانياً : المحاسبة : وهي أن يحاسب المسلم نفسه بعد مضيّ العمل . . هل قصد في عمله وجه الله ؟ هل داخله في طاعته شيء من الرياء ؟ هل اقتترف إثماً أثناء سبحة في النهار ؟ هل أدى حق الله وحق العباد ؟ . . فإن وجد خيراً فليحمد الله ، وإن وجد غير ذلك فليسارع إلى التوبة والاستغفار ؛ وهذا معنى قول عمر الفاروق رضي الله عنه : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتنبّؤوا للعرض الأكبر » .

ثالثاً - المجاهدة : وهي أن يجاهد المسلم نفسه على أن يحسّن الطاعات التي تقربه إلى الله تعالى ، وأن يزيد فيها أكثر مما كان يؤدّيها . . حتى تصبح طاعته لله أفضل ، ونوافله في العبادة أكثر . . وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ .
فبالمجاهدة يستقيم الجيل على شريعة الله .

وبالمحاسبة يتحرّر من آفات الذنوب ، ويثوب إلى الله . .
وبالمجاهدة يخلص لله في الطاعات ، ويميت في النفس الخمول والاسترخاء . .
وهناك روافد للروحانية تغذيها وتنميها ، وتعمّقها وتقويها . . وإليكم أظهر معالمها :

دوام المراقبة لله :

وذلك بالاستشعار النفسي الكامل في أن الله سبحانه يسمعه ويراه ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم - حين سأله السائل عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

استحضار الموت وما بعده :

وذلك بالاستشعار النفسي الكامل في أن الموت سوف يلاقيه لا محالة ، وأنه

سوف يسأل في وحدته لا محالة ، وأن القبر في حق الميت إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النيران . . وهذا الاستحضار للموت هو ما كان يربّي النبي ﷺ أصحابه عليه ، ويأمرهم به . . روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » يعني الموت .

ولما سئل عليه الصلاة والسلام — كما روى ابن ماجة والبيهقي — عن أيّ المؤمنين أكّيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً ، وأولئك الأكياس » أي العقلاء .

استحضار الآخرة وأحوالها :

وذلك بالاستشعار النفسي الكامل بما يلقاه أهل المحشر من هول وشدة ، وبما يكون حالهم عند الميزان ، ونشر الكتب ، واجتياز الصراط . . وبما يصيرون إليه بعد أن يحكم الله بالعباد . .

أما مما يلقاه المحشر من هول وشدة فحسبه أن يضع نصب عينيه قوله تعالى : ﴿ يوم يقرء المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ (عبس : ٣٥ - ٣٨) .

وأما ما يكون عليه حال الناس عند الميزان ، ونشر الكتب ، واجتياز الصراط . . فلما روى أبو داود والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما يبكيك ؟ » قلت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال : « أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا : عند الميزان حتى يعلم أنخف ميزانه أم يثقل ؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهرائي جهنم حتى يجوز . . » أي يجتاز .

ففي هذه المواطن لا يذكر أحد أحدًا^(١) !!! . .

(١) هذا عدا ما ثبت في السنة من ظلمة جهنم وسوادها ، وأوديتها ، وقعرها ، وعذابها . . وما ورد في مقام أهل النار ، وشرابهم ، وطعامهم ، وضخامة حجمهم ، وبكائهم . . وما تقرّر عن أحوال أهل الجنة ونعيمهم ، وما أعد الله لهم . . كل ذلك تراه مفصلاً في « روحانية الداعية » للمؤلف إن شاء الله .

وأما ما يصير إليه الناس بعد أن يحكم الله بالعباد فإن القرآن الكريم سجّل في أكثر من آية مآل الناس إما إلى جنة أو إلى نار : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات : ٣٦ - ٤١) .

الإكثار من تلاوة القرآن الكريم مع التدبّر الخاشع :

ذلك لأن المؤمن إذا قرأ القرآن الكريم في تمهّل تام ، وتدبّر خاشع ، واستمرار دائم . . انفتحت أغلاق قلبه ، وأشرقت فيوضات روحه ، وتعمقت بشاشة الإيمان في أعماق نفسه . . وهذا ما أكّده القرآن ، وحضّ عليه وأمر به : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص : ٣٣) .

هذا عدا ما أعدّه الله للتالي من مثوبة وأجر ، وكرامة وفضل ، روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول لكم « آلم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

وفي صحيح مسلم : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه »

مصاحبة النبي ﷺ في سيرته العطرة :

ذلك لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو القدوة الكاملة ، والأتمودج الحيّ في عبادته وزهده ، وحلمه وتواضعه ، وثباته وشجاعته ، وروحانيته وتأثيره . . للأجيال المؤمنة في كل زمان ومكان ، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

والذي نريد أن نركّز عليه في مجال التأسي بالنبي ﷺ الزهد والعبادة لكون هاتين الصفتين ألصق بالبحث الذي نحن في صددده ألا وهو « التربية الروحية » .
ففي مجال الزهد فيكفيه عليه الصلاة والسلام - كما روت السيدة عائشة -

أنه ما شبع من خبز بُرُّ (حنطة) ثلاثة أيام تباعًا منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله ، ولو أراد أن يشبع لفعل ، وكان جَلَّ طعامه الأسودان : التمر والماء ، وكان يُؤثِّرُ على نفسه ، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام : « اللهم اجعل رزق آل محمدًا كفافًا » .

وما ذاك إلا أن تتأسى به الأجيال المسلمة بذلاً وإيثارًا وقناعة . . وأن يعطي للذين في قلوبهم مرض درسًا في الاستعفاف والزهد حتى يعلموا أنه لم يرد من دعوته جمع المال ، ولا النعيم ، ولا الترف ، ولا المظاهر الفانية ، ولا الدنيا الزائلة . . وإنما أراد التماس الأجر من الله وحده ، وشعاره وشعار الأنبياء من قبله : ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله ﴾ (هود : ٢٩) .

وفي مجال العبادة فقد بلغ النبي ﷺ في مراتبها أعلاها ، روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، ولما قيل له : « أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ » .

وأخرج الشيخان عن علقمة رضي الله عنه قال : سألت عائشة رضي الله عنها : « أكان رسول الله ﷺ يخصص شيئًا من الأيام ؟ (يقصد الزيادة في العبادة) ، قالت : لا ، كان عمله ديمة^(١) ، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » .

وذكرت كتب السيرة أنه عليه الصلاة والسلام واصل في صيامه اليومين أو الثلاثة ، وكان ذلك في آخر رمضان ، ولما واصل أصحابه اقتداءً به نهاهم وقال لهم : « إني لست مثلكم ، إني أظلل يطعمني ربي ويسقيني » أي يعينني ويقويني .

وهكذا فقد تعلق قلب النبي ﷺ بالله فهو معه في كل حين ، وشغف بالعبادة والمناجاة . . فهو يقوم الليل ، ويصرف فيها جزءًا من النهار ، ويجد في الصلاة لذة نفسه ، وقرّة عينه .

(١) ديمة : أي دائمًا مستمرًا لا ينقطع .

وإن الذي يلفت النظر في ظاهرة تعبده عليه الصلاة والسلام هو ذلك الجمع العجيب بين العبادة التي بلغ أعلى مراتبها ، وبين القيام على أمور الدنيا ، وشؤون الدعوة ، وقضايا الجهاد ، ومسائل التشريع . . ذلك الجمع بين الدين والدنيا ، والعبادة والجهاد ، والتشريع والسياسة . . مما ينوء عن حمله أبطال الدنيا على مدار التاريخ . . . وفي زحمة هذه المسؤوليات يتجلّى النبي ﷺ الناسك الزاهد العابد . . أعظم انقطاعاً إلى الله ممن انقطعوا إليه في الصوامع وفي رؤوس الجبال . وهكذا ينبغي أن يكون كل من يتصدى للدعوة والإصلاح والتبليغ من الشباب والعلماء والدعاة .

مصاحبة الأخيار من أصحاب القلوب وأهل المعرفة بالله :
وذلك لسببين رئيسيين :

الأول - لكون الشرع أمر بصحبتهم وملازمتهم ، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ (التوبة : ١١٩) .
ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذي : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي » .

الثاني - لاكتساب التقوى والروحانية والنصح منهم ، لقوله ﷺ فيما رواه ابن حبان : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال » أي من يصاحب .
ولقول جماعة من السلف : « اصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله » .

ولا شك أن صحبة هؤلاء النماذج من أهل التقوى والمعرفة بالله . يعدّ - في نظر المصلحين - من أقوى العوامل في إصلاح المسلم ، وإعداده روحياً ، وتكوينه تربوياً . . بل يكتسب المزيد من حالهم ومقالمهم وكل ما ينفعه في أمور دينه ودنياه وآخرته ، بل يسير في أطراد دائم سيراً حثيثاً نحو الالتزام والتطبيق والمعرفة بالله ، والكمال الإنساني المنشود .

المدائمة على ذكر الله في كل الأوقات والأحوال :

ذلك لأن الإسلام أمر بها وحضّ عليها . .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ (البقرة : ١٥٢) .

وفي الحديث القدسي الذي رواه الشيخان : « أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » .

والذكر معناه : استحضر عظمته سبحانه ومراقبته وخشيته . . في جميع الأحوال . . سواء كان هذا الاستحضار والمراقبة والخشية . . ذهنياً ، أو قلبياً ، أو لسانياً ، أو فعلياً . . أو تعاملياً . . وهذا لا يتأتى إلا بإخلاص النية ، وخشوع القلب ، وحفظ الجوارح ، وحسن التعامل .

البكاء من خشية الله في الخلوات :

وذلك للتوجهات النبوية التالية :

روى الشيخان : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله » ومن جملتهم : « . . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » .

روى الترمذي عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

ولا شك أن المسلم حين يخلو إلى ربّه ، ويستعرض ذنوبه ، ويتذكر الآخرة وأهوالها ، وجهنم وأحوالها ، ويمرّ بخاطره على الموت وما بعده ، ويوازن بين عمله وعمل السلف الصالح . . فإن قلبه يخفق ، ونفسه ترتجف ، وعينه تدمع . . فيقبل بعد هذه التذكرة إلى ربّه تائباً منيباً مستغفراً ذاكراً حافظاً لحدوده ، متبعاً لأوامره ، منتهباً عن نواهيهِ . . بل يكون من السابقين إلى الخيرات ، والمقبلين على الطاعات ، والخبّتين لله ربّ العالمين .

وأعظم من ذلك : أن يبكي خوفاً من الرياء حين يتعبّد ، ومن الكبر حين يغتني ، ومن النفاق حين يخالط ، ومن العجب حين يتزين ، ومن الغرور حين يترأس ، إلى غير ذلك من أمراض القلوب ، وآفات النفوس . . التي تستدعى

الإخبات لله ، والبكاء من خشيته . . وإذا عرف المسلم نفسه ، وخشي ربه . . لم يكن له شغل إلا المراقبة لربه ، والمحاسبة لنفسه ، والمجاهدة لشیطانه وهواه . . بل لم يكن له هم سوى أن يتحقق بالتقوى في الخطرات ، والخطوات ، والكلمات ، وسائر الأفعال ، وبهذا تصلح حاله ، وتستقيم أعماله ، ويتدرج نحو الكمال ، ويصل إلى أعلى مراتب الإخلاص والروحانية والطاعة لله . .

التزوّد من عبادة النافلة على الدوام :

وذلك للنصوص التالية :

قال تعالى مخاطبًا نبيّه عليه الصلاة والسلام : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا ﴾ (الإسراء : ٧٩) .

وقال جلّ جلاله حاكياً سيرة الرعيل الأول في تبتّلهم وتهجدهم : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ (الذاريات : ١٧ - ١٨) .

وفي الحديث الذي رواه البخاري : « وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . . » .

وفي الحديث الذي رواه مسلم : « ما من عبد مسلم يصلّي لله تعالى في كل يوم اثني عشرة ركعة من غير الفريضة إلا بنى له بيتًا في الجنة » .
والمقصود بالنافلة كما دلّت عليها النصوص : عبادة التطوّع من غير الفريضة ، سواء كانت عبادة صلاة أو صوم ، أو صدقة أو حجّ .

فمثال نافلة الصلاة : صلاة الضحى ، ركعتا تحية المسجد ، ركعتا سنة الوضوء ، قيام الليل ، صلاة التراويح . .

هذا عدا عن السنن الراتبة التي تُصلّى قبل الفريضة أو بعدها .

مثال نافلة الصوم : صيام يوم عرفة ، صيام عاشوراء . . ، صيام الاثنين والخميس ، صيام يوم وإفطار يوم . .

مثال نافلة الصدقة : التصدق بالمال في أيّ وقت كان ، ويفضّل الإكثار منها

في العشر الأواخر من رمضان ، وأوقات الأزمات والشدائد . .

مثال نافلة الحجّ والعمرة : كأن يحجّ بعد الفرض في أيّ عام من أعوام العمر ، وأن يعتمر في أيّ وقت من أوقات السنة . . والأفضل في حق الحاج أن يحجّ نفلاً في كل خمس سنوات ، والأفضل في حق المعتمر أن يعتمر في رمضان .
تلكم أهم معالم التربية الروحية التي ينبغي أن يتربّي عليها الشباب ، ويتكوّن على هديها وفضائلها جيل الإسلام ؛ هذه التربية هي الرّكيزة الأساسية لكل إصلاح ، والدّعمة الأوّليّة لكل إعداد . . . بل هي التي تقرب العبد من الله ، وترتقي به في مدارج الطهر والكمال .

وأقوالها صريحة مدوّية : إنه لا يمكن لأبناء الإسلام أن يحفظوا برضوان الله إلا بها ، ولا يتصور أن ينصرهم الله على أعدائهم إلا أن يتزوّدوا منها ، ولا يعقل بحال أن يُحدثوا في المجتمعات تأثيراً وتغييراً إلا أن يسيروا على أسسها . .
بل هذه التربية هي التي تصنع الرّجال ، وتكوّن الأجيال ، وتخرج للإنسانيّة نماذج ربّانية صالحة . . لها في بناء الأمم قدوة ، وفي ميدان الإصلاح أثر ، وفي سلوك العمل عزم وتصميم . .

أما التربية النفسيّة^(١) :

فهي تأصيل النفس الإنسانيّة على أسس متينة من الإيمان الراسخ ، والإخلاص الصادق ، والصبر الصامد ، والحلم الجميل ، والجرأة المتزنة ، والمحبة الأخوية المتبادلة . . حيث تصبح هذه المعاني كلها في سلوك المسلم وتعامله خلقاً وعادة . .

وأهم هذه الأسس في بناء التربية النفسيّة في سلوك المسلم هي :

تعميق الإيمان بالله : ذلك الإيمان بالله الواحد الأحد إذا تغلغل في النفوس ، وخالط بشاشته القلوب . .

فإنه يجعل المؤمن يعتقد من قرارة وجدانه أن الآجال بيد الله ، وأن ما أصابه

(١) ارجع إلى فصل « صفات الداعية النفسيّة » من سلسلة « مدرسة الدعاة » تجد فيه ما يميل الصدى .

لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه . . وأن يضع نصب عينيه قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (التوبة : ٥١) .

فهذا الاعتقاد يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والجزع ، ويتحلّى بالصبر والشجاعة والإقدام . .

وإنه يجعل المؤمن يعتقد من سويداء قلبه أن الأرزاق بيد الله ، وأن ما بسطه الله على العبد لم يكن لأحد أن يمنعه ، وأن ما أمسكه عنه لم يكن لأحد أن يعطيه . . وأن يضع نصب عينيه قوله سبحانه : ﴿ آمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتوّ ونفور ﴾ (الإسراء : ٣٠) .

فهذا الاعتقاد يتحرر المؤمن من الشحّ والبخل ، والإلحاح بالطلب ، والميل الزائد إلى الدنيا . .

إلى غير ذلك من هذه الاعتقادات الراسخة التي تأتي ثمرة من ثمرات الإيمان . .

تعميق الإخلاص لله :

وذلك بمراقبة العمل على أن يكون خالصاً لوجه الله الكريم ، لا من أجل المصالح الذاتية ، والمطامع الشخصية ، والغايات الدنيوية ..

امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ (البيّنة : ٥) .

وتأكيداً لما وجّه إليه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد عن أبي أمامة : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وأبتغى به وجهه » .

فهذا الإخلاص الصادق يتحرر المؤمن من شوائب النفاق ، وديب الرياء ، وآفات الغرور والكبر والإعجاب بالنفس . .

توطين النفس على الصبر :

وذلك بالصبر على الاتهام الكاذب ، والاعتداء الظالم ، والحرمان من الكسب ،

والتهجير من الوطن ، والإخراج من الوظيفة . . . وعلى العموم : الصبر على كل ما يصيب المؤمن من البلاء والفتنة والاضطهاد . .

وهذا ما أفصح عنه القرآن بأوضح بيان حين قال : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (البقرة : ٢١٤) .

فبخلق الصبر والمصابرة : يتحرر المؤمن من الجزع والملح واليأس والعزلة . . ويظل على هذا الخلق العظيم إلى أن يلقي الله عز وجل وهو على ذلك ، أو يأذن الله له بالنصر .

تأديتها على الحلم :

وذلك بتعويد المؤمن على كتمه غيظه ، وضبطه غضبه ، وتحكيمه عقله . . ثم بالتالي : بوصله من قطعه ، وبعفوه عن ظلمه ، وإحسانه إلى من أساء إليه . . وإلى هذا أرشد القرآن ، وأمر به الإسلام :

فشعار القرآن الذي لا يتبدل : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ (آل عمران : ١٣٤) .

ومبدأ الإسلام الذي لا يتغير : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(١) .

فهذا الحلم الجميل : يتحرر المؤمن من الغضب والانفعال ، وثورة الغيظ والعاطفة . . ويصبح من خير الناس سلوكًا ولطفًا وحسن معاملة . .

تخليقها على الجرأة :

وذلك بتطبيع المؤمن على قوله الحق ، والنصح لله ورسوله والمؤمنين ، والقيام بمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . دون أن تأخذه في الله لومة لائم . . والأصل في هذا كله قوله جل جلاله : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ .

ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله . . ﴿ (الأحزاب : ٣٩) .

وقوله ﷺ فيما رواه أبو داود والترمذي : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه (لتردنه) على الحق أطرا » .

فهذا الخلق الكريم يتحرر المؤمن من العزلة والانطوائية ، وكتان الحق ، والاستسلام للطغيان ، ويتحلّى بالشجاعة الأدبية ، ويقوم على حراسة الرأي العام . .

تطبيعها على المحبة للآخرين :

وذلك بتوريث المؤمن الشعور بالمحبة مع كل من تربطه وإياه من أواصر الأخوة الإسلامية ، ووشائج الإيمان والتقوى . . هذا الشعور الانبعاثي الذاتي يولد في نفسيته أصدق الدوافع النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار ، والرحمة والعفو ، والتعامل الأخوي الصادق . .

وقد حث الإسلام على هذه الأخوة في الله ، والمحبة المخلصة المتبادلة في كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية :

قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) .

وقال أيضًا : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ (آل عمران : ١٠٣) .

وأخرج البخاري ومسلم عنه صلوات الله وسلامه عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وأخرج مسلم وأحمد : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم : « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » .

فهذا الخلق القويم من الأخوة الصادقة ، والمحبة المتبادلة . . يتخلص المؤمن

من شوائب الشحناء والبغضاء ، ويتحرّر من قيود الأنانية والفرقة . . بل يعمل مخلصاً لأهل ملّته ، ويعيش مهتماً لأبناء وطنه ، ويؤدّي ما يوجبه عليه الإسلام من حقوق ومسؤوليات ووظائف اجتماعية . .

تلكم أهم أسس التربية النفسيّة في تكوين الشخصية الإنسانيّة من وجهة نظر الإسلام .

فتعميق الإيمان بالله يتحلّى شابنا بمراقبة الله ، والجهاد في سبيله ، والبذل في ابتغاء مرضاته .

وبترسيخ الإخلاص له يترفّعون عن المصالح الشخصية ، والمنافع الدنيوية ، ويقصدون في عملهم وجه الله . .

ويتوطن النفس على الصبر يصبرون على البلاء ، ويثبتون عند اللقاء ، ويتجلّدون أمام المكاره . .

ويتعوّدها على الحلم يعفون عند المقدرة ، ويملكون نفوسهم عند الغضب ، ويدفعون بالتّي هي أحسن .

وتطبيعها على محبة الناس يؤدّون الحقوق ، ويتعاونون على البرّ والتقوى ، ويخفضون جناحهم للمؤمنين .

وتتخليقها على الجرأة يصدعون بالحق ، ويبلّغون رسالات الله ، ولا يخافون في الله لومة لائم . .

فهذه المبادئ يترنّى شباب الإسلام على المكارم النفسية ، والمثل الخلقية ، والمشاعر الإنسانية . . بل يكونون مؤهلين لأداء المهمة الدعوية ، وبناء أجداد الإسلام .

أما التربية على الجندیّة :

فهي بتقدير من العوامل الإيجابية الهامة في تربية الشباب على الانضباط والطاعة ، والأدب والاحترام ، والناصرّة والتأييد ، والنقد الذاتي البناء . .

ليكونوا بحق أعضاء في جماعة ، وجنودًا أوفياء للدعوة ، ومسلمين مخلصين للإسلام . .

وإليكم التفصيل بعد الإجمال :

فالتربية على الانضباط والطاعة هي :

إعطاء الولاء للقيادة ، وتنفيذ أوامرها ، والتزام كل ما يصدر عنها . . دون أن يكون في الشباب تردد ، ودون أن يعترضهم فتور أو تناقل ، ودون أن تفتنهم الإغراءات والمصالح . . وهذا لعمرى هو أسمى معاني الالتزام ، وأقدس مشاعر الولاء ، وأظهر آيات الإخلاص . .

وأقولها صريحة مدوية يسمع صداها كل شاب يعمل للإسلام : بدون الانضباط والطاعة لا تسير الجماعة على نظام ، ولا يقوم لها في الأمة كيان ، ولا تصل في الحياة إلى غاية . .

من أجل هذا أوجب الإسلام الطاعة للأمر ، وألزم المسلمين بها ، ولو كان الأمر عبدًا حبشيًا . . روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » .

بل طاعة الأمير في الشريعة هي طاعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك في الحديث الذي رواه مسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله ، ومن يطع أميري فقد أطاعني ، ومن يعص أميري فقد عصاني » .

ولا تقتصر الطاعة في نظر الإسلام على ما تحبه النفس ، وتتوق إليه ، وترغب فيه . . وإنما تشمل الطاعة طاعة الأمير في الحب والكراهة ، واليسر والعسر ، والرغبة والرهبة . . وذلك في الحديث الذي رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا (أي الإيثار) ، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحد عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم » .

وليست الطاعة في دين الله طاعة عمياء ترتكز على الجهل والعصبيّة ،

ومعصية الله والرسول . . بل هي طاعة مبصرة راشدة واعية تركز على مبادئ الشرع ، ونور العقل ، ومصلحة الدعوة والإسلام . . روى البخاري ومسلم وغيرهما عنه صلوات الله وسلامه عليه : « السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

فعل المرّبين والدعاة أن ينشئوا أبناء الإسلام على هذه المفاهيم من الانضباط ، وأن يربّوهم على هذه المبادئ من الطاعة إن أرادوا أن يعدّوهم جنودًا للإسلام ، ورجالًا للدعوة ، وحملّة لمشاعل الهداية في العالمين .

والتربية على الأدب والاحترام هي :

أن يتربى شباب الإسلام على الأدب والاحترام في حضرة من هم أكبر منهم سنًا ، وأكثر علمًا ، وأقوم دينًا ، وأقدم سابقة ، وأخلص لدين الله نصحًا وعملاً . . فهؤلاء جميعًا يجب أن يعرف الشباب لهم فضلهم ، وأن يتأدّبوا أمامهم ، وأن يؤدّوا لهم حقّهم ، وأن ينزلوهم منازلهم . .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه وجّه أبناء هذه الأمة إلى أن يوقروا كبيرهم ، ويكرموا شيوخهم ، ويحترموا شبيهم ، ويتأدّبوا مع مرّبيهم :

روى أحمد والطبراني والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من أمتي من لم يجلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعلمنا حقه » .

وروى الترمذي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أكرم شابّ شيخًا لسنّه إلا قيض الله له من يُكرمه عند سنّه » .

وروى أبو داود عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبية المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه (أي التارك له) ، وإكرام ذي السلطان المقسط » .

وكم يكون الشاب الذي ينتمي للدعوة قليل الأدب ، معدوم الحياء ، سيّء الخلق . . حين يتناول على مرّبيه بلسانه ، ويسفه رأيهم بتعريجه وانتقاده ، ويقلّل من اعتبارهم لسوء أدبه وأخلاقه ؟ وكم يكون سفيهاً ومنافقاً حين يهزأ منهم ،

ويستخف بهم ، ويسخر عليهم ، ويرميهم بكل منكر من القول وزور ؟ روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق : الشبهة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط » .

فعل المرتين والدعاة . . أن ينشئوا أبناء الإسلام على احترام الكبير ، وإكرام ذي الشبهة ، وإنزال أهل الفضل والسابقة منازلهم . . إن أرادوا أن ييؤوهم جنودًا للإسلام ، ورجالًا للدعوة ، وحملة لمشاعل النور والهداية في العالمين .
والترية على المناصرة والتأييد هي :

أن يترتب أبناء الإسلام على المناصرة للدعوة التي تشرّفوا بالانتساب إليها ، وعلى التأييد للجماعة التي أعطوها ولاءها ، وعلى المشاركة الوجدانية لشباب الدعوة إذا وقعوا في المحنة والابتلاء . . تأسيًا بالرعيّل الأول من المهاجرين والأنصار الذين أنزل الله في حقهم هذه الآيات البينات : ﴿ . . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . . ﴾ (الحشر : ٨ - ٩) .

والمناصرة للدعوة لا تتأق إلا أن يبذل المسلم في سبيلها كل غالٍ ورخيص ، وأن يدافع عنها بالقلم واللسان . . ، وأن يعطيها من وقته كل عون واهتمام . . . ولقد أخذت المناصرة صورًا شتى حسبما يقتضيه الموقف ، فتارة تكون المناصرة بالوقوف بجانب القيادة حين يتأمر عليها الأعداء ، وأخرى تكون بالتبليغ الدعوي في مرحلة التكوين والإعداد ، وثالثة بالدفاع عن الجماعة حين يوجه إليها الاتهام ، ورابعة ببذل المال والإنفاق في سبيل الله ، وخامسة . . وسادسة . . إلى أن يأذن الله بالنصر والفتح .

[إن أقسى ما يصاب به المرء في حياته تخلي إخوانه وأحبابه عنه في وقت عصيب ، تؤذي فيه الكلمة الطيبة دورها ، وتعمل فيه المشاركة الوجدانية عملها في تخفيف الآلام ، وتعزية المصاب ، وتهذئة الخواطر . . وإن أقسى من هذا وأمره أن يرضن الإنسان حتى بكلمة الحق فلا يقولها ، وأن ينزل وجدانيًا عن أهل الحق

فلا يشاركهم آلامهم ، ولا يكفكف دموعهم ، ولا يهتم لأمرهم . . وإن تخلي الجنود عن هذه المناصرة فهو بعينه الهروب من الميدان ، وخذلان للحق ، وفرار من الواجب ؛ وليس بعد التخلي عن الحق ، والفرار من الواجب إيمان يرتجى ، وإسلام يؤمل . . [١] .

ومن أجل هذا أخبر الله سبحانه بأن الذين آزرُوا رسول الله ﷺ ونصروه وأيدوه وعزروه هم المفلحون حقاً والمؤمنون صدقاً : ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا التور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

فعل المرين والدعاة . . أن ينشئوا أبناء الإسلام على المناصرة لدعوتهم ، والتأييد لجماعتهم ، والمؤازرة لقيادتهم ، والمشاركة الوجدانية لإخوانهم . . إن أرادوا أن يبثوهم جنوداً للإسلام ، ورجالاً للدعوة ، وحملةً لمشاعل النور والهداية في العالمين .

والتربية على النقد الذاتي البناء هي :

أن يترابي أبناء الإسلام على النصح والتناصح ، والنقد الذاتي البناء . . مع كل من ينتمي إليهم ، ويلتقي معهم ، ويأخذ عنهم ، وينضوي تحت قيادتهم . . بقول لئن ، وأسلوب لطيف وأخلاق فاضلة .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه عظم من شأن النصيحة ، ورفع من قدرها حتى جعلها هي الدين كله ، ذلك لأن إهمال النصح والتناصح ولا سيما مع من يتعامل معهم ويتلقى عنهم ، ويرتبط بهم يؤدي إلى تعميق الانحراف في الجماعة ، وانتشار الفوضى في أعضائها ، والإيذان بدمارها وزوالها . .

من أجل هذا كان النبي ﷺ يأمر المسلمين بها ، ويأخذ بيعة أصحابه عليها ، روى مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الدين النصيحة » ، قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

(١) من كتاب « القيادة والجندي » . د . محمد السيد الوكيل - القسم الأول ص : ٢١٦ مع بعض التصرف .

وروى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم .

والنبي ﷺ ، وخلفاؤه من بعده كانوا يعطون القدوة العملية في فتح باب النصيحة في المسلمين ، ليدلوا بنصحهم ، ويسدّدوا بنقدهم ، ويشاركوا برأيهم إحقاقاً للحق ، وحراسةً للرأي العام ، وتعويداً على النقد البريء البناء . .

وإيكم بعض النماذج :

(أ) حين نزل رسول الله ﷺ في بدر في مكان غير مناسب جاءه الحباب بن المنذر ، فوقف في أدب الجندي أمام القائد العظيم وقال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا تتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

قال عليه الصلاة والسلام : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانفض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نعوّر ما وراءه من القلب (الآبار) ، ثم نبني عليه حوضاً فنملئوه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتُ بالرأي ، وينهض القائد بجنده ، وينزل حيث أشار الحُباب رضي الله عنه .

(ب) وحين تولّى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة رسم للمسلمين سياسته العامة في خطبته الجامعة على منبر النبي ﷺ : [أيها الناس : إني قد وليتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف فيكم قويّ عندي حتى آخذ الحق له ، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلّ ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطيع الله ورسوله ، فإن عصيتُ فلا طاعة لي عليكم] .

وهكذا تفتح القيادة صدرها للجنود ، وتطلب منهم النصح والتسديد ، ومساندة الحق . .

(ج) ويخطب عمر رضي الله عنه بعد أن تولّى الخلافة فيقول : [اتقوا الله عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحة فيما ولّاني الله من أمركم] .

وخطب مرة وقال : « أيها الناس : من رأى فمي اعوجاجًا فليقومه » ، فأجابه رجل من الأعراب وقال : « والله لو علمنا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا » ، فسّر عمر رضي الله عنه للموقف الذي وقفه الرجل ، وقال قوله الخالدة : « الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من لو رأى فيه اعوجاجًا قومَه بسيفه » .

وهذا الموقف يدل على أن القيادة كانت تتحمّل في سبيل النصح الفظاظة والغلظة ممن في طبيعتهم الجفوة من أهل البوادي والأعراب ، بل كانت لا تجب في ذلك حرجًا ولا غضاضة ما دام النصح لله ، وفي إحقاق الحق ومصلحة المسلمين .

وعلى المرّين أن يلحظوا في تعويد الشباب على النصح والنقد الذاتي أمرين هامّين :

الأول : - أن يعوّدهم على أن يكون نصّحهم لأئمة المسلمين بالأدب والرفق واللّين .

الثاني : - أن يربّوهم على أن تكون النصيحة لهم بالسّر والكتمان وعدم التشهير .

فبالتعويد على هذين الأمرين يكونون قد حافظوا على وحدة الجماعة وتماسكها ، وزرعوا بذور المحبة والثقة والأدب بين أعضائها وقادتها ، وتركت النصيحة على طريق البناء والإصلاح أثرها وتأثيرها ، وجنت الأمة الإسلامية عند قطف الثمار كلّ ما يصلحها . .

فليحرص الدعاة والمرّبون على أن ينشئوا جيل الإسلام على خلق النصح والمناصحة ، والنقد الذاتي البناء . . إن أرادوا أن يهيوهم جنودًا للإسلام ، ورجالًا للدعوة ، وحملةً لمشاعل النور والهداية في العالمين .

تلكم أهم أسس التربية على الجندية في إعداد جيل من الشباب :

ممثل بدقة وإحكام أوامر قيادته .

متأدب مع الكبار وأهل السابقة من جماعته .

مندفع بصدق وإخلاص في تأييده ومناصرته .

متربُّ على المناصحة والنقد البناء لقيادته وأبناء دعوته . .

فهذه المبادئ الفاضلة يتدرّج شباب الإسلام شيئاً فشيئاً في مراحل الوصول إلى النصر المؤزر ، والفتح المين ؛ وفي سُلّم استعادة الكيان السياسي الكبير الأجد في العالمين . . وفي ذلك فرحتهم العظمى ، وأمنيتهم الغالية ، وهدفهم الأسمى المنشود . .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن من الإعداد الواجب ، والتهيئة اللازمة بناء الفرد المسلم على القوة ، ذلك لأن القوة هي شعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته ، فالقران الكريم ينادي في وضوح : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . . ﴾ ، والنبي ﷺ يعلن بجلاء : « المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف » . .

فعلى الجماعة الإسلامية أن تربي أفرادها على القوة في كل شيء : القوة في الإيمان والعقيدة ، القوة في الجسم والساعد ، القوة في الوحدة والارتباط ، القوة في التدريب والاستعداد ، القوة في التخطيط والتنظيم . .

ولا شك أن أول درجة من درجات القوة - كما سبق ذكره - قوة الإيمان والروحانيّة ، ثم تأتي قوة الوحدة والارتباط ، ثم تأتي قوة الساعد والسلاح . . وإن ملاك هذا كله هو قوة التخطيط ومراحل العمل والتنظيم .

فلا يصح أبداً أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لديها هذه المعاني جميعاً ، ولا يمكن أن تصل إلى السيادة والنصر إلا بعد أن تأخذ بجميع مراحل القوة ، وتستكمل كل أسبابها ومقوماتها . .

ومن الخطأ البين أن تستخدم قوة الساعد والسلاح مثلاً وهي مفكّكة الأوصال ، مضطربة النظام ، خامدة الإيمان ، خاوية الروحانية ، متخلخلة

التطبيق ، معدومة التخطيط . . فإن مصيرها سيؤول - لا محالة - إلى الفشل
والشتات والدمار ! ! . .

وصفوة القول :

آية جماعة للمسلمين تحمل في بلاد الإسلام لواء الدعوة الإسلامية وتقوم على
نشرها ، وتجاهد في سبيلها . . لا يمكنها بحال أن تصل إلى قمة السيادة والنصر ،
وأن تبني في الأمة الإسلامية صرح العز والمجد إلا أن تركز في تربيتها لأعضائها ،
وإعدادها لشبابها . .

على التربية الروحية : التي عليها المعول في انتظار العون الرباني ، واستمطار
الغوث الإلهي . .

وبدونها لا يتحقق لأمة الإسلام نصر ، ولا يقوم لها كيان .

وعلى التربية النفسية : التي عليها كل الاعتماد في تكوين الشخصية
الإسلامية على معاني الإيمان والإخلاص ، والصبر والحلم ، والجرأة والشجاعة . .
وبدونها لا تصل الجماعة إلى الغاية المرجوة في إقامة حكم ، ولا بناء مجد ،
ولا تأسيس دولة . .

وعلى التربية على الجندية : التي هي من أكبر العوامل في تعويد النفس على
الانضباط والطاعة ، والأدب والاحترام ، والمناصرة والتأييد ، والنقد الذاتي
والمناصحة . .

وبدونها لا يتحقق للجماعة نظام ، ولا يستقر لها قرار ، ولا يكون لها هيئة
ولا اعتبار . .

هذا عدا عن تربية الجماعة على القوة في الجسم والساعد ، والقوة في التدريب
والاستعداد ، والقوة في التخطيط ومراحل العمل والتنظيم . .

فبدونها لا تستطيع الجماعة أن تنهض برسالة ، ولا أن تتحمل مسؤولية ، ولا
أن تصبر على مواجهة الأحداث ، ولا أن تسير في طريق العمل الدعوي على هدى
وبصيرة . .

ومن هنا ندرك السرّ في قوله تعالى في وجوب الإعداد : ﴿ وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة . . ﴿ (الأنفال : ٦٠) .

ومن هنا نعلم المراد من قوله جلّ جلاله في الوصول إلى النصر : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . . ﴿ (النور : ٥٥) .

فالذين يريدون استعجال النصر من الشباب المتحمّس دون الأخذ بأسباب الإعداد ، ودون التزام منهج التربية الصالحة ، فالخير لهم وللدعوة وللإسلام . . أن ينصرفوا عن الجماعة التي ينطقون باسمها ، وأن ينسحبوا من عضويتها التي يتشرفون بالانتماء إليها . . حتى لا يعرضوا الدعوة الإسلامية لضربات الحكام ، ومؤامرات الأعداء . . كما أن على قيادات الجماعات الإسلامية أن لا تقبل في صفوفها من لا يأخذ بمنهجية الإسلام في التربية ، ولا يلتزم بمبادئ القرآن في التكوين والإعداد . .

وهذا الذي نعيه هو ما أوضحه الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله أوضح بيان في المؤتمر الخامس حين خاطب أعضاء جماعته وقال : [أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمّسون المتعجلون منكم : اسمعوا مني كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع : إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده . ولست مخالفًا هذه الحدود التي اقتنعت كل الاقناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل ! قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها ، إنما تظهر الرجولة بالصبر والثابرة والجّد والعمل الدائب . فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها ، أو يقطف زهرة قبل أوانها فلسنت معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ؛ ومن صبر معي حتى تنمو البذرة ، وتنبت الشجرة ، وتصلح الثمرة ، ويحين القطاف . . فأجره ذلك على الله ، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين : إمّا النصر والسيادة ، وإما الشهادة والسعادة . .]^(١) .

ثم يدعوهم رحمه إلى الانضباط بنظرات العقول فيقول : [أيها الإخوان

(١) من رسالة « المؤتمر الخامس » للإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله .

المسلمون : أجموا نزوات العواطف بنظرات العقول ، وأنبروا أشعة العقول بلهب العواطف ، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع ، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ، ولكن غالبوها واستخدموها وحوّلوا تيارها ، واستعينوا ببعضها على بعض ، وترقبوا ساعة النصر ، وما هي عنكم ببعيد . . . [(١)] .

فالمخطوة الثالثة في العمل الدعوي المركز إذن - يا شباب - هي التركيز على التربية والإعداد في ترقية الأرواح ، وصياغة النفوس ، وصناعة الجنود ، وتكوين الدعاة ، وتربية المنتسبين . . .

فهذا التركيز على التربية والإعداد - يا شباب - تكونون أقدر وأثبت على مواجهة الحكم العلماني في بلاد الإسلام ، وبالأخذ بأسبابه ووسائله تصلون - بعونه تعالى - إلى النصر المؤزر ، والفتح المبين .

٤ - العمل على تكثير القاعدة :

بعد أن ركزت الجماعة في إصلاح أفرادها ، وتكوين أعضائها . . . على التربية والإعداد ، وبعد أن ربطت كل من ينتسب إليها ، وينتظم في سلكها برابطة الأخوة والإسلام . . .

بعد هذا كله عليها أن تتخير نماذج من الدعاة يقومون بمسؤولية تبليغ الدعوة في كل مكان :

في المدرسة ، في الجامعة ، في المسجد ، في مكاتب الوظيفة ، في النقابة ، في الحي ، في المقهى ، في الحافلة ، في القطار ، في المدينة ، في الريف ، في القرية ، في محيط المثقفين ، في مجتمع النساء ، في صفوف العمال ، في رجالات الحكم ، في المهندسين ، في الأطباء ، في المحامين ، في طبقة الأغنياء وعلى العموم : في كل البيئات ، وعلى كل المستويات . . .

(١) من رسالة « المؤتمر الخامس » للإمام الشهيد حسن البنا رحمه أ .

ولا يمكن للدعاة أن يحصدوا إنتاج عملهم ، ويقطفوا ثمار دعوتهم إلا أن يسيروا على وفق منهج مرسوم ، وخطّة محكمة في اجتذاب الناس ، وكسب الأنصار . .

وأرى أن هذا المنهج يتركز في الأصول التالية^(١) :

أولاً : - في دراسة البيئة وأحوالها ، وقد سبق الكلام عنها في بحث « الانطلاق في مضمار الدعوة » .

ثانياً : - في اتباع أصول التحدث والحوار : وذلك في التحدث باللغة التي يفهمها القوم والتمهل بالكلام أثناء الحديث ، والبعد عن التكلف والتشّدق بالفصاحة ، والتحاوّر بما لا يخل ولا يملّ ، والمخاطبة على قدر الفهم ، وإقبال المتحدّث على الجلّساء جميعاً ، ومباشرة الجلّساء بما يدخل السرور عليهم . . إلى غير ذلك مما يؤثّر ، ويجذب الناس ، ويدفع الملل . .

ثالثاً : - البدء بالأهمّ ثم المهمّ ، وذلك أن يبدأ الداعية بالدعوة إلى العقيدة قبل العبادة ، وبالعبادة قبل مناهج الحياة ، وبالكليات قبل الجزئيات ، وبالتصوّر الصحيح عن الإسلام قبل الخوض في القضايا العامة ، وهكذا . .

رابعاً : - الابتعاد عن الخلافات الفقهية ، وذلك بالتعرف على اختلاف الفقهاء في الفروع الفقهية حتى لا ينكر على الناس ما لا يجوز عليه إنكاره أخذاً بالقاعدة التي تقول :

« نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » .

فلماذا الإنكار على من يخالف مذهبه ؟ وكل واحد منهما يقلّد إماماً جبلاً في العلم ، وقدوة في الورع ، وآية في النبوغ . . وقديماً قالوا : « مَنْ قَلَّدَ عَالِماً لَقِيَ اللَّهَ سَالِماً » .

خامساً : - اتباع أسلوب الترفّق والملاطفة ، وذلك بالتحلّي بصفات الحلم

(١) ارجع إلى كتاب « كيف يدعو الداعية » للمؤلف تجد فيه الأصول مفصّلة بما يشفي الغليل إن شاء الله .

والتواضع والمنطق اللين العذب الجميل . . لجذب النفوس إلى الإسلام ، وفتح القلوب للحق ، وردّ المنحرفين إلى الله . . تنفيذًا لأمر الله جلّ جلاله : ﴿ فقولا له قولًا لئنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ ، وأخذًا بالمبدأ الذي رسمه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه : (. . وخالق الناس بخلق حسن) .

سادسًا : - الهيمنة على المجلس والتأثير في الناس ، وذلك بإشراقه الداعية الروحية ، وقوته السلوكية ، وقوته الإقناعية ، وطريقته التشويقية . . فهذه الخصال يأسر الداعية القلوب ، ويؤثر على النفوس ، وتذرف عند سماعه المآقي والعيون ، وينشر دين الله في الأرض . .

سابعًا : - الاستعانة بوسائل التبليغ ، وقد سبق التفصيل فيها في بحث « الانطلاق في مضمار التوعية » ، ولا يخفى ما في هذه الوسائل من تصحيح للأفكار ، وإلهاب للحماس ، وتحريك للدعوة ، وتنشيط للعمل . .

ثامنًا : - إنزال الناس منازلهم ، وذلك بمعاملتهم على حسب أقدارهم ، ومخاطبتهم ، على قدر عقولهم ، ومنحهم من العناية والاهتمام بالقدر الذي يحق صلاحهم . .

فعل الجماعة الإسلامية أن تأخذ بمنهج الإسلام في تكوين الدعاة ، وأن تحرص على العمل به في تدريبهم وإعدادهم . . ليعرفوا كيف يبدؤون وكيف ينتهون ؟ وليلعلموا كيف يكسبون الناس وكيف يؤثرون ؟ وعلى مثل هذا فليعمل العاملون . .

ومما تجدر الإشارة إليه :

أن الداعية لا يمكن أن يؤثر في الناس التأثير البالغ إلا أن يتفاعل مع الدعوة تفاعلًا صادقًا مخلصًا ، وأن يظهر أثر هذا التفاعل في ملامحه وجوارحه وسائر تحركاته بلا تصنع ولا تكلف ولا تمثيل ، وشتان بين داعيتين :

الأول : - لا يعمل إلا بأجر ، ولا يتحرك إلا بتوظيف ، ولا ينطلق . . إلا إذا تحصّلت له مصلحة مادية ، أو منفعة دنيوية . .

الثاني : - حين يتحرك للدعوة يتحرك من ذاته ، وحين ينطلق في سبيلها

ينطلق من وحي صدقه وإخلاصه ، وحين يعمل للإسلام لا يشترط الأجر ، ولا يبغى الجزاء ولا الشكور . . وإنما يعمل لله ، وفي سبيل الله ، وفي ابتغاء مرضاة الله .

لا شك أن الثاني تأثيره في الناس أبلغ ، واهتمامه للدعوة أعظم ، وتفاعله مع التبليغ الدعوي أسمى وأكبر . .

قال عمر بن ذرّ لأبيه يوماً : يا أبت إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم ؟ .

فقال أبوه : يا بنيّ ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة ! ! .

نعم ، ليس الداعية الذي يتكلم بلسانه وهو متصنّع بالكلام ، متشدّق بالفصاحة . . ليسبي به عقول الرجال ، كالداعية المكلموم القلب ، الحزين النفس ، المهتمّ الحال . . الذي إذا تكلم لا يتكلم إلا بنبضات قلبه ، وإذا تحدّث لا يتحدّث إلا من أحاسيس حزنه وأساه . . مستعرضاً حين يتحدّث أحوال المسلمين ، وأوضاع بلاد الإسلام على ما أصابها من تمزق وتأخر وانحطاط ! ! .

ولا يمكن للداعية أن يتفاعل مع الدعوة الإسلامية ، وينطلق في ميادينها بمرارة وعزيمة وإخلاص . . إلا أن يضع في تصوّره شيئين هامّين :

- ١ - أن يدرك أبعاد المؤامرات على الإسلام وبلاد الإسلام .
- ٢ - أن يضع قضايا المسلمين الأساسية في بؤرة شعوره ووجدانه .

فهذا الاستشعار الوجداني بمؤامرات أعداء الإسلام على الإسلام ، وهذا التحسّس بالآم المسلمين وأحوالهم ، والاهتمام بمشاكلهم وقضاياهم . . هو من المبادئ التي رسّخها نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في أبناء الإسلام في كل مكان ، ولا سيما فيمن يكون في موضع المسؤولية منهم من المرّيين والدعاة والعلماء . . في بلاد المسلمين ، فقد روى البيهقي والطبراني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « من أصبح ولم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم » ، بل مثل النبي صلوات الله عليه حال المسلمين جميعاً في التوادد والتعاطف والتراحم كحال الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تفاعلت الأعضاء جميعاً سهراً وألماً لاشتكاء هذا العضو ، وذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم وأحمد : « مثل المؤمنين في توادهم

وتعاطفهم وتراحمهم كمثّل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وهذه النصوص تعني أن يكون المسلمون - ولا سيما الدعاة منهم - في استشعار كامل ، واهتمام بالغ ، وإحساس عميق . . بقضايا الإسلام ، وآلام المسلمين ، فإن لم يكونوا على هذا المستوى من حمل الأمانة ، واستشعار المسؤولية ، والمشاركة الوجدانية والفعالية . . فليسوا من الإسلام في شيء ، وليسوا من جماعة المخلصين العاملين .

نعم حين يكون اهتمام الداعية بدعوته ومجتمعه وأمتة . . كاهتمامه برزقه وبيته ، وأهله وولده . . نقول : إن الدعوة الإسلامية قد تركّزت في بؤرة شعوره ، وتأصّلت في أعماق وجدانه . . بل أصبح كالنائحة الثكلى في انبعاث اللوعة والأسى ، وصدق المشاعر والأحاسيس . . بل لا يهدأ له بال ، ولا يطيب له عيش ، ولا يستقرّ له حال . . حتى يرى وطنه المسلم بشكل خاص ، ووطن الإسلام بشكل عام قد تحرّر من حكم الطغاة ، وانتصر على أعداء الله ، وأقام نظام الإسلام . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

ولكن هل يكفي أن تدرّب الجماعة على مناجاة الدعوة ، وتوصّل التفاعل معها في بؤرة شعورهم . . ثم تترك حبلهم على غاربه بلا تخطيط هادف ، ولا عمل مركّز ؟

على الجماعة في الحقيقة أن تضع لأعضاء جماعتها خطة عمل محكمة هادفة . يكون من أولى بنودها توزيع العمل على لجان دعوية متخصصة ، تكلف كل لجنة بأداء مهمتها ، وعلى حسب ثقافتها وتخصّصها في محيطها وبيئتها . .

فهذه لجنة دعوية تعمل في محيط الطلاب ، وأخرى تعمل في قطاع العمال ، وثالثة متفرّغة لأرباب الحرف والنقابات ، ورابعة مسؤولة عن قطاع النساء والطالبات ، وخامسة مهمتها في القرى والأرياف ، وسادسة مفرزة لطبقة التجار والأغنياء ، وسابعة تعمل في حقل المهندسين والمحامين والأطباء ، وثامنة تمارس نشاطها في ميدان العوائل الكبيرة والأحياء ، وتاسعة تقوم بمهامّها في فئات الموظفين والقضاة والحكام . . وهكذا . . إلى أن تغطّي اللجان الدعوية قطاعات الشعب جميعاً ، وعلى كل المستويات . .

ولكن هل يكفي أن تشكل اللجان ، ويفرز الدعاة ، ويستمر العمل . . دون نظر في النتائج ، وتشاور في الوسائل ، وبمبحث للمشكلات ؟ ۱۱۹ .

الحقيقة لا يكفي ذلك ، بل ينبغي أن يلتقي مسؤول الجماعة في كل بلد بمسؤولي اللجان في كل شهر ، ويبحث معهم فيما وصلوا إليه من نتائج ، وما اعترضهم من مشكلات ، وما وقف في طريقهم من عقبات ، وما يحتاجون إليه من وسائل ، وما يدور في تصوراتهم من اقتراحات . . ولا بد أن يصلوا بعد هذا التحاور واللقاء إلى أفضل الحلول ، وأوضح الآراء . . فيتعاهدون على تنفيذها ، والعمل بها ، والسير على منوالها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

فمن المؤكد يقيناً أن الجماعة الإسلامية في كل بلد . . إذا وصلت إلى هذا المستوى من النضج والتخطيط ، والجهاد والمثابرة ، والتحرك والشعور ، والاهتمام والمسؤولية . . فإن المنتظمين في سلك الجماعة سيكونون في ازدياد ، والقاعدة الشعبية من المؤيدين والأنصار ستكون في امتداد . . على أيدي أولئك جميعاً يتحقق للمسلمين نصر ، ويكون لهم كيان ، وتقوم لهم عزة وسيادة . . والله وليّ العاملين الخالصين .

قد يقول قائل : كيف يمارس الدعاة حرية الدعوة في ظلّ حكم لا ديني يلاحق الجماعات التي تدعو إلى الإسلام ويضطهدها ، ويضيّق عليها الخناق ويتهمها .. !!؟

نعم قد يكون ذلك ، ولكن لن يعدم العقلاء في الجماعة الوسيلة ، ولن تعجزهم الحيلة ، قد يكون من بنود العمل والجماعة على هذه الحال الاتصال الفردي ، أو الانتظام في سلك جمعيات العلماء ، تدعو أفراد الجماعة إلى الإسلام باسمها ، ويقومون بدور التوعية والتبليغ تحت مظلتها ، أو العمل على تشكيل جمعيات لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه . . تنتشر في كل مسجد ، وفي كل حي . . لتقوم بأداء رسالتها ، وتجمع المسلمين تحت رايتها . . أو . . أو . .

المهم أن يتحرك الدعاة ، وأن يعملوا . . وأن يفكروا في الحلّ الأمثل في طريقة العمل ، وبالخطوة المحكمة في انتهاج الأسلوب . . مهما كانت الظروف والأحوال ، والله سبحانه معهم ، وهو يتولّاهم ويدافع عنهم ، ويهديهم سبلهم ، ويوفقههم لعزّ الإسلام ونصر المسلمين .

فأخطوة الرابعة في العمل الدعوي المركز إذن - يا شباب - هي العمل على تكثير القاعدة الشعبية في كل البيئات ، وعلى كل المستويات . . فهذه القاعدة الشاملة التي عملت الجماعة على امتدادها وانتشارها . . تكون الجماعة - ولا شك - أقوى وأقدر على مواجهة الحكم العلماني في بلاد الإسلام ، وبقيتها وإثبات وجودها تصل - بإذن الله - إلى النصر المؤزر ، والفتح المبين .

٥ - التدبير المحكم للوصول إلى النصر :

بعد أن عملت الجماعة جاهدة عازمة صابرة على امتداد القاعدة الشعبية وانتشارها في كل حي ، وفي كل قرية ، وفي كل بلد ، وفي جميع القطاعات والمؤسسات ، وفي طبقات الطلاب والعمال ، وفي صفوف الرجال والنساء . . وأصبح لها من الأنصار والأعوان والمؤيدين ، ما يملأ السمع والبصر ، وما يقوي في النفوس التفاؤل والأمل ! ! ! . .

بعد هذا كله يأتي دورها في وضع خطة محكمة مأمولة للوصول إلى الهدف المنشود ، والنصر المؤزر ، والفتح المبين .

ولكن ما هي معالم هذه الخطة المحكمة المركزة التي ينبغي أن تنتهجها القيادات والجماعات ؟ :

الذين يسرون وراء الانقلابات السياسية ، والتغيير الاجتماعي في العالم يضعون في حساباتهم أربع طرائق للوصول إلى غايتهم المأمولة في تحقيق النصر :

الأولى : - عن طريق الجيش ، وهو ما يسمى اليوم بالانقلابات العسكرية .
الثانية : - عن طريق فئات من الشعب ، وهو ما يسمى بحرب العصابات .
الثالثة : - عن طريق الجماهرة الكبرى من الشعب ، وهو ما يسمى بالثورة الشعبية .

الرابعة : - عن طريق الانتخابات النيابية ، وهو ما يسمى بالحكم الديمقراطي .

وها نحن أولاء سوف نناقش كل طريقة من هذه الطرائق الأربع ، وأيتها أقوم
وأحكم في إصابة المرمى ، والوصول إلى الهدف . . في ضوء الواقع والإمكانات ،
والمواقع الاستراتيجية ، ووحدة الجماعة وتماسكها . . ؟

أما الاعتماد على الانقلابات العسكرية فأقول :

إنه من الصعوبة بمكان أن يصل الإسلاميون إلى الحكم في ظل سلطة لا دينية
عن طريق الانقلاب العسكري للأسباب التالية :

أولاً : إن الحكام اللادينيين من شيوعيين ، واستعماريين ، وباطنيين ، هم
أخبث وأمكر من أن يتركوا ضابطاً في قطاع الجيش يقول : ربّي الله ، وديني
الإسلام . . في مركز مهمّ ، وموقع حسّاس ، لاستخدامهم جهازاً سرّياً قوياً
منظماً من أجهزة المراقبة والاستخبارات . .

ثانياً : لا يصل أيّ ضابط في الجيش في ظل الحكم اللاديني إلى مرتبة القيادات
ذات الشأن إلا بعد أن يمرّ على مراحل من التجارب الظاهرة والباطنة لمعرفة ولائه
للحكم ، وكرهه للإسلام . .

ثالثاً : الضباط المسلم الملتزم سرعان ما يظهر أمره ، وتتكشف حقيقته ،
وذلك حين يؤدي الصلاة - وهو في المعسكر - في وقتها ، ويمتنع عن مجالس
اللهو ، وموائد الخمر . . حين يُدعى إليها . . وإن لا ، فكيف يكون مسلماً
ملتزماً وهو يجمع في آن واحد بين الصلاح والفساد ، والطاعة والمعصية ؟ .

رابعاً : في كل فترة وفترة يعلن الحكم اللاديني عن قوائم جديدة من الضباط
الإسلاميين المسرّحين ، أو المحوّلين . . وفي أكثر الأحيان يتخذ الحكم هذه
الإجراءات بالظنّة ، وينفّذها بالشبهة . . وإذا وجد في قطاع الضباط من لم
يكشف أمره ، وتظهر على الساحة حقيقته . . فهؤلاء في الواقع أقلّ من القليل ،
لا يمكنهم بحال أن يغيروا حكماً ، ولا أن يحدّثوا انقلاباً . .

فمما ذكرناه يتبيّن أنه لا يمكن بحال أن يعتمد الإسلاميون على الجيش في
التغييرات السياسية ، والانقلابات العسكرية . . بل دون ذلك خرط القتاد ،
ورابع المستحيل !! . .

وأما الاعتماد على حرب العصابات فأقول :

لا يمكن الاعتماد أيضاً على حرب العصابات في تغيير أي نظام من أنظمة الحكم ، مهما كانت هذه الحرب منظمة ، ومهما كانت عملياتها مركزة ومسددة . . .

ذلك لأن حرب العصابات تعتمد في كل حربها وانطلاقها على فئة قليلة من الشعب معلّمة ومدربة تنتهز الفرصة تلو الفرصة لتغير بأسلحتها على مؤسسة من مؤسسات الدولة تنسفها أو تحرقها ، أو تُغير على فئات من المسؤولين تغتالها وتقتلها . . .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن القائمين على هذه الحرب يعتمدون في عملياتهم وحربهم على السرية المتناهية : سرية الخبأ ، وسرية التخطيط ، وسرية التنفيذ . . . وهذا معناه أن ليس لهم أرض محررة يأوون إليها ، ويأخذون حريتهم فيها ، ويستشعرون بنعمة الراحة النفسية والأمن حين يضعون أرجلهم عليها . . . اللهم إلا إذا ارتبطوا بدولة مجاورة تمدّهم بالغذاء والسلاح ، وتسمح لهم باللجوء والإيواء . . .

والذين عندهم دراية في الحروب والثورات . . . يكاد أن يكونوا مجمعين بأن العصابات المحاربة للنظام لا يمكن الاعتماد عليها في تغيير النظام ، ذلك لأن قوتها في العدد والعدة غير متكافئة مع النظام ، ومن ناحية أخرى فإنها مستهدفة من قبل النظام لتصفيتها وسحقها ، واستئصال شأفتها . . . فهي في الحقيقة - كما يقولون - تترك النظام ولكن لا تغيّره ، وتقلقه ولكن لا تستأصله . . . بل تكون عاقبتها - لا محالة - الفناء والدمار ! ! . . .

هذا عدا عن أن نهجها في إرباك النظام غير شرعي ، وغير أخلاقي . . . لاعتمادها في عملياتها على نفس المؤسسات الاقتصادية التي هي ملك الشعب ، وما وضعت إلا لتأمين مصالح الشعب ؛ وهي في الوقت نفسه سبب كبير في قتل الكثير من الضحايا الأبرياء الذين يذهبون نتيجة عملياتهم وتفجيراتهم ! ! . . .

فمما ذكرناه يتبين أنه لا يمكن للإسلاميين بحال أن يعتمدوا على حرب العصابات في تغيير النظام . . . لأن دون ذلك رابع المستحيل من ناحية ، ولأن

المسلك الذي يسلكونه غير رعي ، وغير أخلاقي ... من ناحية أخرى ..

وأما الاعتماد على الثورة الشعبية فأقول :

إن المقصود بالثورة الشعبية حين نرفع شعارها ونطلقها : أن يهتّب الشعب بجميع طبقاته وفتاته ، وشيبه وشبّانه ، ورجاله ونسائه ، وطلّابه وعمّاله . . هبة رجل واحد في مواجهة النظام وإسقاطه ، واستبداله بالذي هو خير .

ولا يمكن للثورة بهذا المفهوم والمنطق أن تصل إلى هدفها في الإسقاط والتغيير إلا أن تعتمد على أمرين هامين :

الأول : - القيادة الموحدة التي يتجاوب لها ، ويتفاعل معها . . أبناء الأمة جميعاً بلا استثناء .

الثاني : - إعطاء البيعة لها على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، والعمل والتنفيذ . .

أما إذا تعدّدت الجماعات ، وتوّعت البيعات ، وأصبح لكل جماعة إمام تناصره وتبايعه ، ولكل إمام جماعة يهتم بها ويقودها . . فهذا - والله - هو التمرّق بعينه ، والتنافر بذاته . . بل هو القاصم للظهور ، والمدمر للأمة ، والقاتل للثورة ، والميئس للعمل ، والمُفرِح للأعداء ! ! .

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في الجامع وانقسام
ترى كلاً له أمل وسعي وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام ولكنّ الجميع بلا إمام

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الأمة حين تتفاعل مع الثورة بجميع رجالها ونسائها ، وسائر أفرادها وجماعاتها . . وتعطي البيعة والولاء لقيادة صادقة مخلصه ، وتنتظر الأمر منها لتطيع ، وخطه العمل لتنفيذ . . من المؤكد أن هذه الأمة بقيادتها وأميرها يكتب لها النجاح والتوفيق ، وتحرز النصر والتغيير ، وتصل إلى الغاية المنشودة في إقامة عزة سامقة ، وبناء مجد عريض ، وإشادة كيان سياسي مرموق .

وأحياناً لا تحتاج الثورة الشعبية إلى المقاومة ، وإشهار السلاح ، واستخدام

العنف والقوة . . وهي في هذه الحالة من الشمولية في العدد ، ومن الانضباط في الطاعة ، ومن البيعة للقيادة والأمير . . وإنما يكفي أن تعلن غضبتها على النظام ، وخلع بيعتها منه . . بالمظاهرات السلمية الضخمة ، والمسيرات الشعبية الهادرة ! ! .

وحين يجد النظام هذا الاستنكار الشامل ، وهذه النقمة الغاضبة . . فمهما قاوم ، ومهما قتل ، ومهما اعتقل . . فلا بدّ أن يستسلم في نهاية المطاف إلى الغضبة الشعبية الشاملة ، ولا بدّ أن يتنحى عن الحكم ، ولا بدّ أن يتمّ النصر للشعب ، والتغيير للنظام . . وتجربة الثورة في إيران أكبر شاهد على ما نقول ، فالشعب هناك مرتبط بطبيعته ارتباطاً عضوياً ودينياً بأئمته ومشايخه ، فيسمع لهم ويطيع ولو كان على حنقه ، ولو أدّت به الطاعة إلى الخطر المحقق ، والموت الزؤام . .

فالمشايخ والأئمة هناك حين وحدّوا جهتهم ، وانتخبوا قيادتهم ، وأعلنوا البيعة والولاء لأمرهم ، والتفّ الشعب حولهم التفاف السوار بالمعصم . . حين تمّ لهم كل هذا تحقق لهم ما يريدون في استئصال الطغاة ، والقضاء على النظام ! ! .

ولكن هل كل الثورات يتم لها النجاح كما تم لإيران ؟

في اعتقادي أنه من الصعوبة بمكان أن يكتب لأية ثورة من الثورات من النجاح الفوري ، والتوفيق السريع كما كُتب لإيران ، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية :

الأول : - للعقيدة الشيعية التي يعتنقها أكثر الشعب بجميع أفرادها وجماعاته وهيئاته . .

الثاني : - لارتباط الشعب بأئمته ومشايخه ارتباطاً عضوياً ودينياً . .

الثالث : - لإعطاء البيعة لأمر واحد ، وقيادة موحدة ، يلتف حولها الجميع .

نعم ، قد تجد في الأمة التي يحكمها نظام مستبدّ ظالم النقمة العامة في أفرادها ، والتجاوب الكامل لمن يرفع شعار الثورة من رجالها ، ولكن لا تجد فيها القيادة الموحّدة التي يرضى عنها الجميع ؛ وأحياناً قد تجد الجهة الموحّدة للثورة ولكن

لا تجد الارتباط الشعبي بها ؛ وفي كثير من الأحيان قد تجد الغضبة العارمة الشاملة للنظام ولكن لا تجد في الغاضبين العقيدة الراسخة المحركة التي تدفعهم إلى المجابهة والمقاومة حتى النصر !! .

فكيف يكتب للثورة الشعبية النجاح والتوفيق وهي غير مرتبطة عضوياً بقيادتها ، وغير متوحدة قيادياً مع قادتها ، وغير متماسكة عقيدياً مع كافة أفرادها ؟ !! .

في تقديري أنه يصعب على الثورة أن تصل إلى السيادة والنصر وهي في هذه الحالة من الاضطراب والتشتت وفي هذا الوضع من عدم الانسجام والترابط اللهم إلا إذا وجد في قيادات الثورة جميعاً قيادة قوية في تنظيمها ، كثيرة في أفرادها ، راسخة في إيمانها ، صابرة في جهادها . . فتستطيع بحكمتها وإخلاصها ، وعزمها وجلدها . . أن تحتوي كل هذه القيادات في قيادتها ، وتجذب عامة الشعب إليها . . عندئذ يُرجى لهذه القيادة نصر ، ويتحقق لها عز وسيادة !! .

ماذا عن ثورة مجاهدي الأفغان ؟

الثورة الأفغانية اليوم لو قومناها بتقييم الإسلام ، ووزناها بميزان الواقع . . لوجدناها تختلف كل الاختلاف عن قيام الثورات جميعاً . . نعم تختلف عنها في النقاط التالية :

الأولى : - حين انطلقت باسم الإسلام ، وحين أعلنت الجهاد أعلنته جهاداً في سبيل الله .

الثانية : - الشعب هناك مرتبط بالعقيدة الإسلامية ، ومنعّود على التقشف والبساطة ، ومتخلّق بالصبر والمصابرة ، ومتمرس على الجهاد والقتال . .

الثالثة : - ليس أمام الشعب هناك خيار سوى أن يحمل السلاح في وجه الحكم الشيوعي الذي باع البلاد والعباد والدين للطاغوت الروسي ، وجيوشه الغازية العاتية . .

الرابعة : - في بلاد أفغانستان الواسعة الشاسعة مواقع استراتيجية من جبال

شاهقة ، ووديان ساحقة ، وأشجار كثيفة ، وكهوف في المتعرجات كثيرة ،
ومناخ بارد شديد . . وهذه المواقع بجملتها تمكّن المجاهدين أن يكمنوا فيها للعدوّ ،
وأن يلجئوا إليها عند الخطر ، وأن يأخذوا أهبتهم عند النزال والمقاومة . .

الخامسة : - من السهولة بمكان أن يتخذ المجاهدون من هذه المواقع
الاستراتيجية أرضاً محررة يتمركزون فيها ، ويقيمون قواعدهم العسكرية عليها ،
وتنطلق جحافلهم المجاهدة منها . . وقد فعلوا واصبحت ثلاثة ارباع الأراضي
الأفغانية بيد المجاهدين بفضل الله .

فانطلاقاً من هذا التقييم الذي تميزت به ثورتهم على غيرها من الثورات انطلق
المجاهدون في ثورتهم على بركة الله ، ومضوا يجاهدون في سبيل الله لتحرير الأرض
من براثن الشيوعية الحاكمة ، وحكم الإلحاد العميل . .

وبفضل نيتهم المخلصة ، وعقيدتهم الإسلامية الراسخة ، ومصابرتهم الصادقة ،
وعزيمتهم الجبارة ، وجهادهم المتواصل المستمر . . سيصلون بإذن الله إلى النصر
المؤزر ، والفتح المبين ، والحكم الإسلامي الأصيل . .

فعلى الذين يرفعون شعار الثورة الإسلامية في بلاد الإسلام أن يعلموا جيداً
قبل أن يرفعوا شعار الثورة ، وينطلقوا في ميدان المقاومة والجهاد . . أن يحسبوا
ويقدرّوا : إذا لم يكن معهم من القواعد الشعبيّة المؤمنة ما يعتمدون عليها ،
ويرجون مناصرتها وتأييدها ؛ وإذا لم يكن لديهم من المواقع الاستراتيجية ،
والأرض المحرّرة . . ما ينطلقون منها ، ويضعون أرجلهم عليها ؛ وإذا لم يكن
عندهم من القوة والإمكانات . . ما يقاومون أعداءهم بها ؛ وإذا لم يكن في
تصوّرهم من خيار إلا أن يدافعوا عن أنفسهم ودينهم . . في خضمّ المؤامرات ،
وتآلب الأعداء . .

فحرام عليهم شرعاً أن يتورّطوا في الجهاد ، ويورّطوا غيرهم فيها . .
وحرام عليهم أن يكونوا سبباً في تيتيم الأطفال ، وترميل النساء ، وتقتيل
الشباب ، وتخريب المدن ، وتشريد العوائل . .

وحرام عليهم أن يوقفوا مسيرة الدعوة ، ويقتلوا العمل الإسلامي ، ويمكّنوا
للإلحاد أن يستشري ويستفحل ! ! . .

فالمسؤولية عند الله كبيرة إن هم تورطوا ، ومحكمة الأجيال المسلمة جدًا لهم
دائمة وأليمة إن هم فعلوا ، وتسجيلات التاريخ لأفعالهم الظالمة إن هم تهادوا
وقرطوا . .

قال تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون ﴾ .

وأما الاعتماد على النظام الديمقراطي فأقول :

إنه من المتعذر ، بل من الصعوبة بمكان أن يصل الإسلاميون إلى الحكم عن
طريق الانتخابات البرلمانية الشعبية في ظل حكم علماني لا ديني ، وذلك للأسباب
التالية :

(أ) لأن قبول الترشيح للانتخابات بيد الحكومات العلمانية ، فهي التي تقبل
من المرشحين من تشاء ، وترفض من تشاء .

(ب) لأن التزوير في الانتخابات بيدها أيضًا ، فهي التي توصل إلى البرلمان
من تشاء ، وتسقط من تشاء .

(ج) لأن حلّ البرلمان بيدها كذلك ، فحين ترى أعضاء البرلمان ساروا على
خلاف هواها ، فبجرة قلم تُجمّد البرلمان ، أو تحلّه ، أو ترفع الحصانة عن بعض
أعضائه . .

وكم سمعنا عن أحزاب سياسية ذات صبغة إسلامية شاركت في الحكم فترة
من الوقت ، وأصبح لها في مجالس تمثيل الشعب أعضاء وأنصار . . فحين رأى
العلمانيون في الجيش تحركهم ونشاطهم وامتدادهم . . استولوا على الحكم ،
وألقت بالإسلاميين في غياهب السجون ، وقدمتهم للمحاكمات ، واتهمتهم بأنواع
الافتراءات ، ولم يكتفوا لأحد منهم أن يرتفع له رأس ، أو يقوم بأيّ نشاط ؟ ! ! .

وأعظم شاهد على هذا ما فعله الجيش العلماني بحزب « سلامات » في تركيا ،
فقد رأينا أن الجيش استولى على مقاليد الحكم ، وحلّ البرلمان ، واعتقل جماعة
حزب « سلامات » ، وقدمهم للمحاكمة ، وذلك حين رأى الجيش من الحزب
نفسه تحركه للإسلام ، ونشاطه للدعوة . . ولقد اعتبر هذا التحرك ، وهذا

النشاط . . مخالفاً لمبادئ أتاتورك اللادينية ، ومصادماً للمنهج العلماني الذي تسير عليه البلاد منذ الانقلاب الأتاتوركي الكمالي إلى عصرنا هذا !! .

وما أذكره جيداً في أواخر الخمسينات^(١) أن توفي أحد النواب الذي يمثل دمشق ، فأعلنت الحكومة آنذاك عن إجراء انتخابات تكميلية يفوز فيها نائب واحد بدلاً عن النائب المتوفى ، فتقدم للترشيح اثنان : الأول « الشيخ مصطفى السباعي » رحمه الله الذي يمثل الوجه الإسلامي الأصيل في البلد ، الثاني « رياض المالكي » الذي يمثل الوجه اليساري في الأحزاب . . فماذا حدث ؟

الحكومة في دمشق تبنت المرشح اليساري « رياض المالكي » الذي ليس له من المؤيدين إلا حفنة قليلة من الشيوعيين ، والبعثيين الاشتراكيين ، وبعض المنتفعين والمنافقين .

فاستعانت الحكومة بكل الوسائل اللاأخلاقية في سبيل إنجاحه ، فاستأجرت المومسات ليقمن بدورهن في صناديق النساء ، فكانت المرأة المحجبة حين تأتي للانتخاب لتتدلي بصوتها ، فهتجم عليها المومس ، وتخلع عنها حجابها ، وترميها بكل منكر من القول وزور . . فهذه الطريقة اللاأخلاقية نفرت النساء من الانتخاب ، وكان ذلك لصالح المرشح اليساري « رياض المالكي » .

ولما رأَت الحكومة الإقبال الشعبي الهائل على صناديق الاقتراع لصالح المرحوم « السباعي » لجأت إلى التزوير ، وذلك بإنزال الجيش^(٢) للانتخاب من ناحية ، وبوضع أوراق الاقتراع المزورة من ناحية أخرى .

فمن البديهي أن تكون نتيجة الانتخابات لصالح المالكي ، وكان نجاحه - كما ألقينا - عن طريق التزوير والتدليس ، والأساليب اللاأخلاقية . .

وقد تحدت الحكومة العلمانية آنذاك بأسلوبها المتلوي عشرات الألوف من الشعب التي أعطت صوتها وولاءها لرائد الدعوة الإسلامية المحبوب الشيخ

(١) كان ذلك عام ١٩٥٧ م .

(٢) الأنظمة السورية تمنع المنتظمين في سلك الجيش أن يدلوا بأصواتهم في الانتخاب ، ومع هذا المنع أنزلت الحكومة الآلاف من الجيش ليصوتوا بجانب المالكي .

مصطفى السباعي رحمه الله ، وأنجحت مرشّحها المالكي متحدية مشاعر الأمة الإسلامية ، وضاربة بعرض الحائط مبادئ الديمقراطية التي كانت تسترّ بها ، وترفع أمام الناس شعاراتها . . وهكذا يفعلون . .

وهذه الأمثلة التي ذكرتها هي في الحقيقة غيض من فيض ، فالإسلاميون في كثير من البلاد الإسلامية لا يسمح لهم بالترشيح للانتخابات باسم الإسلام ، بل باسم أحزاب سياسية ذات صبغة علمانية ويمينية . . وأحياناً يحظر على شخصيات إسلامية معروفة أن ترشّح نفسها ؛ وفي كثير من الأحيان لا يسمح للإسلاميين أن يرشحوا أنفسهم إلا بأعداد قليلة لا تتجاوز أصابع اليد .

وهكذا تكيف الحكومات التي تدعي الديمقراطية الانتخابات على حسب هواها ، وعلى حسب ما يحقق مصلحتها . . ولو طغنت بأساليبها المتلوية مبادئ الديمقراطية في الصميم ، وتقمّصت لباسها المزور ، ورفعت شعاراتها البراقة الكاذبة .

وإذا كان للانتخابات البرلمانية ثمّة من إيجابيات ومحاسن ، فإن من أظهر إيجابياتها ومحاسنها أن الإسلاميين في البرلمان يعلنون على منبره صوت الإسلام ، ويبلغون دعوة الله ، ويوقفون تيار الفساد ما أمكن ، ويكسبون الأعوان والأنصار ، ويوضحون لمثلي الشعب حقائق الإسلام عن الكون والحياة والإنسان . . بل على العموم نقول : إن وجود الإسلاميين في البرلمان منفذ كبير من منافذ الدعوة إلى الله . . قد يفتح الله بهم آذاناً صمّاً ، وأعيناً عمياً ، وقلوباً غلغلاً . . وقد يكونون سبباً في قلب العدو صديقاً ، والعاصي تائباً ، والملحد مؤمناً . . إن أحسنوا العرض ، وأحكموا الأسلوب . .

أما أن يستلموا زمام الحكم عن طريق الانتخابات النيابية في ظلّ حكومة لا دينية . . فبتقديري أن ذلك مستحيل ، لأن الحكومات العلمانية مرتبطة سياسياً أو عقيدياً بدولة أجنبية ، فهي التي تحركها وتوجهها . . لضرب الإسلاميين ، وكنم أنفاسهم ، والحيلولة دونهم في أن يستلموا زمام الحكم ، ويقوموا دولة الإسلام !! . .

وسبق أن تكلمنا عن هذه الظاهرة بالتفصيل في بحث ملاحقة الحكومات

اللا دينية للإسلاميين ، وتطويق تحركاتهم ، والتنكيل بهم . .

فما ذكرناه يتبين أنه لا يمكن للإسلاميين بحال أن يصلوا إلى إقامة الدولة الإسلامية ، والحكم بما أنزل الله عن :
طريق الانقلابات العسكرية .

وعن طريق حرب العصابات .

وعن طريق الانتخابات النيابية في ظل حكومة لا دينية .

بل دون ذلك خرط القتاد ، ورابع المستحيل . . كما سبق بيانه .

لم يبق أمامنا من حلّ سوى الاعتماد على الثورة الشعبية .

ولا يمكن الاعتماد على الثورة الشعبية إلا ضمن شروط محدّدة كما سبق بيان ذلك :

- ١ - إيجاد القاعدة الشعبية التي تشمل جميع طبقات الشعب وفتاته . .
- ٢ - تكوين القيادة الموحدة التي تتجاوب مع القاعدة ، وتتفاعل معها . .
- ٣ - ارتباط القاعدة بقيادتها على أساس البيعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره . .

وهذه الشروط قد استوفت في الثورة الإيرانية ، وقد نجحت ، وأطاحت بنظام الشاه اللاديني بعد صبر ومصابرة ، وجهاد متواصل مرير .

أما عن نجاح الثورة الأفغانية فقد كادت أن تصل إلى النصر ، وتطيح بالنظام الشيوعي لولا تدخل روسيا بجيشها الكبير ، وأسلحتها الفتاكة المدمرة . .

وقد ثبت المجاهدون الأفغان ثبات الأبطال أمام الغزو الروسي ، وها هم أولاء يجاهدونهم ويجالدونهم منذ ست سنوات . . ومما ساعدهم على المجاهدة والمجادة ، والصبر والمصابرة . . إيمانهم الراسخ بالله . . من جهة ، واتخاذهم من مواقع بلادهم الاستراتيجية أرضاً محرّرة ، يتمركزون فيها ، وينطلقون منها . . من جهة أخرى . . وإن شاء الله فسيكون النصر حليفهم ، وبناء الدولة الإسلامية رائدهم . . ما داموا يقاتلون في سبيل الله ، ويحاربون أعداء الله والإنسانية ،

ويلقنونهم كيف تكون دروس الفدائية والاستبسال ؟ ويعلمونهم كيف تكون صناعة الأجداد والتاريخ ؟ . .

وأريد أن أهدس في أذن المتعجلين بالنصر دون الأخذ بأسبابه هذه الحقيقة :

ينبغي أن نتميز بين طبيعة جماعة التقت على الإسلام والدعوة إلى الله . . في مجتمع جاهلي يعتنق حكامه الفكر اللاديني ، ويلاحقون الدعاة ، ورجال الإصلاح والعمل الإسلامي ، وينكلون بهم . . وبين طبيعة مجتمع دان أبنائه للإسلام ، وأعطوا البيعة للقيادة ، وتربوا على العقيدة ومبادئ التربية الفاضلة ، وهم ينتظرون لحظة الحسم لإقامة عزة الإسلام ، ودولة الإسلام . .

فيمكن أن نقول : إن وضع الجماعة الإسلامية في مجتمع جاهلي كالجماعة المؤمنة التي كان يقودها النبي ﷺ في الفترة المكية . .

وإن طبيعة المجتمع الذي دان أبنائه للإسلام كالمجتمع الذي كان يقوده الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الفترة المدنية .

إذا اتضح هذا فينبغي أن نفرق بين مواجهة مجتمع لمجتمع آخر ، وبين مواجهة جماعة للمجتمع .

الجماعة مهما كانت قوية في العدد والعدة لا تستطيع أن تواجه مجتمعاً ضخماً بنظامه وحكامه وعتاده وجاهليته وعنفوانه . .

أما المجتمع إذا دان أفراده للإسلام ، وأعطى البيعة للأمير ، واستكمل إعداداً وعدداً وعدة . . فإنه يستطيع أن يغير نظاماً ، ويقم دولة ، ويحكم بشريعة الله . .

وتطبيقاً لهذا المبدأ :

فإن الرسول ﷺ لم يوافق بعض الأنصار في بيعة العقبة الثانية عندما استأذنه في أن يميلوا على أهل منى بأسياقهم ، وذلك بعد أن فهموا أن البيعة على حرب الأحمر والأسود .

جاء في كتاب « إمتاع الأسماع » ص : ٣٧ : [وكانت هذه البيعة على حرب الأحمر والأسود ، فلما تمت بيعتهم استأذنوا رسول الله ﷺ في أن يميلوا على أهل منى بأسياهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لم نؤمر بذلك » ، فرجعوا وعادوا إلى المدينة] .

ولو كان هدف الدعوة في المرحلة المكية مجرد استئصال رؤوس الكفر ، وصناديد الشرك . . لأمر رسول الله ﷺ أتباعه بقتلهم واستئصالهم . .

ولو كان الهدف من الدخول في الإسلام أن يقحم المسلم نفسه في ميدان الاستشهاد في سبيل الله لَعَمَلِ النبي ﷺ وأصحابه بهذا المبدأ عند البيعة وهم في طور الجماعة .

ولا شك أن استعمال القوة ، والجماعة في مرحلة الضعف ، وفي طور الإعداد . . لا ينسجم أبدًا مع الأهداف البعيدة في إقامة الدولة الإسلامية ، ونشر الإسلام في العالم ، واستئصال الطواغيت من الأرض . .

أما المرحلة المدنية :

فإنها تختلف كل الاختلاف عن المرحلة المكية ، ففي المرحلة المدنية انتشر الإسلام في كل بيت ، وكل حي ، وكل قبيلة . . فإذا استئينا طائفة المنافقين التي تشكل قلة قليلة بالنسبة لمجتمع المدينة العام ، فإن المدينة وما فيها من شبب وشباب ، ورجال ونساء ، وكبار وصغار . . قد أعطت بيعتها وولاءها للرسول ﷺ .

ومن هنا ندرك سرَّ مشروعية الإسلام للقتال في مجتمع المدينة ، وذلك حين أصبح للمسلمين دولة وكيان ، وقوة وسلطان . . بقيادة الرسول ﷺ .

ولا عجب أن نرى النبي ﷺ في هذه المرحلة - بعد أن أذن الله له بالجهاد - أن يستأصل شأفة الشرك والوثنية في الجزيرة العربية كلها ، وأن يجعل العبودية لله وحده .

وفعلًا قد سير النبي ﷺ جيشًا ضخماً كبيرًا إلى مكة - بعد أن نقضت قريش صلح الحديبية - وحين لاحت في الأفق طلائع الجيش الإسلامي استسلمت مكة

استسلامًا كاملاً للعهد الجديد ، وأعطت ولاءها وقيادها للنبي عليه الصلاة والسلام ، فأصبحت العبودية لله بعد أن كانت للآت والعزى ومناة وهبل ! ! .

وبعد فتح مكة امتدَّ ظلُّ الإسلام في تهامة ونجد والبحرين واليمن . . وما زال يزداد حتى عمَّ الجزيرة العربية وما حولها . .

من هنا نعلم أن ما فعله النبي ﷺ في الفترة المكية ، ثم ما فعله في المرحلة المدنية هو القدوة العملية للدعاة ، ولكلِّ من يعمل للإسلام . .

فلا يجوز للعاملين للإسلام - وهم في مرحلة الضعف والإعداد - أن يلجئوا إلى استخدام القوة حتى لا يتعرضوا لحرب الإبادة ، ومحنة التنكيل والاضطهاد . .

أما حين يقوى عودهم ، وتمتد قاعدتهم ، وتصل ثمرة سعيهم كل بيت ، وكل حيٍّ ، وكل فئة . . فيجوز لهم في هذه الحال أن يسيروا في طريق العمل المركز ليصلوا في النهاية إلى استئصال شأفة الكفر ، وإزالة حكم الطواغيت . .

وعلى الأغلب يكون النصر رائدهم إن أخلصوا النيَّة ، ووجدوا القيادة ، وأحكموا العدة ، ودخلوا المعركة باسم الإسلام . .

لا شك أن للواقع الذي يعيشه المسلمون تأثيرًا كبيرًا على اتزانهم ، ومرحلة دعوتهم ، وأحيانًا يصل ضغط الواقع ، وتحدي السلطة إلى درجة يفقد المسلم معها قدرته على ممارسة الخط المنهجي ، ومنطقيَّة مرحلة الدعوة ، وهنا يتساءل الشباب : إلى متى نبقى تحت ضغط السلطة ؟ إلى متى نبقى تحت وطأة الظلم والتحدّي ؟ إلى متى نسكت على مخططات أعداء الإسلام ؟ . . إلى متى ؟ . . إلى متى . . ؟ أليس هناك شيء غير الصبر والمصابرة ؟ أليس هناك عمل يستأصل هذا الواقع المرير ؟

وعندما يجيب المتحمسون المتعجلون من الشباب على هذه التساؤلات بطلب مواجهة المسلّحة ، والانتقام العاجل ولو على حساب الدعوة ، وسلامة مسيرتها حتى النصر ! ! . . تجتمع طائفة منهم بدون علم قيادتهم ، وتقرر استخدام القوة ، فيوقعون أنفسهم ودعوتهم وكلِّ من ينتمي إلى دعوة الإسلام . . في خطر داهم ، وشر مستطير ، وبلاءٍ مدمرٍ ! ! .

والقرآن الكريم يحذر شباب الدعوة كل التحذير من هذا المنطق المتهور ،

والتفكير الخطير ، القرآن يبين أن أكثر الناس حماسًا وتهورًا واستعجالًا هم الذين يصابون في النهاية بالخور والهلع واليأس والانزيمية .

يقول الشهيد « سيد قطب » رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ... ﴾^(١) يقول رحمه الله : [يعجب الله سبحانه من أمر هؤلاء الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال ويستعجلونه وهم في مكة يتلقون الأذى والاضطهاد والفتنة من المشركين ، حين لم يكن مأذونًا لهم بالقتال للحكمة التي يريدتها الله ، فلما أن جاء الوقت المناسب الذي قدره الله ، وتبيأت الظروف ، وكتب عليهم القتال ، إذا فريق منهم شديد الجزع ، شديد الفزع . . .]^(٢) .

ويقول : [إن أشد الناس حماسة واندفاعًا وتهورًا ، قد يكونون هم أشد الناس جزعًا وانهبًا وهزيمة عندما يجد الجدد وتقع الواقعة . . . وذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبًا ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف ، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار ، كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال ، قلة احتمال الضيق والأذى . . فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل ، دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار ، حتى إذا وجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدرُوا وأشق مما تصوّروا ، فكانوا أول الصف جزعًا ونكولًا وانهبًا ...]^(٣) .

وأحيانًا يبلغ تيار الحماس والاستعجال للنصر في الشباب إلى درجة أن ينساق المرابي والموجه والقائد والمفكر في هذا التيار ، ويفقد هؤلاء قدرتهم على السيطرة والقيادة واستلام الزمام . . وهذه مجازاة خطيرة ، واستجابة متهورة . . يدركون فيما بعد مغبتها ونتائجها ، ويعلمون جيدًا أضرارها وأخطارها . . وكم يعصون أيديهم ندمًا حين يرون الحالة المخزية المؤلمة التي أصابت الدعوة والدعاة ، ودمرت الرجال والشباب ! ! .

(١) سورة النساء آية : ٧٧ .

(٢) في ظلال القرآن (٧١٢/٢) .

(٣) نفس المصدر .

وإن القائد الذي آتاه الله بصيرة ومعرفة ، وانساق في تيار الانفعال المدمر ، وسار في طريق المجابهة المهلكة مسؤول أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام الأجيال . . عن نتائج الحماس والتعجل أكثر من المتحمسين والمتعجلين . . ولا سيما حين تكون النتيجة خراب مدن وقتل رجال ، وتيتم أطفال ، وترميل نساء ، وانتهاك أعراض ، وسلب أموال ، وتشريد أسر . . فالمسؤولية كبيرة ، والمحاسبة أليمة ، والحساب عسير . .

إن أعداء الإسلام يطمعون في أن تخرج الجماعة الإسلامية عن خطها ، فتحمس للجهاد ، وتستعجل النصر ، وتحاول قطف الثمرة قبل أوانها . . وتتخذ الحكومات اللادينية من ذلك ذريعة تنتهي بالبطش ، والتكيل بالعاملين للإسلام ، وسحقهم واستئصال دعوتهم . . عدا عن جانب النتائج السلبية التي يتركها التعجل على مصير الجماعة ، وتحقيق أهدافها ، وعلى تفشيل خطتها ومستقبلها !! .

إن ضغط الواقع ، وتحكم الطغاة ينبغي أن لا يسوق الحركة الإسلامية ، أو بعض المتعجلين بالنصر من شبابها إلى الحل الخطأ ، والنتيجة المرة ، ومهما طال انتظار الحل المركز ، والمراحل الإيجابية في الوصول إلى النصر . . فإنه في الحقيقة هو عين الصواب والحكمة . . وطول الزمن لا يفقد الحل الصحيح المركز أهميته وإيجابيته ، وقصر الزمن لا يعطي العمل المتهور المدمر صفة الحق والصواب . . إن الحل المركز ، والمراحل الإيجابية في منطقية العمل مع المعاناة والشدة وضغط الواقع ، والصبر والمصابرة على طريق الحنة ، والسير في مجالات التبليغ والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحشد الطاقات في كافة طبقات الشعب وفتاته . . هو من أهم ما ينبغي أن تحرص عليه الحركة الإسلامية في شتى البلاد ، وسائر الأقطار . . وهو الذي يوجد في الأمة القاعدة الشعبية الصلبة التي على يديها يقوم بناء الدولة الإسلامية وبجهودها يتحقق في الشعوب المسلمة عز الإسلام !! .

وحين يصل المسلمون إلى مرحلة القاعدة الشعبية الصلبة ، وتمتد حركتهم في الجموع الزاخرة من أبناء الأمة ، وتتغلغل في الشعوب حتى تصل كل بيت ، وكل حي ، وكل مؤسسة ، وكل فئة . . فعندئذ تأتي لحظة الحسم ، ومرحلة التنفيذ . . ولا شك أن الأمة الإسلامية في هذه المرحلة ستدفع الثمن غالبًا من

الضحايا والدماء والأشلاء . . بل في هذه المرحلة يجب الجهاد ، وتحلو الفدائية ،
ويطيب الاستشهاد . . ولكن سيجد المسلمون بعون الله تعالى ثمرة جهادهم
وفدائيتهم واستشهادهم ، ويفرحون كل الفرح بنصر الله ، وعز الإسلام . .

أما أن يخوض شباب الدعوة المارك بلا هدف ، ويتطلعوا إلى الشهادة بلا
غاية ، ويسقطوا في ميادين الشرف . بلا ثمن . . فهذا هو التهور بعينه ، وتصفية
المجاهدين بذاته ، وضرب الحركة الإسلامية من قواعدها ، واستئصال مسيرة
الدعوة الإسلامية من أرض الإسلام ، والتمكين لقوى البغي والعدوان
والضلال . . أن يعيشوا في الأرض فسادًا وظلمًا واستبدادًا . .

ألا فليتدبر شباب الإسلام مسيرتهم ، وليحكموا سفينتهم ، وليحدوا من
غُلواء تعجلهم وحماهم ، وليعرفوا كيف يبدؤون وكيف ينتهون ؟ والله سبحانه
لن يترهم أعمالهم ، ولن يضيع جهودهم ، ولن يجيب مسعاهم ، وهو معهم
إن أخلصوا النية ، وأحكموا المسيرة ، وأخذوا بالأسباب . .

والذي أخلص إليه بعدما تقدم :

أنا من أهم وسائل العمل المركز في مواجهة الحكم العلماني في بلاد الإسلام -
يا شباب - هو اتباع الخطوات التالية :

الأولى : - إيجاد القيادة الجماعية التي تجمع شتات المسلمين ، وتوحد
كلمتهم ، وتقوي جبهتهم . .

الثانية : - الانطلاقة في مضمار التوعية والدعوة التي عليها المعول في تبليغ
الدعوة الإسلامية ، ونشر رسالة الإسلام . .

الثالثة : - التركيز على التربية والإعداد الذي يعد من أهم مقومات النصر ،
وأعظم العدة في الحرب ، وأكبر المكيدة على العدو . .

الرابعة : - العمل على تكثير القاعدة الشعبية التي عليها أكبر الاعتماد في إقامة
الدولة الإسلامية ، واستئصال الطواغيت من الأرض . .

الخامسة : - التدبير المركز للوصول إلى النصر ، وهذه الخطوة هي من أكبر

العوامل في توقيت لحظة الحسم ، واستئصال شأفة الكفر ، وإقامة عزة الإسلام . .

فبغير هذه الخطوات الخمس في العمل الإيجابي المركز لا يمكن للعاملين للإسلام من دعائه وشبابه أن يواجهوا الحكم اللاديني في بلاد الإسلام ، بل من الصعوبة بمكان أن يُحرزوا لأمة الإسلام نصرًا ، ويحققوا للمسلمين عزًا ومجدًا . .

فيا شباب الإسلام : اسلكوا طريق العمل الإيجابي الصحيح ، وسيروا على هذه الخطوات الخمس العملية خطوة خطوة . . والله سبحانه معكم ، ولن يتركم أعمالكم .

* * *

وتلخيصًا لبحث « تحدي الحكومات العلمانية » أقول يا شباب :

البحث يشتمل على ست نقاط رئيسية :

الأولى : ماذا يقصد العلمانيون برفع شعار العلمانية ؟

ولقد رأيتم أن قصدهم من رفع هذا الشعار هو أن تسير الدولة ، ووسائل إعلامها ، وأنظمة تشريعها وقضائها على أسس قانونية مستوردة ، وعلى تقنيات بشرية وضعية . . دون أن يكون للشرعية الإسلامية على هذه القوانين والأنظمة . . أية هيمنة أو تأثير ؟ !! .

الثانية : - من أين كان منشأ العلمانية ؟

وكيف دخلت بلاد الإسلام ؟

أما بالنسبة لمنشئها فقد رأيتم أن من الأسباب الرئيسية في نشأة العلمانية في ديار الغرب هو تسلط الكنيسة في القرون الوسطى على الفكر البشري ، والسلطان السياسي ، والمجتمع الأوربي بلا قيود ولا حدود ، فكان من جرّاء هذا التسلط أن ثار المفكرون والمصلحون وأعلنوا شعار الإنجيل الذي يقول : « دعوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ، وهذا معناه تنحية الدين عن السياسة ، وفضله عن الدولة . . وعلى أثر ذلك انتشرت العلمانية في ديار الغرب ، وتسربت إلى ديار الإسلام بعد إلغاء الخلافة ، وتجزئة البلاد الإسلامية . .

وحين قارنًا بين النصرانية والإسلام في الدعوة إلى العلم ، وانطلاقة الفكر ، وطبيعة الديانتين ، ومهمة رجال الدين . . ذكرنا أن الإسلام يختلف كل الاختلاف عن النصرانية في دعوته للعلم ، واحترامه للعقل ، واتصافه بالخصائص ، وتحميله للمسؤولية .

الثالثة : - ما هي أهم وسائلها في تعميق عِلْمَنَةِ الدولة ؟

ولقد رأيتم أن الوسائل التي ينتهجها العلمانيون في تعميق عِلْمَنَةِ الدولة تتجه في أمور خمس :

في الدسائس اللادينية التي ييشونها . .

في إخماد الحركات الإسلامية الواعية التي يحاربونها . .

في القوانين الوضعية المستوردة التي يفرضونها . .

في مناهج التعليم اللادينية التي يطبقونها . .

في وسائل الإعلام اللاأخلاقية التي يستخرونها . .

ولا شك أن كل واحدة من هذه الوسائل تكفي لتضليل أمة ، وانحراف جيل . . فكيف إذا انتهجوها بجملتها ، وأخذوا بجميع وسائلها . . فإن الانحراف أكثر ، والتضليل أعظم ؟ ! ! .

الرابعة : - ما هي أهم آثارها على المجتمعات الإسلامية ؟

لقد رأيتم أن آثار العلمانية على المجتمعات الإسلامية - بعد إلغاء الخلافة - كثيرة ومتنوعة في شتى المجالات . . في الحكم ، في السياسة ، في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . . في وسائل الإعلام ، في مناهج التعليم ، في التنظيمات النسائية والعمالية والطلابية . .

فكان من جراء هذه الآثار والتأثيرات . . أن انقلبت الموازين ، وتغيرت المفاهيم ، وفسدت التصورات في كثير من المجتمعات الإسلامية ، فأصبح المسلم يرى الانحراف في العقيدة ، والانحلال في الأخلاق ، والانفلات من الدين ، بل أصبح يرى التيارات اللادينية التي تناهض الإسلام ، والمبادئ الضالة المستوردة

التي تتحدّى الشريعة ، والفكر الإباضي الذي يحارب القيم والأخلاق !! .

الخامسة : - لماذا يتبناها الحكام في بلاد الإسلام ؟

ولقد رأيتم أن من أهم البواعث والأسباب التي دفعت العلمانيين إلى أن يتبنوا الحكم اللاديني في البلاد التي يحكمونها ، ويفرضون سيطرتهم عليها تتصل بثلاثة أسباب رئيسية :

فساد تصوّره من الإسلام .

تأثرهم بالفكر اللاديني .

عمالتهم الظاهرة أو المبطّنة للأجنبي .

ففساد تصوّره من الإسلام حملوا في نفوسهم روح الكراهية له ، والحقد عليه ، وحكموا عليه بالجمود والتأخر . .

وبتأثرهم بالفكر اللاديني انخدعوا بالمبادئ الوافدة المستوردة ، وتفاعلوا مع الأنظمة الغربية أو الشرقية ، وتبنّوا محاربة الإسلام وأهله . .

وبعمالتهم للأجنبي ارتبطوا بمعجلته ، ونفّذوا مخططاته ، وحققوا له ما يريه . .

السادسة : - ما هي أهم الحلول الإيجابية في مواجهة الشباب لها ؟

لقد رأيتم - يا شباب - أن الحل الإيجابي الأمثل في مواجهة الشباب المسلم للحكم العلماني اللاديني يرتبط بأمرين هامين :

الأول : - إعطاء التصور الصحيح عن الإسلام .

الثاني : - سلوك العمل المحكم المركز .

أما إعطاء التصور الصحيح عن الإسلام فهو الذي يعطي لكل من يدعو إلى العلمانية أو من كان متأثراً بها . . القناعة الوجدانية والعقلية أو على الأقل إقامة الحجّة عليه : على أن الإسلام وما اشتمل عليه من أنظمة ومبادئ وتشريعات . . هو أقوى وأقدر من أي تشريع آخر حيوية وعطاءً وإيفاءً بحاجات البشرية في كل زمان ومكان . .

وسبق أن قرأت الحقائق الإسلامية التالية :

الإسلام دين ودولة .

خصائص الشريعة الإسلامية وعوامل نموّها وتجديدها .

الإسلام وحقوق غير المسلمين من أهل الذمة .

الشهادات الصادقة على عظمة الإسلام التشريعية ودفعه الحضاري .

التجربة التاريخية في تطبيقات الحكم الإسلامي خلال القرون .

مفاتيح الحضارة والتقدم العلمي في الشريعة الإسلامية .

فهذه الحقائق - كما مرّ - تعطي لكل من يبغى وجه الحق التصور الصحيح عن الإسلام ، وتردّ على الشبهات التي يثيرها الأعداء ، وتجعل المسلم الصادق يفتخر ويعتز بعظمة الإسلام التشريعية ، ومفاتيحه في الكون مفاتيح الحضارة . .
وأما سلوك العمل الحكيم المرکز فقد وجدتموه - يا شباب - كما سبق ذكره قبل قليل :

في تكوين القيادة الجماعية التي تجمع أمر المسلمين ، وتوحد كلمتهم ، وتطلق سبيلهم . .

وفي الانطلاقة الكبرى في مضمار التوعية التي إليها تتوجه الأنظار وتتهبّ النفوس إلى الاحتكام بشريعة الله .

وفي التركيز على التربية والإعداد الذي يعدّ من أكبر مقومات النصر والسيادة . .

وفي العمل على تكثير القاعدة الشعبية الصلبة التي عليها المعولّ في استئصال الطواغيت ، وإقامة الدولة الإسلامية . .

وفي التدبير المحكم المرکز الذي عليه العمدة في توقيت لحظة الحسم ، والوصول إلى النصر . .

فهذه الخطوات الخمس - يا شباب - تخرزون نصرًا ، وتبنون مجدًا ، وتقيمون

دولة . . وبدونها يكون عملكم كالذي يصرخ في وادٍ ، ويرقم على ماء ، وينفخ في رماد ، ويضرب بحديد بارد دون فائدة ولا جدوى !! .

فأحكموا - يا شباب - أمركم ، واجمعوا شتاتكم ، ووحّدوا قيادتكم ، وربّوا أنفسكم ، ووسّعوا قاعدتكم ، وانطلقوا في مضمار العمل الحكيم المركز . .
فالنصر - بإذن الله - حليفكم ، والعزة لأمتكم ، والحاكمة لإسلامكم ﴿ والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

* * *

الفصل الخامس

تحدّياتُ التّيسُّرِ مِنَ العَمَلِ الإسلاميّ

ومن التحدّيات الكبيرة التي تواجه شباب الإسلام اليوم تحدّي التيسُّر من أي عمل إسلامي جماعي يسوق إلى العزلة ، ويقود إلى النصر ؟ !! .
وهذه الظاهرة من اليأس والقنوط إذا استفحلت في أمة ، وترسّخت في نفسية الشباب ، ورجال الدعوة والإصلاح .. فإنها - في الحقيقة - القاصمة التي تقصم مسيرة العمل الإسلامي وتشله ، والحالقة التي تحلق التفاضل بالنصر وتقتله .. فلم يبق لإقامة العزة الإسلامية في النفوس رجاء ، ولم يعد لاستعادة الأجداد التاريخية في الأذهان أمل !! ..

ولكن ما هي الدوافع التي تدفع بعض الشباب إلى اليأس ؟ وما هي البواعث التي تسوق بعض العاملين للإسلام إلى القنوط ؟
الأول - تأمر الأعداء على الإسلام .

الثاني - تعدد الجماعات الإسلامية وتناحرها .

الثالث - فشل الحركات الجهادية في تحقيق النصر .

الرابع - الاحتجاج بالنصوص التي تدعو إلى العزلة .

وسوف نفصل - إن شاء الله - في كل سبب من هذه الأسباب ، ثم نقوم به من منظور الإسلام ، ثم نعرّج إلى الحل الإيجابي في تفادي هذا كلّ ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

الأول - تأمر الأعداء على الإسلام ؟

يقول الياثسون من العمل الإسلامي ، والقانطون من التغيير والوصول إلى

النصر :

ماذا نستطيع أن نفعل وأن نغيّر ، والحكومات اللادينية في بلاد الإسلام تتآمر

على أنظمة الإسلام ، وتلاحق الإسلاميين بالبطش والقتل ، والاعتقال والتنكيل ؟

ماذا نستطيع أن نفعل وأن نغيّر ، والقوى العالمية من شيوعية واشتراكية ، ورأسمالية ، وصهيونية ، وصليبية وتبشيرية .. تتآمر على بلاد الإسلام ، وتسيطر بنفوذها وأساليبها على مواقع المسلمين الاستراتيجية ، وتضع يدها على موادّ الحام ، وتصطنع من البلاد الإسلامية أسواقاً تجارية ، ومنافذ اقتصادية ، وقواعد عسكرية .. من أجل ماذا ؟

من أجل الترويج لبضائعها ومنتجاتها .. من أجل استغلال خيراتها لمصالحها وأهدافها .. من أجل استخدام وسائل الحرب من طائرات وصواريخ .. للفتك بأعدائها في قواعدها ..

ماذا نستطيع أن نفعل ونغيّر ، والعملاء في الداخل من شرقيين وغربيين ، واشتراكيين وماسونيين ، ومبشرين واستشراقيين . لا يفتؤون ليلاً ولا نهاراً ، ولا يهدؤون سراً ولا جهاراً في محاربة الإسلام وأهله ، والتشكيك بعلمائه ودعائه ، وإيغار صدور أبنائه على قيمه وأمجاده ، وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين فئاته وجماعته .. ؟.

ماذا نستطيع أن نفعل وأن نغيّر ، والدول الكبيرة في العالم هي التي أوجدت في قلب العروبة والإسلام دولة إسرائيل لتنفيذ مخططاتها التوسعية من الفرات إلى النيل ، وها هي ذي إسرائيل سائرة في التنفيذ يوماً بعد يوم حتى تصل في نهاية المطاف إلى تحقيق هدفها الكبير ؟

ماذا نستطيع أن نفعل وأن نغيّر ، والموجات الإباحية ، والتيارات اللادينية .. قد طغت على المجتمعات الإسلامية ، والغزو الفكري ، والانحلال الخلقي .. استشرى واستفحل حتى عمّ المدن والأرياف ، وشمل الأصقاع والأمصار ؟

ماذا نستطيع أن نفعل وأن نغيّر ، والحكومات اللادينية التي تفرض سيطرتها على كثير من بلاد الإسلام تطلق في المجتمعات الإسلامية في كل مكان جميع منظماتها العمالية والفلاحية ، وسائر اتحاداتها النسائية والطلابية .. من أجل أن تقوم بدورها في التحرير ، وتؤدي رسالتها في التغيير .. حتى نشأ جيل متفكّ من الدين ، منسلخ من الماضي ، منغمس في بؤرة الاختلاط والميوعة .. ؟

بل على العموم يقول الياثسون : لا فائدة من العمل الإسلامي ، ولا رجاء

من الإصلاح الاجتماعي ، ولا أمل أبدًا في التغيير السياسي .. وخير للمسلم في هذا الزمان - بزعم هؤلاء - أن يخرج من مجتمعه بيضع غنيمات يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر ، يفرّ بدينه من الفتن حتى يدركه الموت .

وكأن لسان الواحد من هؤلاء اليائسين يقول :
فلو كان سهمًا واحدًا لا تقيّته ولكنه سهم وثانٍ وثالث

نعم ما يتصوّره اليائسون عن واقع المجتمع الإسلامي ، وتآلب الأعداء عليه ، واستهدافهم له .. صحيح مئة في المئة ، ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر .. ولكن هل يفضي هذا التصور إلى اليأس ؟ وهل يجوز للمسلم أن يقنط مما يعانيه المسلمون اليوم ؟ وهل يصح للشباب أن يترك العمل الإسلامي ، وينصرف إلى العزلة ؟

أقول : لا يجوز للمسلمين شرعًا - وعلى الأخص الشباب منهم - أن يستحوذ عليهم اليأس ، ويتملكهم القنوط ، وينصرفوا إلى العزلة .. وذلك للأسباب التالية :

- لأن القرآن الكريم حرّم اليأس ، وندّد باليائسين .
- لأن التاريخ برهن على انتصارات الأمم في أدوار سقوطها .
- لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بشرّ أمة الإسلام بالعرز والسيادة ..

ونحن - إن شاء الله - حين نتكلّم عن الحلول الإيجابية في معالجة اليأس والقنوط فستحدث عن هذه الأسباب بالتفصيل .

* * *

الثاني - تعدد الجماعات الإسلامية وتناحرها :

يقول اليائسون من العمل الإسلامي ، والقانطون من التغيير السياسي وتحقيق النصر :

كيف يصل المسلمون إلى السيادة والنصر ، والجماعات الإسلامية في البلد الواحد كثيرة ومتعددة ، وأنظمتها في الوسائل والغايات متنوّعة ومختلفة ، وتناحرها فيما بينها واتهامها لبعضها قائم ومستفحل ؟

فجماعة ليس لها هدف ولا غاية سوى أن تربي أبناءها على تهذيب النفس ،
وتزكية القلب ، ومعالجة آفات النفوس .. دون أن تهتم بالتغيير السياسي ، ودون
أن تعتني بالتربية الجهادية !!.

وجماعة ليس لها هم ولا اهتمام سوى العلم والتعليم ، والثقافة والتثقيف .. دون
أن تهتم بأمر المسلمين ، ودون أن تربي من ينتمي إليها على الجرأة بالحق ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل لمستقبل الإسلام !!.

وجماعة لا تفهم من الإسلام سوى الانطلاق في الدعوة إلى الله في الآفاق ،
وأقاصي البلاد .. دون أن تحسب حساباً لهذا الواقع المرير الذي يكتنف بلاد
الإسلام ، ودون أن تركز على الإصلاح في بلدها ، ودون أن تكثرت بالمؤامرات
التي تهدد دينها ومستقبل أمتها !!..

وجماعة لا تعرف من العمل الإسلامي سوى الانطلاقة في غمار السياسة ،
ونقد الحكم والحكام .. دون أن يكون عندها أي اهتمام بالإصلاح الخلفي ،
والإعداد التربوي ، والتزكية النفسية .. ومن أخطر أقوالها : لا يجوز للمسلم أن
يزكي ويصلي ، ويطبق على نفسه الأحكام الشرعية حتى تقوم في أمة الإسلام
الخلافة الإسلامية !!!..

وجماعة تدعي لنفسها الاجتهاد ، وتتعصب لمذهبها ، وتجهل الأئمة الأعلام من
السلف فيما أتوا به من اجتهادات مذهبية ، ومدارس فقهية ، بل ترمي بالجهل
وعدم المعرفة والعلم .. كل من لم يأخذ برأيها ، ويتبع طرائق منهجها !!.

وجماعة متعصبة لرأيها في العقيدة ، ومتشددة بفكرها في قضايا التكفير ، فتتهم
بالكفر ، وترمي بالضلال .. كل من لم يأخذ بفكرها ، ويتبع سبيلها !!.

ويا ليت الأمر قاصر على تعدد هذه الجماعات ، والتباين في فكرها ومنهجها ..
بل الأمر يتعدى إلى أبلغ من ذلك وأخطر ، يتعدى حتى يصل الأمر إلى التناحر
والتباغض ، والتقاطع والتدابير ، والتراشق والالتهام .. كل حزب بما لديهم
فرحون !!..

إذن فكيف يكون بين هذه الجماعات تفاهم ووفاق ، وهذه هي حالهم ؟
وكيف يحققون فيما بينهم جبهة موحدة ضد الخطر اللاديني ، وهذا هو تفرقهم
ومتزقهم ؟

وكيف يصلون إلى السيادة والنصر ، ويقضون على حكم الطواغيت ، وهذا هو تقاطعهم وتدابيرهم ؟

أليس الله سبحانه يقول : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾^(١) وهم متنازعون فاشلون ، وقد ذهبت قوتهم بذهاب أخوتهم ووحدتهم وتعاونهم ؟
أليس الله جلّ جلاله يقول : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾^(٢) وهم متفرقون في دينهم ، منقسمون فيما بينهم إلى شيع وأحزاب ؟

أليس النبي صلوات الله وسلامه عليه يقول : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »^(٣) فأين التودد والتراحم والتعاطف فيما بينهم ؟ وأين التألم للألم المسلمين ، والاهتمام بهم ، والسهر على مصالحهم ؟ فما حال هذه الجماعات الإسلامية وحال دعائها إلا كحال من قال عنهم الشاعر :

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في الجامع وانقسام
ترى كلا له أمل وسعي وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام ولكن الجميع بلا إمام

بل على العموم يقول اليائسون : لا فائدة من العمل الإسلامي ، ولا رجاء من الإصلاح الاجتماعي ، ولا أمل من التغيير السياسي مادامت الجماعات الإسلامية في البلد الواحد متناحرة ، وما دام الدعاة الذين بأيديهم الإصلاح والتغيير مختلفين متخاصمين !!

نعم ما يتصوره اليائسون عن واقع الجماعات الإسلامية ، وتباين فكرها ومناهجها ، وأحوال تنابذها وتناحرها .. صحيح وواقع ، ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر .. ولكن هل يفرضي هذا التصور والواقع إلى اليأس ؟ وهل يجوز للمسلم أن يقنط مما وصلت إليه الجماعات الإسلامية اليوم ؟ وهل يصح للشباب المسلم أن ينصرفوا إلى العزلة ، ويتركوا العمل في سبيل الله ؟ .

(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٩ .

(٣) رواه الشيخان .

أقول : لا يجوز لهم شرعاً أن يملكهم يأس ، ويستحوذ عليهم قنوط ، وينصرفوا إلى العزلة .. وذلك للأسباب التالية :

أولاً - لأن الله سبحانه أمر بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق .. كما جاء في سورة آل عمران : ﴿ وَاِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، فلا يعقل أبداً أن يأمرنا الله بأمر ، وينهانا عن نهي . ويصعب في عالم الواقع تنفيذه وتحقيقه ، فلقد كانت القبائل قبل الإسلام تقتلها الفرقة ، وتمزقها العصبية .. فلما أن هداها الله إلى الإسلام ، تألفت فيما بينها ، وأصبحت عباد الله إخواناً .. تسمع وتطيع لقيادة واحدة ، وعلى يديها تحقق عز الإسلام .

ثانياً - لأن هناك عوامل أساسية للفرقة والخلاف .. فلا يمكن للجماعات الإسلامية أن تتوحد وتتفاهم إلا أن تزيل فيما بينها العوامل التي سببت الخلاف ، ودعت إلى الفرقة ..

فإذا كان العامل فكرياً ، فينبغي أن يسعى عقلاء كل جماعة إلى أن يلتقوا فيما بينهم ، ويتفاهموا على توحيد الفكر ، فإن لم يمكن التوحد فإن كان الاختلاف يدخل في دائرة الاجتهادات الفقهية فينبغي أن يعملوا فيما اتفقوا عليه ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه ؛ وإن كان الاختلاف يدخل في دائرة العقيدة فينبغي أن يحتكموا إلى كتاب الله جلّ جلاله ، وسنة رسوله ﷺ تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء : ٥٩) .

□ وإذا كان العامل منهجياً ، فينبغي أن يسعى عقلاء كل جماعة إلى أن يلتقوا فيما بينهم ، ويتفاهموا على تنسيق موحد في العمل الإسلامي ، ويكون من اتفاقية هذا التنسيق أن تعمل كل جماعة في حدود اختصاصها سواء كان علمياً أو تربوياً أو دعوياً أو سياسياً .. على أن يكون بين الجميع اتفاق ضمنى مؤداه عز الإسلام ، وسيادة المسلمين .

وإذا كان العامل نفسياً كأن يتصف الدعاة بالكبر أو الحسد أو العجب أو الغرور أو حب الرئاسة .. أو ببعضها حيناً ، أو بكلها أحياناً .. فمن المتعذر أن يكون بين الدعاة تقارب ، وبين الجماعات تفاهم .. اللهم إذا أصلح قادة هؤلاء الجماعات نفوسهم ، وتنازلوا عن عجبهم وغرورهم ، وتحسّسوا الأخطار

والمؤامرات التي تكتسح بلاد الإسلام .. قد يرجى أن يتم التفارب ، ويتحقق التفاهم .. وأقترح على العلماء ودعاة الإصلاح في كل بلد :

أن يؤدّوا دورهم ، ويضطلعوا بمسؤوليتهم .. على أن يكونوا أداة خير وإصلاح في إزالة أسباب الخلاف ، وأن يسعوا في جمع الجماعات الإسلامية تحت جبهة موحّدة ، بمظلّتها يلتقون ، وباسمها ينسّقون ، ومنها ينطلقون ويعملون ..

ولا شك أن إعطاءهم التصور الكامل عن واقع الأمة الإسلامية ، وسوء أوضاعها ، وتآلب قوى الكفر والإلحاد عليها .. عامل كبير في التآلف ، وشفاء القلوب ، والتفارب .. بين كل الجماعات التي تدعو إلى الله على هدًى وبصيرة ..

ثالثاً - لأن التاريخ الإسلامي برهن بشكل قاطع أنه كان يقع بين المسلمين في الماضي خلافات سياسية ومذهبية وفقهية .. فكان الشمل يلثم ، والقلوب تلتقي ، والخلاف يزول .. بمساعي أهل الخير والإصلاح .. فتعود وحدة المسلمين أقوى ما تكون من الارتباط والتماسك والتفاهم الأخوي الوثيق .. فما وقع بين الأوس والخزرج من فرقة وتناحر وقتال من أجل العصبيات قبل الإسلام وبعده ، وما حدث بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من تقاتل وفتنة بإيعاز من المنافق اليهودي عبد الله بن سبأ .. أكبر شاهد على إمكانية التفاهم ، وشفاء القلوب .. فالنبي ﷺ آلف ما بين الأوس والخزرج فأصبح الجميع تحت مظلة الاعتصام بحبل الله ، وأخوة الإسلام .. عباد الله إخواناً ، والصحابي الجليل الحسن بن علي رضي الله عنه تنازل عن الخلافة للصحابي الكريم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه درءاً للفتنة ، وحقناً للدماء .. فعادت الأمة الإسلامية في العهد الأموي قوية متماسكة تظلّلها الوحدة ، وتحركها العقيدة ، وتدفعها إلى الجهاد في سبيل الله ونشر الرسالة الإسلامية في العالمين .

من هذا كلّه يتبين أنه لا موجب لليأس ، ولا داعي للقنوط .. حين يرى اليائسون الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي متعدّدة متناحرة متفرقة .. ذلك لأن الإسلام أمر بالاعتصام بحبل الله ، ونهى عن التفرّق ؛ ولأنه من الإمكان أن يجتمع عقلاء كل جماعة في لقاء موحد ، ويزيلوا أسباب الخلاف فيما بينهم ؛ ولأنه وقع في التاريخ فيما بين المسلمين ما هو أدهى وأمر ، ومع ذلك عادت القلوب إلى صفائها ، والفرقة إلى وحدتها ، والأمة الإسلامية إلى قوتها وتماسكها ..

بمساعي أهل الخير والإصلاح ، وبجهود أصحاب الغيرة والإيمان !!..

الثالث - فشل الحركات الجهادية في تحقيق النصر :

يقول اليائسون من العمل الإسلامي ، والقائنون من تحقيق النصر لأمة الإسلام :

إن الحركات الجهادية التي اندلعت في بعض البلاد الإسلامية لمناوأة الحكم اللاديني فيها ، قد أظهرت عجزها ، وأثبتت فشلها ، واتخذها الحكام ذريعة على سحقها واستئصالها .. حتى لا يرتفع لها رأس ، ولا تقوم لها في المستقبل قائمة .. ونذكر على سبيل المثال : إخماد الحركة في سورية ، وإخمادها من قبل في مصر ، وإخمادها في الفلبين ، وبعض دول إفريقية .. حتى الحركة الأفغانية التي تعد من أعظم الحركات الجهادية ثباتاً وقوة وانطلاقاً .. فإنها حتى اليوم - وقد مضى على حركتها أكثر من ست سنوات - لم تحرز نصراً ، ولم تحقق سيادة .. إذن لا سبيل في نظر هؤلاء إلى التحرر من الحكم اللاديني ، وإقامة الدولة الإسلامية ، وهذه الحركات الجهادية التي انطلقت في عدّة أماكن من العالم الإسلامي قد أظهرت عجزها ، وأثبتت على صعيد العمل فشلها !!..

نعم ما يتصوره اليائسون عن واقع الحركات الجهادية ، وأحوال عجزها وارتجالها وفشلها .. في ظاهره ومجمله صحيح وواقع ، ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر .. ولكن هل يفضي هذا التصور إلى اليأس ؟ وهل يصح للمسلم أن يتخذ من ذلك ذريعة إلى القنوط ؟ وهل يجوز للشباب المسلم - بناءً على هذا الادعاء - أن ينصرفوا إلى العزلة ، ويتركوا العمل في سبيل الله ؟

أقول : لا يجوز لهم شرعاً أن يتملكهم يأس ، ويستحوذ عليهم قنوط ، وينصرفوا إلى العزلة ، ويتركوا العمل الإسلامي بحال من الأحوال ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً - يتوهم بعض الناس في مجرى الأحداث التي تُطَوَّق الحركة الجهادية ، وتمسك بخناقها .. أن الجهاد قد مات ، وأن العمل الإسلامي الحركي قد انتهى ولفظ أنفاسه الأخيرة .

هذا الحكم في الحقيقة وهم ، مبعثه اليأس ، وعدم التروّي في الحكم على الأشياء ، بل الدافع إليه الجهل المطبق بمسيرة التاريخ ، ومنطق الأحداث !!..

علمنا التاريخ أن الحركات الجهادية التي انطلقت خلال العصور أصابها ما أصابها من الهزائم ، كما أنها حققت الكثير والكثير من الانتصارات ، والحرب - كما يقولون - سجل ، يوم لك ، ويوم عليك ، وتلك الأيام نداؤها بين الناس .

نعم قد تتخذ الحركة الجهادية في الأمة من قبل الملاحدة والطغاة ، ولكن ليس معنى هذا أن الحركة ولّت الأدبار ، وانتهت وقبعت في جحور الخائثرين اليائسين .. قد يأتيها يوم بعد استكمالها للوسائل والأسباب تحقق العزة لأمتها ، والنصر لعقيديتها .. كما حدث تمامًا للحركة الجهادية في إيران ، فإنها في عفوان عهد الشاه ، وفي غطرسة كيده وبطشه همدت وانقطع خبرها ؛ فلما تبيأت لها الأسباب ، وواتها الظروف .. انطلقت من جديد ، واستأصلت الطواغيت ، وحققت النصر الأكبر !!..

ثانيا - صحيح أن الحركة الجهادية في أفغانستان قد طالت ، ومرّ على انطلاقها أكثر من ست سنوات ، ولكن العبرة للخواتيم ، وهاهو ذا الشعب الأفغاني المؤمن هناك قد صمّم وعزم على المضي في طريق الجهاد .. حتى يرى راية الإسلام قد ارتفعت ، والحكم الإلحادي الشيوعي قد اندثر وزال ..

ولولا تدخّل الجيش الروسي بعدده الكبير ، ومعدّاته الضخمة لانتصرت الحركة منذ زمن ، وأصبح الطغاة أثرًا بعد عين ؛ ومع كل هذا حين يوحد المجاهدون جبهتهم ، ويوحدوا كلمتهم ، ويمدّهم العالم الإسلامي بالمال والرجال وذوي الاختصاص .. فإن النصر حليفهم لا محالة بإذن الله ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ثالثًا - بعض الحركات الجهادية التي انطلقت في مجال التغيير السياسي في هذا العصر لم تأخذ في الواقع بمراحل العمل المحكم في الوصول إلى النصر ، وإنما استجرت إلى المعركة استجرارًا ، وظنت أنها بهذا الاستجرار قادرة على القضاء على الطواغيت ، وإقامة حكم الإسلام ، وقد خاب ظنها في الوصول إلى الهدف ، فلم تحرز نصرًا ، ولم تقم دولة ، ولم تبين مجدًا !!. بل بارتجالها وعفويتها وعدم

منهجيتها في العمل .. أوصلت البلاد والعباد إلى أسوأ النتائج ، وأقبح النهايات .

وهذا التصرف المرتجل غير المدروس إن دلّ على شيء إنما يدل على ضحالة في الرأي ، وسطحية في التفكير ، وارتجال في السير ، وانسياق مع العاطفة . بل على العموم يدل على عدم العمق في التخطيط ، والنظر إلى العواقب .

وسبق أن ذكرنا في بحث « أهم الحلول الإيجابية في مواجهة الحكم العلماني » أن السبيل إلى العمل المحكم في الوصول إلى النصر هو اتخاذ الخطوات التالية :

الأولى - إيجاد القيادة الجماعية التي ينضوي رايها جميع العاملين للإسلام .

الثانية - الانطلاق في مضمار التوعية التي توجه الأنظار إلى ضرورة الحكم بما أنزل الله .

الثالثة - التركيز على التربية والإعداد الذي يعدّ من أهم مقومات العزة والنصر .

الرابعة - العمل على تكثير القاعدة التي عليها المعوّل في استئصال الطواغيت وسيادة الشريعة .

الخامسة - توقيت لحظة الحسم التي عليها العمدة في إقامة دولة الإسلام .
ومن أراد المزيد في توضيح هذه الخطوات الآتفة الذكر فليرجع إلى بحث « الحلول الإيجابية في مواجهة الحكم العلماني » فإن فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

مما ذكرناه يتبين أنه لا داعي لليأس ، ولا موجب للقنوط فيما يراه اليائسون من فشل بعض الحركات الجهادية في بلاد الإسلام ، لأن الفشل - كما أئحنا - لم يكن سببه الجهاد ، وإنما كان سببه عدم الأخذ بمنهجية العمل ، والتعاطي بالأسباب ، ومنطق التخطيط للمستقبل .. والله سبحانه لا ينصر قومًا ضلّوا سبيل السنن ، وانحرفوا عن منهج الإسلام ..

الرابع - الاحتجاج بالنصوص التي تأمر بالعزلة :

يقول اليائسون من العمل الإسلامي ، والقانطون من إقامة العزة للمسلمين :

الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمر المسلم بالعزلة ، والاهتمام بنفسه وإصلاحها دون غيره .. وذلك عند فساد الزمان ، ووقوع الفتن ، وكثرة الهرج (أي القتل) ، والانتصار للرأي وللهوى ..

نعم ما يدعيه اليائسون أن الرسول ﷺ أمر المسلم بالعزلة عند فساد الزمان .. صحيح ، بل ثابت بالأحاديث الصحيحة ، ولكن ما معنى فساد الزمان ؟ وهل الزمن الذي نحن فيه ينطبق عليه موجبات العزلة ؟ وهل الاستشهاد بالنصوص التي يحتاج بها اليائسون هو استشهاد بمحله ؟

هذا ما أريد أن أبينه ، وأسلط الأضواء عليه ، ليعلم الناس أجمعون أن هذه النصوص التي يحتاج بها اليائسون لا تنهض حجة على العزلة والانطوائية والقعود عن العمل في سبيل الله في هذا الزمان الذي نحن فيه .

وها أنا ذا سوف أسوق أظهر هذه النصوص نصًّا نصًّا ، ثم أبين المراد منها ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون :

(أ) روي البخاري في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني !! .

فقلت يا رسول الله ، إننا كنا في جاهلية وشرِّ ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شرِّ ؟

قال : « نعم » قلت : وهل بعد ذلك الشرِّ من خير ؟ قال : « نعم ! وفيه دخن » قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر !! » .

فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شرِّ ؟ قال : « نعم ! دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا !! ..

قال : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ! » .

قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام !! .. ؟.

قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » . حجة اليائسين من هذا الحديث : « فاعتزل تلك الفرق كلها ... ».

أقول : هذا النص لا يصلح دليلاً على العزلة في هذا الزمان ، ذلك لأن للمسلمين جماعة وإماماً ، ففي البلاد التي يعمل بها في شريعة الله فالأمر واضح .. أما في البلاد الإسلامية التي لا يُعمل بها في شريعة الله .. فإنه يوجد فيها جماعة لها تنظيماتها ، وقياداتها ، وهذه القيادات لها إمامها ، وهذه الجماعة منتشرة في كل بلد من بلاد الإسلام ، وهي لا تفتأ في مطالباتها الحكومات على تطبيق الشريعة ، والحكم بما أنزل الله ، وهي تقوى وتزداد يوماً بعد يوم ، فعلى كل مسلم أن يلتزم ، ويتنظم فيها ، ويعطيها ولاعها .. حتى تحقق في المستقبل للمسلمين عزاً ، وتقيم لهم دولة ، وتعيد لهم أمجادهم الماضية ..

ولا يمنع من وجود هذه الجماعة الكبيرة القوية الممتدة في العالم العربي والإسلامي هنا وهناك ..

لا يمنع من وجودها وجود جماعات أخرى لها اختصاصاتها العلمية والدعوية والتربوية ..

ولا سيما إذا كان بينها وبين الجماعة الإسلامية الكبرى تعاون وتفاهم وتنسيق ..

وحين قال عليه الصلاة والسلام لحذيفة : « فاعتزل تلك الفرق كلها .. » فإن هذا الأمر يدخل فيه مفهومان :

الأول - الاعتزال المؤقت ، وذلك حين يوجد المسلم في بيئة لا يوجد فيها جماعة مسلمة ولا أمير لها كأن يوجد في بلد شيعوي ، كل أهلها شيعيون وملحدون ، ففي هذه الحال يعتزل إلى أن توجد الجماعة المسلمة التي ينضم إليها ، ويعمل معها ، ويجاهد اللادينيين تحت مظلتها .

الثاني - الاعتزال الدائم ، وذلك حين يأتي على المسلم زمان تعددت فيه الفرق الضالّة ، وتشعبت بين أهل الأهواء الزائغة ، وأصبح لا يوجد في الأرض

من يقول : الله ، الله .. ، وتعذرت الهداية والإصلاح ، واندثرت القيم والأخلاق ، ومات المصلحون والدعاة .. ففي هذه الحال يعتزل الفرق كلها ، ولو أن يعصّ بأصل شجرة حتى يدركه الموت وهو على ذلك .

فحال المسلمين اليوم لا ينطبق عليه مفهوم العزلة المؤقتة ، ولا مفهوم العزلة الدائمة ، ذلك لأنهم كثرة ، يؤدون الشعائر بحرية ، ويلتزمون الإسلام بصفاتهم الشخصية ، ولهم في كل بلد جماعة وقيادة ، وعندهم المقدرة والطاقة أن ينهضوا بالإسلام من جديد ، وأن تكون لهم عزة وسيادة وكيان ، وإذا قصرُوا في هذا وتواكلوا .. فإن الله سبحانه مسائلهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ .

فهذا النص لا ينهض دليلاً على العزلة ، وترك العمل الإسلامي ، والعودة عن إقامة العزلة للمسلمين ألا فليفهم الياثسون المعوقون ذلك !! .

ب - روي أبو دواد والترمذي عن أبي أمية قال : قلت يا أبا ثعلبة ، كيف تقول في هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ ^(١) .

فقال : أما - والله - لقد سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « ائتمروا بالمعروف ، واتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شعاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه .. فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام !! . فإن من ورائكم أياماً ، الصابر فيهنّ كالقابض على الجمر ، للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم ! » .

حجة الياثسين من هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : « .. فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام » .

أقول : هذا النص لا يصلح دليلاً على أن يعتزل المسلم العمل الإسلامي اعتزلاً نهائياً ، ويقع في جحور القاعدين الياثسين ، وذلك للأمر التالية :

١ - الأصل في المسلم أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر .. كما يدل عليه

(١) المائدة : آية : ١٠٥

صدر الحديث المذكور : « اتتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر » ، وهذا معناه أن يقوم المسلم بوظيفته الاجتماعية في حراسة الرأي العام ، وإصلاح مفاصل المجتمع ، والقيام بمسؤولية الدعوة والإصلاح .

٢ - سمعت من مشايخنا أن المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام : « فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام » أن المسلم إذا رأى في نفسه ، ونفس غيره من أبناء المجتمع شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة^(١) ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه .. فعليه أن يصلح نفسه من هذه الآفات النفسية ، والأمراض الخلقية .. حتى إذا صلحت واستقامت .. قام بإصلاح غيره ، وهداية مجتمعه ، وقام بمهمته في حراسة الرأي العام .. لأن فاقد الشيء لا يعطيه أبداً ، والحوض لا يفيض على غيره إلا إذا امتلأ بالماء !! ولا يمكن أن تفهم الفقرة من هذا الحديث إلا ما فهمه مشايخنا ، وإن لا .. كانت فقرات الحديث متناقضة مع بعضها ، وهذا مستحيل في حديث رسول الله !!

٣ - الحديث المذكور يحض في عجزه على الصبر والمصابرة ، ومواصلة العمل في أيام المحن ، وذلك في كلمات الرسول «ص» التالية : « فإن من ورائكم أياماً^(٢) ، الصابر فيهن كالفابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » ؛ ولا يمكن تفسير هذه الفقرة من الحديث إلا بالصبر والمصابرة على طريق المحنة والابتلاء .. حتى يحظى المسلم بأجر خمسين رجلاً مثل عمل الصحابة رضي الله عنهم ، وهل كان عمل الصحابة غير الصبر على البلاء ، والجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ؟ فكم للعامل للإسلام من مثوية وأجر عندما يقوم بمسؤوليته في الدعوة والإصلاح عند فساد الزمان !!؟

٤ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقف مرة في الناس خطيباً ، ووضح لهم المقصود من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾^(٣) :

(١) دنيا مؤثرة : أي تفضيل الدنيا على الدين .

(٢) المقصود بالأيام أيام المحن والفتن .

(٣) المائة : ١٠٥ .

روى أبو داود عن أبي بكر رضي الله عنه قال : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم .. ﴾ ، وإنكم تضعونها في غير موضعها ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم ، ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » .
 فالناس فهموا من الآية - قبل توضيح أبي بكر رضي الله عنه لمرادها - عزلة المجتمع ، والكف عن هداية الناس .. فلا يضرهم ضلال الضالين ، وظلم الظالمين .. وقد صحح لهم هذا المفهوم الخاطيء حين بين لهم أن من مبادئ هذا الدين هو محاربة الظلم ، والأخذ على يد الظالم ، والقيام بالوظيفة الاجتماعية ، وحراسة الرأي العام !! .

فأصبح معنى الآية : يا أيها المؤمنون : أكرموا أنفسكم بالوحدة والتماسك ، وإصلاح النفس ، وتنقية الصف ، وجمع الكلمة ، والقيام بمسؤولية التبليغ والهداية ، ولأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومقاومة الظلم ، ومجابهة الظالمين .. لا يضركم بعد ذلك ضلال من ضل ، وتنكب عن جادة الحق ، وسار في طريق الجهل والتقليد الأعمى .. لقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

اتفق العلماء من السلف على أن المؤمن لا يكون مهتدياً إذا أصلح نفسه ولم يهتم بإصلاح غيره بأن يأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ، وأن ذلك فرض لا بد منه .. اللهم إلا عند آخر الزمان ، وقد تعذر الإصلاح ، واستحالت الهداية ، أو عند وجوده في بيئة ملحدة كافرة ، تتعقب الدعوة ، وتفتك بالمصلحين .. فإن فريضة الدعوة ، ووجوب الهداية تسقط عنه ، حتى لا يقع في التهلكة والله أعلم .

فما ذكرناه يتبين أن نص « فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام » لا ينهض دليلاً على سلوك طريق العزلة ، وترك العمل الإسلامي ، والقعود عن إقامة العزة للمسلمين .. ألا فليفهم اليائسون الموقنون ذلك !!؟ .

(ج) روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف⁽¹⁾ الجبال ، ومواضع القطر يفرّ بدينه من الفتن » .

(1) شعف الجبال : رؤوسها .

حجة اليائسين من هذا الحديث قوله ﷺ « يتبع بها شعف الجبال ،
ومواضع القطر يفرّ بدينه من الفتن » .

أقول : هذا النص لا ينهض دليلاً على سلوك المسلم طريق العزلة ، وقبعه في
جُحور القاعدين اليائسين .. وذلك للأمرين التاليين :

١ - المقصود « من الفتن » - كما قال شرّاح الحديث - من يفتن في دينه ،
ويجبر على الردة ، ففي هذا الحال يجوز للمسلم أن يخرج يبضع غنيمات يتبع بها
رؤوس الجبال ، ومواضع القطر .. يفرّ بدينه من الكفر ، كما لجأ أصحاب الكهف
إلى الكهف فراراً من الملك الكافر الطاغية الذي كان يرغب الناس على الكفر ،
ويجبرهم على الردّة .

٢ - هذه الحال من تفسير العلماء للفتن لا تنطبق على المسلمين اليوم بحال ،
باعتبارهم كثرة ، وباعتبارهم يؤدون الشعائر ، وباعتبارهم يمارسون حريتهم
الدينية ، ويطبقون الإسلام على أنفسهم وأولادهم وأهلهم ، وباعتبار أنه ثمة مجال
للتعاون والعمل الإسلامي فيما بينهم .. فلا يجوز لهم وهم في هذه الحال أن يفرّوا
إلى العزلة والانزواء ، وأن يتركوا العمل في سبيل الله .. لأن ما لا يتحقق الواجب
إلا به فهو واجب ..

لذا وجب على المسلمين اليوم - وهذه هي حالهم - أن يقيموا في بلادهم
حكم الله ، ويحققوا في أمتهم عزة الإسلام ..

فهذا النص إذن لا ينهض حجة على أن ينزوي المسلمون اليوم في عقر
دارهم ، وأن يقعدوا عن العمل في سبيل الله .. ألا فليفهم اليائسون المعوقون
ذلك !!!

ولست أدري !!

كيف يستييح المسلمون لأنفسهم القعود ، ودينهم حركة وجهاد وعمل في
سبيل الله ؟

كيف يستييحون لأنفسهم العزلة ، ودينهم أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ؟

كيف يستييحون لأنفسهم التواكل ، ودينهم تكليف مستمر للدعوة والتبليغ

والهداية ..؟

كيف يستيحيون لأنفسهم الانطوائية ، ودينهم صبر على البلاء واحتمال للأذى والاضطهاد ؟

كيف يستيحيون لأنفسهم الانزوائية ، ودينهم دين العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟

كيف يستيحيون لأنفسهم الجمود ، ودينهم دعوة إلى إزالة الظلم ومجابهة الطغاة الظالمين ؟

كيف يستيحيون لأنفسهم القنوط ، ودينهم سبيل إلى التفاؤل والعزة والنصر ؟

وعلى العموم كيف ينزرون ويقنطون ؟ وقد بين النبي ﷺ لأصحابه مرة وقد اشتد أذى قريش عليهم ، ومحاصرتها لهم .. فطلبوا منه أن يدعو الله لهم وينصرهم .. وقد انبرى عليه الصلاة والسلام للمضطهدين وذكر لهم هذه الحقيقة في سنة النصر : [قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه !! فما يصرفه ذلك عن دينه ، والله يمتن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون] (١) .

وروى القرطبي في تفسيره هذا الخبر : حينما شكى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر .. وغيرهم من ضعفاء المؤمنين إلى رسول الله ﷺ بما يلقونه من أذى المشركين واضطهادهم .. نزلت هذه الآية : ﴿ ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (٢) .

نزلت تبين لليائسين المعوقين أن الإسلام لا ينتصر إلا أن يمر المسلمون على مرحلة الابتلاء والأذى .. في مواجهتهم للكفر وأهله ، وصراعهم مع الباطل ودعائه !! .

(١) رواه البخاري .

(٢) العنكبوت : ١ - ٣ .

ولو أن العزلة الاجتماعية مشروعة في الإسلام لأمر النبي ﷺ أصحابه بها عندما اشتد عليهم الأذى والاضطهاد من قريش في الفترة المكية ، وذلك عندما كانوا يواجهون الجاهلية بتصوراتها الفاسدة ، ومعتقداتها الباطلة ، وأخلاقها الآثمة .. ولكن كان يأمرهم صلوات الله وسلامه عليه - كما سبق ذكره - بالصبر والمصابرة ، والتجلد والثبات .. إلى أن يشرع الله لهم الحرب ، ويأذن لهذه الأمة بالجهاد ..

ومما يدل على أن النبي ﷺ كان ينهى أصحابه عن العزلة والانزوائية هو ما رواه الترمذي والحاكم .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مرّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عُيُنة من ماء عَذْبَة فأعجبه ، فقال : لو اعتزلتُ الناس فأقمْتُ في هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله تعالى أفضل من صلواته في بيته سبعين عامًا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة (أي زمن ما بين الحلبتين) وجبت له الجنة ..

ومن تشريعاته ﷺ لأمة الإسلام أن جعل المخالطة للناس والصبر على أذاهم .. أكرم وأفضل من عزلتهم والنجاة من أذاهم .. فقد روى أحمد والترمذي بسند صحيح عنه ﷺ : « المسلم إذا كان مخالطاً للناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » .

ومما سنّه النبي ﷺ للجبل الإسلامي في كل زمان ومكان أن الابتلاء والاضطهاد في سبيل الإسلام هو سنة الأنبياء والمصلحين ، وطريقة الدعاة والعاملين .. فقد روى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم .. عن سعد بن أبي وقاص قال : قلنا : يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاءً ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يتلى الرجل علي حسب دينه ، فإن كان دينه صلبيًا اشتدّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » .

هل علم اليائسون المعوقون هذه الحقائق الإسلامية في وجوب العمل للإسلام ، والصبر على المحنة والابتلاء ، والاستمرار على تبليغ دعوة الله ، ونبذ العزلة والانطوائية ثم متابعة المسيرة لإعزاز دين الله ؟

إذا علموا ذلك فليعاهدوا الله على أن يسلكوا سبيل العمل الإسلامي بإيمان وعزم ومضاء .. عسى الله سبحانه أن يفتح بهم قلوبًا غلغًا ، وآذانًا صمًا ، وعيونًا عميًا .. وعسى أيضًا أن يحقق الله على أيديهم بناء الكيان السياسي ، ويشيد بهمهم صرح العز الإسلامي .. وما ذلك على الله بعزيز .

هذا التصور اليائس ناتج عن ماذا ؟

سبق أن تكلمنا في أول البحث أن البواعث التي تدفع بعض الشباب إلى اليأس تتصل بأربعة بواعث :

الأول - تأمر الأعداء على الإسلام .

الثاني - تعدد الجماعات .. وتناحرها .

الثالث - فشل أكثر الحركات الجهادية .

الرابع - الاحتجاج بالنصوص على العزلة .

وقد عدّنا دعاوى هؤلاء اليائسين وحججهم ، ثم رددنا عليها من منظور الإسلام ، حيث لم يبق أية شبهة ليائس ، ولا أيّ التباس لقانط ؟ !! .

وفي هذا البحث نتكلم عن نقاط أخرى ترتبط بالبحث السابق ، بل تتممه وتكمله ، وقد سميناه : « هذا التصور اليائس ناتج عن ماذا^(١) ؟ » .

أقول : ناتج عن ثلاثة أسباب :

أ - ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين :

يوم يفهم المسلمون اليائسون أن الإسلام دين القوة ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العلم الشامل ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ وقل رب زدني علمًا ﴾ (طه : ١١٤) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين الاستخلاف في الأرض ، لملك الإنسان

(١) هذا البحث اقتبسناه من مقدمة كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » ص ١٠ - ١٥ مع بعض التصرف .

زمامها ، ويستخرج دفتائها ، ويكتشف كل سرّ فيها .. وأن شعاره في ذلك : ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ (الأنعام : ١٦٥) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين الجهاد ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ (التوبة : ٤١) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين الوظيفة الاجتماعية المتمثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحراسة الرأي العام ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله .. ﴾ (المائدة : ٧١) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين الانتشار في الأرض ، والتمكين فيها ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً .. ﴾ (النور : ٥٥) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين الإزالة للطواغيت وإقامة الدين الإسلامي على الدين كله ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة^(١) ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ (الأنفال : ٣٩) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العزة لله وللرسول وللمؤمنين ، وأن شعاره في ذلك : ﴿ والله العزة وللرسول وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ (المنافقون : ٨) .

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العمل والإنتاج والسعي .. وأن شعاره في ذلك : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك : ١٥) .

(١) حتى لا تكون فتنة : يقول ابن عباس رضي الله عنه : الفتنة في الآية : الشرك ، فأصبح معنى الآية قاتلوا هؤلاء الطواغيت في الأرض حتى يزول الشرك والأديان الباطلة .. فلم يبق إلا الإسلام .

يوم يفهمون المسلمون عن دينهم كل هذا ، ويعرف الشباب طبيعة هذا الدين ، وخصائص هذا الإسلام .. فلا يتملكهم يأس ، ولا يستحوذ عليهم قنوط .. بل ينطلقون في مضمار الدعوة والإصلاح والبناء .. ليعودوا - كما كان سلفهم - أساتذة للدنيا ، وهداة للأمم ، ومنارات متلاثلة في ظلمات الحياة .. تستقى البشرية من علومهم ، وتنهل من معين معارفهم ، وتستضيء من إشعاع حضارتهم .. على مر العصور والأيام .

ب - نتائج عن حب الدنيا وكراهية الموت :

يوم يتحرّر المسلمون - وعلى رأسهم الدعاة الشباب - من حب الدنيا ، والركون إليها ، والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتها .. ويجعلون هداية الناس ، وإصلاح المجتمعات ، وإزالة الطواغيت ، وتحكيم شرع الله غاية الغايات ، ومنطلق العزائم والنيات ..

ويوم يتحرّرون من الجبن والخوف ، وكراهية الموت ، ويوقنون من قرارة نفوسهم أن الأرزاق بيد الله ، وأن الذي يضرّ هو الله والذي ينفع هو الله ، وأن ما يصيب المسلمين لم يكن ليخطئهم ، وأن ما يخطئهم لم يكن ليصيبهم ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوا أحدًا بشيء ، لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على أن يضرّوه بشيء ، لم يضرّوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ..

ويوم يتحرّرون من أسباب الضعف والوهن ، ويأخذون بمبدأ القوة والإعداد ، ويجرّؤون في كلمة الحق ، ويثبتون عند اللقاء ، ويتمنون الشهادة حين يدعو داعي الجهاد ..

ويوم يبلّغون رسالات الله ويحشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله ، ويرضون بالقضاء والقدر في كل ما يصيبهم في سبيل الله .

يوم يتحرّر المسلمون من كل هذا . ويسرون على طريق المحنة والجهاد والنصر غير هيابين ولا وجلين .. فالله سبحانه سوف ينصرهم ، ويمكّن لهم في الأرض ، ويبدّلهم من بعد خوف أمنا ، وذلة عزّا ، وتفرّق وحدة ، بل يعودون بتوفيق الله خير أمة للناس ..

ج - وناتج عن الجهل بالغاية التي من أجلها خلق الإنسان :

يوم يعرف المسلمون أنهم خلقوا في الحياة من أجل هدف سامٍ ، وغاية نبيلة ، هذه الغاية قررها الله عزّ وجلّ في كتابه المبين : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٧) .

ولكن ما هي هذه العبودية التي أمرنا الله بها ، ويريدها منا ؟ :

إنها الصلاة والنسك ، والحيا والممات ... لله ربّ العالمين .

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت ، وصراطه المستقيم .

إنها إعطاء الولاء الخالص لله ولرسوله وللمؤمنين .

إنها رفض المبادئ والتصوّرات التي لا تنبثق من شريعة الإسلام .

إنها حمل الأمانة التكليفية التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال .

إنها المهمة الكبرى في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق

الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

هذه هي الغاية التي من أجلها تُخلق المسلم في الحياة .. فحين تكون صلاة

المسلم ونسكه ، ومحياه ومماته لله رب العالمين يكون عبداً لله ، وحين يخضع

خضوعاً كاملاً لمنهج الله ، وشرعه الخالد يكون عبداً لله ؛ وحين يعطي الولاء

لله ولرسوله وللمؤمنين يكون عبداً لله ؛ وحين يحمل الأمانة التكليفية ، والرسالة

الإسلامية إلى الناس يكون عبداً لله ؛ وحين ينطلق في أرجاء الأرض ، ليُخرج

الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله .. يكون عبداً لله ..

فإن لم يقم المسلم في تحقيق هذه الغاية على وجهها الأكمل ، ولم يؤدّها خير

أداء .. فإنه يكون هملأً من سقط المتاع .. ويكون عبداً للهوى .. وعبداً

للتأغوت .. وعبداً لليأس والجمود والقنوط .. يسير في الحياة بلا غاية ، ويتخبّط

بلا هدى ، ويتعثّر بلا دليل .. قال جلّ جلاله : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ،

وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك

زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ (الأنعام : ١٢٢) .

إذن فما على الشباب إلا أن يتبصّروا طبيعة دينهم ..

ويتحرّروا من حب الدنيا وكراهية الموت ..

ويعرفوا الغاية التي من أجلها خلقوا ، وعلى أساسها وجدوا ..
حتى ينهضوا بالإسلام من جديد ، ويستعيدوا لأمة الإسلام مجدها الدائر ،
وعزتها المنيعه ، ووحدتها الشاملة ، وخلافتها الراشدة ، وكيانها الذي كان لا يغيب
عنه الشمس .. وما ذلك على الله بعزيز ..

اليأس والتفاؤل من وجهة نظر الإسلام :

حين تكلمنا عن الدافع الأول الذي يدفع اليائسين إلى اليأس من العمل
الإسلامي ، والتغيير السياسي .. ذكرنا أن ما يتصوره اليائسون عن واقع المجتمعات
الإسلامية ، وتآلب المتآمرين في الداخل والخارج عليها ، واستهدافهم لها ، وسلب
خيراتها ، وتمييع شبابها ، وقتل روح المقاومة والجهاد فيها .. صحيح في المئة مئة ،
ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر !! .

ولكن هل يفضي هذا الواقع المرير الذي يكتنف بلاد الإسلام إلى اليأس ؟
وهل يجوز للمسلم أن يقنط مما يعانیه المسلمون اليوم ؟ وهل يصح للشباب -
بعد الذي فصلناه - أن ينصرف إلى العزلة ؟

سبق أن ذكرت أنه لا يجوز للمسلمين شرعاً أن يستحوذ عليهم اليأس ،
وينصرفوا إلى العزلة .. وذلك للأمر التالية :

- ١ - لأن القرآن الكريم حرم اليأس ، وندد باليائسين .
- ٢ - لأن التاريخ يبرهن على انتصارات الأمم المغلوبة في أدوار سقوطها .
- ٣ - لأن النصوص الشرعية تؤكد إن الانتصار لهذا الدين قائم .

ووعدت حين أتكلم عن الحلول في معالجة الإسلام لليأس أن أفصل في هذه
الأمر الثلاث ، وها أنا ذا سوف أنفذ ما وعدت به ، والله المستعان وهو ولي
التوفيق .

لأن القرآن الكريم حرم اليأس وندد باليائسين :

وذلك للآيات القرآنية الصريحة الواضحة :

من هذه الآيات ما تعتبر اليأس قرين الكفر ، قال تعالى : ﴿ ولا تيأسوا من

روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴿ (يوسف : ٨٧) .

ومن هذه الآيات ما تعتبر اليأس قرين الضلال .. قال تعالى : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالّون ﴾ (الحجر : ٥٦) .

ومن هذه الآيات تنديد بالإنسان اليأس .. وتقييح لنفسه الخائفة ، وقلبه المهالغ .. قال تعالى : ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ (الروم : ٣٦) .

فمن هذه النصوص القرآنية يتبين أن اليأس يؤدّي إلى الكفر ، ويفضي إلى الضلال .. وعلى هذا فلا يجوز اليأس في دين الله ، وكتابه الخالد .. لأن اليأس في ذاته قاتل للرجال ، وهازم للأبطال ، ومثبّط للعزائم ، ومحطّم للآمال ، ومزلزل للشعوب .. فعلى الشباب أن يحذروا كل الحذر من وجهات النظر اليائسة المهلكة التي تقول : « انتهى كل شيء وعجزنا » ، « الزم حلس بيتك » ، « عليك بخويصة نفسك » ، « دع عنك أمر العامّة » ، « ليس في الجهاد والعمل الإسلامي أية فائدة ؟ » ...

إلى غير ذلك من هذه النظرات اليائسة .. والكلمات المثبّطة .. التي تصيب العمل الإسلامي في الصميم ، وتقضى على روح الدعوة ، والجهاد في سبيل الله .. لقد سمّى القرآن الكريم هذه الزمرة اليائسة الميئسة بالمعوقين المثبطين .. قال تعالى : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً * أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على يسيراً ﴾ (الأحزاب : ١٨ - ١٩) .

ومعنى الآية الكريمة :

﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ﴾ أي إن ربك - أيها الرسول - ليعلم حق العلم من يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ ، ويصدّونهم عن شهود الحرب معه نفاقاً منهم وتحذيراً عن الإسلام والجهاد .. ويعلم الذين يقولون لأصحابهم وخطائهم من أهل المدينة : تعالوا إلى مانحن فيه

من الظلال والثمار ، ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه شهداء ، فإننا نخاف عليكم الهلاك !!..

﴿ ولا يأتون البأس إلا قليلاً ﴾ أي ولا يأتون الحرب إلا زمنًا ، فقد كانوا لا يأتون المعسكر إلا ليراهم المؤمنون المخلصون ، فإذا غفلوا عنهم تسللوا لوادًا وعادوا إلى بيوتهم ومزارعهم ..

﴿ أشحّة عليكم ﴾ أي بخلاء عليكم بالنفقة والنصرة ، فهم لا يودون مساعدتكم لا بنفس ولا بمال ولا بمؤازرة ..

﴿ فإذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾ أي فإذا بدأ الخوف وذلك بكرّ الشجعان ، وقرهم في ميدان القتال رأيت هؤلاء المثبتين المنافقين ينظرون إليك وقد دارت أعينهم في رؤوسهم خوفًا وفرعًا كدوران عين الذي قرب من الموت ، وغشيتة سكراته ، فإنه إذ ذاك يذهب لبه ، ويشخص بصره ، فلا يتحرك له طرف ..

﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ﴾ أي فإذا كان الأمن تكلموا بكلام شديد أنهم أصحاب المقامات المشهودة في النجدة والشجاعة والمناصرة .. وهم في ذلك كاذبون !!.

قال قتادة : أما عند الغنيمة فأشحّ قوم وأسوؤه مقاسمة ، يقولون : أعطونا قد شهدنا معكم ، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلّه للحق !!.

﴿ أشحّة على الخير ﴾ أي هم بخلاء حريصون على الغنائم إذا ظفر بها المؤمنون ، لا يريدون أن يفوتهم شيء مما وصل إليهم ..

والخلاصة : أنهم حين البأس جبناء ، وحين الغنيمة أشحّاء حريصون ..

﴿ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴾ أي هؤلاء الذين بسطت أوصافهم لم يخلصوا في إيمانهم ولم يصدقوا الله ورسوله لكونهم أهل نفاق ، فأبطل الله أعمالهم ، وجعلها هباءً منثورًا ..

﴿ وكان ذلك على الله يسيرًا ﴾ أي وكان ذلك الإحباط هيئًا على الله لا يبالي به إذ هم قوم فعلوا ما يستوجبه ويستدعيه ، فاقتضت حكمته أن يعاملهم

بما يقتضيه عدله ، وتدل عليه حكمته^(١) .

فمما ذكرناه من تفسير الآية يتبين أن التيسيس والتشبيط من طبيعة النفاق ، وصفات المنافقين .. فالمسلم الصادق المخلص يربأ بنفسه عن أن يتصف بخصلة من خصائل الكفر والنفاق ، أو أن ينحدر في هوة التواكل والخذلان ..

وصفة القول :

إن اليأس في دين الله حرام شرعاً مادام يوجد في أرض الإسلام مسلمون يؤدّون الشعائر ، ويطبّقون على أنفسهم أحكام الإسلام ، وما دام أنه ثمة مجال للتعاون ، وتوحيد الجهود .. لكونهم قادرين مستطيعين إن أخلصوا النيّة ، وعقدوا العزم ، ولزموا الجماعة ، وساروا في طريق العمل المحكم المركز ، ومضوا في طريق الجهاد والعمل الإسلامي واثقين متفائلين ، غير هيايين ولا وجلين .. كما أنه لا يجوز للمسلم شرعاً أن يكثر من سواد هذه الطائفة اليائسة الميئسة التي تدلّل على هلاكها قبل كل شيء ، وليس على هلاك المسلمين ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من قال : هلك المسلمون ، فهو أهلكهم » .

ألا فليحذر شباب الإسلام من دعاة العزلة والانطوائية في هذا العصر ، ولينطلقوا في ميدان العمل والجهاد .. والله سبحانه يبيء لهم أسباب العز والنصر والسيادة ، ويكتب أعداءهم ويقهرهم ، ويأخذهم من حيث لم يحتسبوا .. وذلك على الله يسير ؟ ..

٢ - لأن التاريخ برهن على انتصارات الأمم المغلوبة على أعدائها :

أجل لقد برهن التاريخ على انتصارات الأمم المغلوبة على أعدائها ! ولا أريد أن أستقصي كل ما أصاب الأمم شرقاً وغرباً خلال العصور ، وإحرازها للنصر وهي ضعيفة مبليلة مفككة .. في أدوار السقوط ، لأن ذلك يطول ويطول .. وإنما أجتزئ ما أصاب المسلمين فقط عبر التاريخ من بليلة وضعف وفقد الكيان ، ثم ما أحرزوه من نصر وعزة وسيادة بعد الذي أصابهم ، وفرّق وحدتهم ، وأفقد قوتهم وكيانهم .. نسوق هذه الأمثلة للاعتبار وتقوية العزائم والهمم والروح

(١) قد اعتمدنا تفسير آية العواقين تفسير المراغي (١٤٣/٢١ - ١٤٥) مع بعض التصرف .

المعنوية .. في شباب الإسلام عسى أن ينهضوا باستعادة أمجادهم من جديد :

(أ) من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة في الطور الأول من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ففي هذه المرحلة عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونجم النفاق ، وارتد من ارتد من العرب ، وظهر مدعو النبوة ، وامتنع قوم عن أداء الزكاة ، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة ، وأصبح حال المسلمين كما يقول « عروة بن الزبير رضي الله عنه : « كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبهم ، وقلة عدوهم ، وكثرة عددهم » ، حتى وجد من المسلمين من قال لأبي بكر رضي الله عنه : « يا خليفة رسول الله : أغلق بابك ، والزم بيتك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » أي الموت .

ولكن أبا بكر رضي الله عنه لم يعتره اليأس ، ولم يتملكه القنوط .. وإنما واجه هذه الأحداث ، وهذه البليلة ، وهذه الفتن .. بإيمان راسخ ، وعزيمة ثابتة ، وتفائل عظيم ..

وقال على مسمع الدنيا قولته الخالدة : « أينقص الدين وأنا حي ؟ » .

وهو الذي قال لعمر رضي الله عنه حين جاءه يعاتبه على قتال مانعي الزكاة لكونهم يشهدون بلا إله إلا الله محمد رسول الله .. : [مه يا عمر ، رجوت نصرتك ، وجئتني بخذلانك ، أجبار في الجاهلية ، وخوَار في الإسلام ؟ ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل ، أم بشعرٍ يفترى ؟ هيهات ! هيهات ! .. مضى رسول الله ﷺ ، وانقطع الوحي ، فوالله لأجاهدُهم ما استمسك السيف في يدي ، فوالله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فوالله لو منعوني عقال بعير ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه] .

فقال عمر رضي الله عنه : « ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمتُ أنه الحق » !! .

وهو الذي أنفذ بعث جيش أسامة رضي الله عنه وقال للمعارضين : « والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننتُ أن السباع تحظفني لأنفذتُ بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنقضته ، ما كنتُ أحلّ عقداً عقده رسول الله ﷺ بيديه » .

وهو الذي حارب مدّعي النبوة والمرتدين .. وأعاد للمسلمين قوتهم ،
وللبائسين تفاؤهم ، وللخلافة هيبتها ..

وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان !!.

(ب) ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما استولى الصليبيون على كثير
من البلاد الإسلامية ، والمسجد الأقصى ما يقارب قرنًا من الزمان ، حتى ظن
الكثير من مسلمين وغير مسلمين أن لا أمل في انتصار المسلمين على الصليبيين ،
وأن لا رجاء في ردّ أرض فلسطين مع المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين ،
ولا سيما بعد أن فتكوا في الأنفس ، وذبحوا من المسلمين في يوم واحد أكثر
من سبعين ألفًا حتى أن الدماء سالت أنهارًا في شوارع القدس ، وقد بلغت حدّ
الركب !! .

من كان يظن أن هذه البلاد ستحرّر في يوم ما على يد البطل المغوار « صلاح
الدين » في معركة حطين الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة
والسيادة ما شرف التاريخ !!؟ .

وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان !! .

(ج) ومن كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب المغول والتتار العالم
الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، ونهبوا الأموال ، وداسوا القيم ، وفتكوا في
الأنفس والأعراض فتكًا ذريعًا .. حتى قيل : إن جبالاً شاخت ، وأهرامات عالية
أقامها « هولاءكو » من جماجم المسلمين !!؟ .

ومما قاله المؤرخ « ابن الأثير الجزري » في تصويره الأحداث : [لقد بقيتُ
عدة سنين معرضًا عن ذكر الحادثة استعظامًا لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه
رجالاً ، وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام
والمسلمين ؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمي لم تلدني !! . ويا
ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا !!...] .

من كان يظن أن بلاد الإسلام - بعد هذا - ستحرر في يوم ما على يد البطل
المقدام « قطز » في معركة « عين جالوت » الحاسمة .. ويصبح للمسلمين من المجد
والسيادة والعز .. ما فخرت به الأجيال !!؟ .

وهكذا يصنع عظماء الرجال ، وأقوياء الإيمان ..

يقول الداعية الكبير سماحة « أبو الحسن الندوي » في كتابه « المسلمون وفلسطين » صفحة : ٦٧ - ٦٨ ما يلي : [إن هذه الكوارث الثلاث التي وقعت في عصور مختلفة وانتفاضة الأمة الإسلامية بعدها ونهوض العرب .. يلتقي على نقطة واحدة ، وهي وجود قيادة مؤمنة ، راسخة العقيدة ، قوية الإيمان بوعد الله ونصره ، وبصلاح الإسلام ، وبالقوة الكامنة فيه ، شديدة التمسك بتعاليم الإسلام ، وآدابه وأخلاقه ، مجردة عن كل أنانيّة ، وعصبية جاهلية .. يلتقي هؤلاء القادة على أنهم كلّهم كانوا يدعون بدعوة الإسلام ، ويقاثلون بسيف محمد عليه الصلاة والسلام ، واستحقوا بذلك نصر الله وتأييده الخارق للعادة ، وظهرت المعجزة .. فقد قال تعالى : ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ ، وقال : ﴿ وإن جنودنا لهم الغالبون ﴾ [ا هـ .

إن التفاؤل بالنصر هو مقدّمة النصر ، وإن القوة المعنويّة في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمان ومكان ، وهي التي تبرهن على أنه لا يجوز اليأس في تحقيق السيادة للمسلمين في دين الله ، وهي التي تُبقى لأمة الإسلام أصالتها في العزة والقوة والكيان .. مهما أصابها من كوارث وأحداث !!

والله سبحانه مع المتقين المخلصين المجاهدين .. الأمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله .. ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ (القصص : ٥) .

ألا فليعلم شباب الإسلام اليوم مسيرة النصر التاريخية ، وانتفاضة الأمة الإسلامية ، مهما أصاب المسلمين من ذلّة وهوان وكوارث .. خلال العصور ، وعبر التاريخ !!؟

٣ - لأن النصوص الشرعية تؤكد أن الانتصار لهذا الدين قائم :
لو استعرضنا النصوص التي تؤكد أن الانتصار لهذا الدين مستمر ، وأن العز
لهذا الإسلام قائم .. لرأيناها تتركز في أمرين :

الأول - نصوص تؤكد أن النصر مرتبط بنصر المسلمين لله .
الثاني - نصوص تبشر بالنصر والسيادة في مستقبل الأيام .
وإليكم - يا شباب - هذه النصوص :

أما النصوص التي تؤكد أن النصر مرتبط بنصر المسلمين لله فهي كثيرة :

من هذه الآيات : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (النور : ٥٥) .

فهذا النص يوضح أن الاستخلاف في الأرض مرهون بالإيمان والعمل الصالح ، والتزام منهج الله .

ومن هذه الآيات : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾ (الحج : ٤١) .

فهذا النص يبين أن التمكين في الأرض وتحقيق النصر مرهون بالنصر لله ، وذلك بالتزام منهجه سبحانه .

ومن هذه الآيات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد : ٧) .

فهذا النص يؤكد أن الانتصار في المعارك مرهون بنصر الله ، وذلك بالتزام دينه جلّ جلاله .

ومن هذه الآيات : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (الروم : ٤٧) .
الانتصار في هذه الآية مرهون بالإيمان الحق ، والإسلام الصدق ..

فهذه النصوص ونصوص كثيرة غيرها تؤكد فيما لا مجال للشك أن المسلمين إذا كانوا مطبقين شرع الله ، وملتزمين منهج الإسلام .. فإن الله سبحانه ينصرهم ، ويثبت أقدامهم ، ويمكّن لهم في الأرض ، ويستخلفهم فيها ، ويجعلهم أئمة ، ويجعلهم الوارثين .. والله سبحانه لا يخلف الميعاد .

وأما النصوص التي تبشّر بالسيادة والنصر في مستقبل الإسلام فهي كما يلي :

روى الشيخان وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ، وبلفظ آخر : ولا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة » ، وورد هذا الحديث بروايات أخرى غير هذه الألفاظ ..

فهذه الروايات بجملتها تدل دلالة قاطعة على وجود طائفة من المؤمنين ظاهرة على الحق حتى قيام الساعة ؛ وأن هذه الطائفة في صراع دائم مع الباطل ، وإذا خبا نور الحق يوماً فإنه لا بدّ من إشعاعه وانطلاقه مرة أخرى ، فمن ظلمات اليأس ينبثق نور الأمل ، ومن دياجير القنوط ييزغ فجر التفاؤل ، وإن جندنا لهم الغالبون !! ..

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين ، ولعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابهم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » ، قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : « بيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس .. » .

وروى البزار عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتُمل من تحت رأسي ، فظننتُ أنه مذهب به ، فأتبعته بصري ، فعمد إلى الشام ، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام » .

وروى أحمد والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « طوبى للشام فإنّ ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها » ، وفي رواية : « لم يظهر منافقوها على مؤمنها » .

من خلال هذه الأحاديث يتبيّن أن ساحة الجهاد في إقامة دولة الإسلام هي بلاد الشام ، وأكناف بيت المقدس .. وهذه بشارة من رسول الإسلام صلوات الله وسلامه أن الإسلام لا بدّ أن يحكم ، وأن فلسطين لا بدّ أن تتحرر ، وأن الدولة الإسلامية لا بدّ أن تعود .. وها هي ذي الظواهر من الصحوة الإسلامية تلوح بالأفق تبشّر بنصر قريب إن شاء الله .

وروى الدارمي وأحمد وابن أبي شيبه .. عن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسئل : أتى المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أم رومية؟^(١) ، فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج كتاباً ، فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أى المدينتين تفتح أولاً؟ فقال : مدينة هرقل « يعنى القسطنطينية » .

وقد تحقق الفتح الأول على يد الخليفة العثماني « محمد الفاتح » رحمه الله عام / ١٤٥٣ م ، أي بعد / ٨٠٠ سنة تقريباً من إخبار النبي ﷺ .

وسوف يتحقق الفتح الثاني بإذنه تعالى ، ويسألونك متى هو ؟ فقل عسى أن يكون قريباً !!

وهذا الحديث يدل على أن هذا الدين لا بدّ أن ينتصر ، وأن هذا الإسلام لا بدّ أن ينتشر ، وأن المسلمين سيخوضون لا محالة معارك مع أعدائهم على جبهات متعدّدة ، وأنهم سيخرجون منها مكّليين بأكاليل النصر ، والفتح المبين !! ..

وروى الإمام أحمد والبزار والطيالسي .. قال الهيثمي : « ورجاله رجال الصحيح » ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أول دينكم نبوة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جلّ جلاله ؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جلّ جلاله ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جلّ جلاله ، ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جلّ جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل بسنة النبي ﷺ ، ويلقى الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئاً إلا أخرجته » .

فالذي يبدو من الحديث أن الملك العاض قد انتهى بانتها السلطنة العثمانية ، والآن جاء دور الملك الجبري ، ومظهره تلك الانقلابات العسكرية الكثيرة التي توصل أصحابها إلى الحكم بدون رضى الأمة ، وغضباً عن إرادة الشعب ،

(١) القسطنطينية : هى « بيزنطة » أو « استنبول » حالياً ، و « رومية » : المقصود بها « روما » عاصمة إيطاليا اليوم .

دكتاتوريات بدأها « أتاتورك » في تركيا ، وتتابع في كل مكان ، ولكن دلائل اليقظة الإسلامية تبشّر بأن ذلك لن يطول أبداً ، وسيأتي اليوم الذي تكون فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والحياة العامة على سنن الإسلام ، ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله .

ولإني متفائل أن هذا كله سيتحقق غداً بعونه تعالى على أيدي الشباب ، وعزائم الرجال ، وجهاد الدعاة ، وبذل الأغنياء .. وإن غداً لناظره لقريب .

وروى مسلم وأحمد وأصحاب السنن إلا النسائي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله زوى لي الأرض (أي ضمّها وجمعها) فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها » ، وفي الحديث الذي رواه ابن حبان : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار بعزّ عزيز ، وبذلّ ذليل ، عزّا يعزّ الله به الإسلام ، وذلاً بذلّ به الكفر » .

فهذان الحدِيثان يؤكّدان حتمية رجوع الإسلام إلى مركز الريادة ، وموضع القيادة ، ومقام السيادة .. من شرق الدنيا إلى غربها ، لتتحقق إرادة الله التي اقتضاها لأمة الإسلام منذ الأزل !!.

وروى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، حتى يحتبىء اليهود من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود » .

قد أخبر الصادق المصدوق في هذا الحديث أن اليهود يبلغون في زمن من الأزمان الذروة في القوة والسيطرة ، وأنهم سيتجمعون في مكان واحد ، ثم يتسلط عليهم المسلمون ، ويضعون في رقابهم السيف ، ويناديهم كل شيء حتى الحجر والشجر !! ..

وها هم الآن يجتمعون في فلسطين ، وسيكون هلاكهم بعونه تعالى على أيدي المؤمنين الصادقين ، الرّاكعين السّاجدين ، الأمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله ..

هذه المعجزة النبوية كما تحققت أوائلها في سبل التجمّع الذي تحرص عليه

إسرائيل اليوم ، فسوف يتحقق أواخرها بإذنه تعالى في حرب قادمة مع إسرائيل ، يقود جحافلها فتية آمنوا برهبهم ، وشباب توجوا رؤوسهم بعزة الله ، ورجال استقاموا على شريعة الله .. وسوف يعلم العالم نبأ هذه الحرب بعد حين !! ..

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن تحدي التأسيس من العمل الإسلامي الذي غمر نفسيات بعض الشباب والدعاة ، ورجال الإصلاح في هذا العصر .. له دوافع وأسباب .. ونتج عن مشاعر وتصورات .. ولمعالجته والقضاء عليه وضع الإسلام له حلولاً وإجائيات .

ولقد رأيتم - يا شباب - أن من أهم أسباب اليأس ودوافعه :
تآمر الأعداء على الإسلام .

تعدد الجماعات الإسلامية وتناحرها .
فشل الحركات الجهادية في تحقيق النصر ..
الاحتجاج بالنصوص التي تدعو إلى العزلة .

وسبق أن فصلنا أن هذه الأسباب والدوافع لا تنهض حجة في ترك العمل الإسلامي ، والانصراف إلى العزلة والانطوائية ، والتزام أحلاس الزوايا والبيوت ..

ومن يستجيب لها ، ويحتج بها .. فيكون قد تسبب في دمار المسلمين وهلاكهم ، ومسؤوليته عند الله كبيرة وعظيمة .

ولقد رأيتم أيضاً - يا شباب - أن اليأس الذي يتملك بعض الناس ناتج عن
المخرف في المشاعر ، وفساد في التصورات :

ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين ..
وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت ..
وناتج عن الغاية التي من أجلها خلق المسلم ..

فالانحراف ناشئ إذن عما هو فكري كالجهد بطبيعة هذا الدين ، والإسلام يتطلب من المسلم أن يكون عالمًا بخصائص هذا الدين ، وطبيعة هذا الإسلام .
وناشئ عما هو نفسي كحب الدنيا ، وكراهية الموت . . والإسلام بتكوينه

التربوي يجرّ المسلم من عوامل الخوف والوجل ، ومن دوافع حبّ المال والإقبال على الدنيا ..

وناشيء عما هو تصوّري كالتصوّر الفاسد عن المهمة المكلف بأدائها المسلم ، والإسلام يهيب بالمسلم أن ينطلق في مجاهل الأرض لتبليغ رسالة الإسلام ، وإزالة الطواغيت .

ولقد رأيت كذلك - يا شباب - أن الإسلام بمبادئه الإصلاحية والتربوية عاجل أسباب اليأس ، وتصوّراته الفاسدة بالحلول الإيجابية التالية :

عاجله بالتحريم القاطع لينقطع دابره من النفوس .

وعاجله بأخذ العبر والدروس بالأحداث الجسام عبر التاريخ .

وعاجله بترسيخ روح التفاؤل في عزة الإسلام في مستقبل الأيام .

فإذا كان اليأس في دين الله حراماً ..

وإذا كان التاريخ أثبت في صفحاته الخالدة أن للأمم التوّاقة إلى المجد انتفاضات وانتصارات .

وإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه بشّر في إخباراته الصادقة أن أمة الإسلام مهما أصابها من أحداث جسام ، ونكبات كبار .. فسوف تستعيد قوتها المنيع ، ودولتها العتيقة ، وعزتها السامقة في العالمين ..

إذا كان الأمر كذلك فلماذا يتملك الناس اليأس ، ويستحوذ عليهم القنوط ؟ .

ولماذا يصيب المسلمين الخوف ، ويتناهم الجبن ؟ .

ولماذا لا يسعى شباب الإسلام إلى مجد مؤثّل ، وعزة منيعة ، وسيادة رائدة ؟

فعلى شباب الإسلام في كل مكان أن يجرّروا أنفسهم من اليأس ، وأن يطهروها من الخوف .. وأن يعتقدوا اعتقاداً جازماً أن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم .. ولو أن الأمة اجتمعت على أن ينفعوهم بشي لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم ، ولو اجتمعت على أنه يضروهم بشيء لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم ..

فأقبلوا يا شباب - بكمليتكم إلى العمل الإسلامي ، وانتظموا في سلك
الجماعات الإسلامية المخلصة ، وسيروا صادقين عازمين مخلصين على طريق البناء ،
والإصلاح ، والتغيير .. فإنكم منصورون ، وإن جند الله لهم الغالبون ، وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..

خاتمة

وبعد .. فيا شباب

لقد عرفتم من فصول هذا الكتاب أن التحديات التي تواجهونها هي أخطر ما يتصوره عقل مسلم في هذا العصر الذي استفحل سره ، واستشرى فساده .. ولقد أتينا عليها واحدة بعد واحدة بشيء من التفصيل ، لتبين لكم الأخطار المحدقة التي تجتاح شباب الإسلام، ونظام الإسلام ، وبلاد الإسلام ..

فإن لم تداركوا هذه الأخطار بالمعالجة الإسلامية التي سردناها ، والحلول الإيجابية التي عدّناها ، وبورقة العمل التي ذكرناها .. فإن المسلمين سيقون في مؤخرة الأمم ، وإن بلادهم ستبقى هدفا لكل مستعمر ، وغاية لكل مُغير ، ومرتعا لكل عميل !! ..

فالحلّ الإيجابي في مواجهتكم لتحديات الشيطان والنفس والهوى .. كما سبق لكم ذكره هو :
تعميق الإيمان بالله في نفوسكم ..
وإشغال الوقت بما ينفع عند فراغكم ..
واختيار البطانة الصالحة المؤمنة في مصادقتكم ومؤاخذتكم ..

وفي ذلك تكونون قد استقمتم على شريعة الله ، وتحسّستم بأحاسيس التقوي ، وخذلتم الشيطان ، وخالفتم النفس والهوى ، ووقفتم في المرتقى السامي في طمانينة قلب ، وارتياح نفس .. تُعطون من نفوسكم لمن حولكم قدوة ، تنظرون إلى الناس من علي دون استكبار ، تودّون لو ترفعون المخلدين إلى الأرض إلى هذا المستوى الذي رفعكم الله إليه ..

وهكذا - يا شباب - إذا استطعتم أن تتحرّروا من همزات الشياطين المُغوية ، وأن تغلبوا على نوازع النفس الأمارة ، وأن تنصروا على نزغات الهوى المتبع .. فتكونون فعلاً قد قابلتم هذه التحديات المهلكة .. بتحدّ إيجابي آخر هو أكثر فعالية ، وأقوى إيجابية ، وأعظم قوة وثباتاً .. وفي الوقت نفسه تكونون قد

أصلحتهم نفوسكم ، وهذبتم أخلاقكم ، وسرتم في طريق التقى والهدى والورع ..
ونظر الناس إليكم على أنكم أهل التقوى ، وأهل المغفرة ..

لأن الذي يدحر مكائد الشيطان - يا شباب - ويتنصر على نفسه ، ويستعلي على هواه .. فإنه - ولا شك - يتنصر على أعدائه ، ويستعلي على أهل الضلال ، ويدحر مكائد المتآمرين الطغاة .. بل الله سبحانه يكون دائماً معه يؤيده وينصره ، ويمكّن له في الأرض ، ويبهّئ له أسباب العزة والقوة ، ويبدّله من بعد خوف أمناً .. يعبده لا يشرك به شيئاً ..

والحلّ الإيجابي في مواجهتكم لتحديات الغزو الفكري كما سبق لكم ذكره
هو :

حصانة التوعية الثقافية : وذلك بالاطلاع الكامل على كل الردود التي ردّ فيها علماء المسلمين على كل ما أثاره دعاة الغزو الفكري من شبهات حول أنظمة الإسلام ، ونبيّ الإسلام ، وتاريخ الإسلام .. وبالدراسة الشاملة لخصائص الشريعة ، وأنها جمعت بين طياتها مبادئ الربانية ، والشمول ، والعالمية ، والتجدّد .. وحملت بين جوانحها مقومات الحضارة ، والنهوض ، والتقدم ، والعطاء ..

وحصانة العقيدة الربانية : وذلك بالقناعة الوجدانية والعقلية ، والاعتقاد القلبي والفكري .. على أن الإسلام هو دين الله الخالد الذي أنزله الله على قلب رسول الله ﷺ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنه الدين الذي أظهره الله على الدين كلّه ، وأن الله لم ينزله إلا ليحقّق لعباده مصالحهم الدنيوية والدنيوية ، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التي في أعناقهم ..

فبهاتين الحصانيتين المتينتين تستطيعون - يا شباب - أن تحصنوا عقيدتكم الإسلامية النقية الصافية من أن تتأثر بضلالات المبادئ ، وانحرافات الأفكار ..

وتستطيعون أيضاً أن تواجهوا مخططات الغزو الفكري في شتى أنواعها وأشكالها سواء كانت هذه المخططات استعمارية وتبشيرية ، أو كانت شيوعية واشتراكية ، أو كانت يهودية وماسونية ، أو كانت مذهبية وفكرية ..

وتستطيعون في الوقت نفسه حين تتحصّنون بالتوعية الثقافية أن تردّوا على الجهل بالعلم ، وعلى الشك باليقين ، وعلى الشبهة بالحجة الدامغة ، بل لا تتركون بالردّ العلمي ، والتحاور الموضوعي شبهة للمتبس ، ولا نقدًا لمعترض ، ولا تردّدًا لشاكٍ إن شاء الله .

ولا يكفي - يا شباب - الحصانة الثقافية ، والحصانة العقيدية في مواجهة الغزو الفكري في بلاد الإسلام - كما سبق ذكر ذلك - بل لا بدّ أن تتنظّموا في سلك الجماعات الإسلامية المخلصة ، وهي متوفّرة منتشرة والحمد لله في كل مكان .. ففي هذا الانتظام تنسّقون الجهود ، وترسمون الأهداف ، وتوجّهون الطاقات .. في نشر التوعية الإسلامية الشاملة ، والفكر الإسلامي الأصيل في صفوف الشيب والشباب ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار ، والعمال والموظفين .. عسى أن يعرف المسلمون حقائق دينهم ، ويشوبوا إلى شريعة ربّهم ، ويعودوا - كما كانوا - خير أمة أخرجت للناس ..

وهكذا - يا شباب - إذا حصّنتم نفوسكم ، ونفوس من تدعون بالتوعية الثقافية الشاملة ، وبالعقيدة الربّانية الراسخة .. وكذلك إذا نسّقتم جهودكم مع الجماعات الإسلامية المخلصة .. فتكونون قد قمتم بدوركم ، ونهضتم بمسؤولياتكم ، وأديتم مجاهدتين مخلصين رسالتكم ، وواجهتم الغزو الفكري بعزم وإيمان ومضاء .. في جميع تحرّكاتكم ونشاطاتكم ، ووصلتم بإذن الله إلى بناء الصرح الإسلامي الكبير في مجتمعاتكم وبلادكم ، والله سبحانه معكم ولن يتركم أعمالكم ..

والحل الإيجابي في مواجهتكم لتحديات الانحلال الخلقي في بلدكم الإسلامي كما سبق أن بيّنا ذلك هو :

- تعميق المراقبة لله .
- غض البصر عن المحرمات .
- الاستمرار في صيام النفل .
- الابتعاد عن المثريات الجنسية .
- ملء الفراغ بما ينفع .

اختيار الرفقة الصالحة .

الأخذ بالتعاليم الطيبة للتخفيف من حدة الغريزة .

وسبق أن ألقينا - يا شباب - في فصل « تحدي الانحلال الخلقي » أنه لا يجوز للشباب أن يقول : قد انصلحت حالي ، واستقامت أخلاقي .. لا يضرنني ما يجري من حولي إذا أنا اهتديت !! بل عليه أن يكون له دور كبير فعال في مواجهة التحديات الانحلالية التي تجتاح بلاد الإسلام .

وها أنا سأذكر لكم - يا شباب - باختصار الخطوط العريضة في المهمة التي ينبغي أن تقوموا بها في القضاء على ظاهرة الانحلال بعد أن فصلنا فيها كل التفصيل في فصل « تحدي الانحلال .. » ، أسوقها إليكم لترسيخها واستذكارها :

الإنظام في سلك الجماعات الإسلامية المخلصة المنتشرة في كل بلد من العالم الإسلامي ، لتكون انطلاقتكم في العمل أحكم ، وتحركاتكم في استئصال ظاهرة الانحلال .. أقوى ، ووصولكم إلى النتائج المرضية أفضل ..

إدراككم الغاية التي خلقتم من أجلها ألا وهي خروجكم للناس ، لتخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن متاهات الانحلال إلى رياض الفضيلة والأخلاق ، ومن ظلم الطواغيت إلى عدل الإسلام ..

تبصرتكم السادرين في مستنقعات الانحلال والفساد .. الأخطار الجسمية والخلقية والنفسية والاجتماعية .. التي تترتب على عملية الفاحشة ، والجري وراء الشهوة والجنس في ضوء ما أثبتته علماء النفس والطب والاجتماع ..

تحليكم في دعوتكم الناس إلى الخير بلين الجانب ، والرفق الكريم ، والأخلاق العالية .. ليكون تأثيركم في المنحرفين أبلغ ، واستجابة المائعين لدعوتكم أقوى ..

فإذا كانت هذه مهمتكم ورسالتكم في الحياة - يا شباب - فشمروا عن ساعد الجد والعمل ، وانفضوا عن كواهلكم غبار التواني والكسل .. لتقوموا بدوركم الفعال في مواجهة التحديات الانحلالية التي تجتاح أمتكم وبلادكم .. بخطوات دعوية مدروسة .. والله سبحانه مع العاملين الصادقين المخلصين ..

والحل الإيجابي في مواجهتكم لتحديات الحكومات العلمانية في بلادكم الإسلامية - كما سبق أن شرحنا بنوده ، وفصلنا فيه - قائم على أمرين هامين :

الأول - إعطاء التصور الصحيح عن الإسلام .

الثاني - سلوك العمل المحكم المركز .

أما إعطاؤكم التصور الصحيح عن الإسلام - يا شباب - فيقوم على إعطائكم كل من يدعو إلى العلمانية ، أو من كان متأثرًا بها .. القناعة الوجدانية والعقلية .. على أن الإسلام وما اشتمل عليه من أنظمة ومبادئ وتشريعات .. هو أقوى وأقدر من أى تشريع آخر حيوية وعطاءً وتجددًا وإيفاءً بحاجات البشرية في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأما سلوككم العمل المحكم المركز - يا شباب - فقد سبق أن عرفتم أنه مرتكز على الخطوات التالية :

مرتكز على القيادة الجماعية الموحدة .

ومرتكز على الانطلاقة الكبرى في مضمار الدعوة والتوعية .

ومرتكز على دعائم التربية والإعداد في إصلاح آفات النفوس ، والتربية

الجهادية ..

ومرتكز على تكثير القاعدة الشعبية الصلبة في مجتمعات المسلمين ..

ومرتكز على توقيت لحظة الحسم في الوصول إلى النصر ..

فبهذه الخطوات الرتيبة المركزة - يا شباب - تستطيعون بعونه تعالى أن تقفوا

بقوة وإيمان في مجابهة الحكم العلماني في بلاد الإسلام .. وتستطيعون في الوقت

نفسه أن تحرزوا للمسلمين نصرًا ، وأن تبنوا لهم مجددًا ، وأن تقيموا لهم دولة ،

وأن يكون لهم سيادة وعزة وكيان تحت الشمس ..

وبدون السير على هذه الخطوات الخمس - يا شباب - يكون عملكم كالذي

يصرخ في وادٍ ، ويرقم على ماء ، وينفخ في رماد .. بلا فائدة ولا جدوى !! ..

فأحكموا - يا شباب - أمركم ، واجمعوا شتاتكم ، ووحدوا قيادتكم ، وروّوا

على الإيمان والتقوى نفوسكم ، وانشروا في المسلمين قاعدتكم ، وانطلقوا صادقين

عازمين في مضمار العمل المحكم المركز الرتيب .. فالنصر - بإذن الله -

حليفكم ، والعزة لأمتكم ، والحاكمية المطلقة لإسلامكم .. وما ذلك على الله
بعزيز ..

والحلّ الإيجابي في مواجهتكم لتحديات التيسيس من العمل الإسلامي في
صفوف بعض الشباب والعاملين للإسلام - كم ما سبق أن أوضحنا - هو هذه
النقاط التالية :

التعرف على طبيعة هذا الدين وخصائصه ..
التحرّر من حبّ الدنيا وكرهية الموت ..
الإهابة بالمسلم بإدراكه الغاية التي خلق من أجلها ..
وسبق أن عرفتم - يا شباب - أن العلاج الأساسي لاقتلاع جذور اليأس من
النفوس هو :

أن يعلم المسلم أن الإسلام حرّم اليأس ، وندّد باليائسين ..
أن يعرف أن التاريخ برهن على انتصارات الأمم المغلوبة بعد سقوطها ..
أن يوقن أن النبي صلوات الله وسلامه عليه بشرّ أمة الإسلام بالعزّ والسيادة
في مستقبل الأيام إلى قيام الساعة ..

فإذا كان الإسلام عاجل اليأس بهذه المفاهيم والتصورات ، واستأصل دابره بهذه
الحلول والخطوات .. فلماذا يتملّك الناس اليأس ، ويستحوذ عليهم القنوط ؟
ولماذا يصيب المسلمين الخوف ، ويتأبّهم الجبن ؟

ولماذا لا يسعى شباب الإسلام إلى مجد مؤثّل ، وسيادة رائدة ؟. وعليكم أن
تعلموا - يا شباب - أن عقيدة القضاء والقدر حين تتعمّق في قلوبكم ، وتنطبع
في نفوسكم ، وترسّخ في أذهانكم .. فإنها تحررّكم من الفرع ، وتطهّركم من
الهلع ، وتنجيكم من الخور .. وتدفعكم إلى العمل الإسلامي لإقامة صرح الإسلام
الكبير بعزّة إيمان ، وثبات يقين .. وتهيب بكم أن تتابعوا المسيرة الدعوية على
طريق البناء والإصلاح والتغيير برباطة جأش ، وبارقة أمل .. والله دائماً مع
العاملين المخلصين ، المجاهدين المتفائلين .. الذين لا يتأخرون إذا سار الركب ،
ولا يفرون إذا التقت القنا بالقنا ، ولا ييأسون إذا هبت رياح الأعاصير والزلازل ،
ولا يتغيّرون إذا لاحت لهم في الأفق بوارق الفتنة والمغريات ..!!..

بعد أن تولدت لديكم - يا شباب - القناعات الوجدانية والعقلية في مواجهة هذه التحديات التي تجتاح أمتكم ، وتزلزل أركان مجتمعاتكم الإسلامية في كل مكان .. فما عليكم إلا أن تكسروا أطواقها ، وتهدموا جسورها .. لتصلوا بإذن الله إلى الغاية المرجوة ، والهدف المنشود ..

فاكسروا - يا شباب - طوق تحديات النفس والشيطان والهوي .. باستعلاء الإيمان ، وحساسية التقوى ، والاستقامة على منهج الله ..

واكسروا طوق تحديات الغزو الفكري بحصانة العقيدة ، وفضح المخطط ، وثقافة الإسلام .

واكسروا طوق تحديات الانحلال الخلقي باتباع منهج الإسلام في العفة والتسامي ، وتبصرة المنحرفين عن أخطار الفواحش ، والجري وراء الميوعة والشهوات ، ومخططات أعداء الإسلام ..

واكسروا طوق تحديات الحكومات العلمانية بإعطاء التصور الصحيح عن الإسلام ، وسلوك العمل المحكم المركز ، ومواصلة الجهاد الدائب الصبور ..

واكسروا طوق تحديات التيهيس من العمل الإسلامي ببوارق الأمل ، وبشائر النصر ، واستشعار مسؤولية المسلم في حمل رسالة الإسلام ..

فإذا فعلتم ذلك فاعلموا أنكم - بعون الله - منصورون ، منصورون ، منصورون .. وإن جند الله لهم الغالبون .. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

د . عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدراسات الإسلامية

في جامعة الملك عبد العزيز بجدة

المفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٥
توطئة وتمهيد.....	١١

الفصل الأول

(تحديات الشيطان والنفس والهوى).....	١٧
أ - وسوسة الشيطان المغوية.....	١٨
- ما السبيل للتخلص من وسوسة الشيطان ؟.....	١٨
ب - إيجاء النفس الأتارة.....	٢١
- ما هي الحلول الإيجابية للتخلص من النفس ؟.....	٢٤
ج - نزعات الهوى المتبع.....	٢٦
- ما هي الحلول الإيجابية للتخلص من الهوى ؟.....	٢٧

الفصل الثاني

(تحديات الغزو الفكري).....	٣١
١ - المدخل إلى بحث الغزو الفكري.....	٣١
٢ - لماذا يغزون بلاد الإسلام.....	٣٢
٣ - هل فكر الأعداء في أسلوب آخر ؟.....	٣٥
٤ - المخططات الأربع :.....	٤٠
* مخططات الشيوعية	٤١
* مخططات الصليبية :.....	٤٥
١ - القضاء على الحكم الإسلامي.....	٤٦
٢ - القضاء على القرآن.....	٤٦
٣ - تدمير الفكر الإسلامي.....	٤٧
٤ - القضاء على وحدة المسلمين.....	٤٨
٥ - إفساد المرأة المسلمة.....	٥٠
• أساليب الصليبية ودعواتها.....	٥١
• وسائل الصليبية في محاربة الإسلام.....	٥٣
* مخططات اليهودية.....	٥٨
• ما هي الماسونية وما أهدافها ؟.....	٦٠
• أم مخططات اليهود الماسونية.....	٦١

- * مخططات العملاء في الداخل..... ٦٦
- من هم العملاء؟ ٦٦
- أساليب العملاء؟ ٦٨
- وبعد فيا شباب الإسلام..... ٧١
- ما هو الحل الإيجابي في مناهضة المخططات؟ ٧١

الفصل الثالث

- (تحديات الانحلال الخلقي) ٧٧
- أما ما هو عرفي..... ٧٨
- وأما ما هو نفسي..... ٨١
- وأما ما هو أجنبي..... ٨٣
- وأما ما هو إعلامي..... ٨٦
- وأما ما هو قانوني..... ٩٠
- الضوابط كما رسمها الإسلام..... ٩٥
- دور الشباب في العمل والمواجهة :..... ١٠١
- أولاً - الانتظام في صف الجماعة..... ١٠١
- ثانياً - الانطلاق في مضار التبليغ والتوعية..... ١٠٢
- ثالثاً - دعم مادة الدعوة بالحجة والبرهان..... ١٠٤
- رابعاً - التحلي بالأخلاق ولين الجانب..... ١٠٩

الفصل الرابع

- (تحديات الحكومة العلمانية) ١١٣
- ١ - ماذا يقصد العلمانيون برفع شعار العلمانية؟ ١١٤
- ٢ - كيف نشأت العلمانية وكيف دخلت بلاد الإسلام؟ ١١٥
- أما كيف نشأت العلمانية؟ ١١٥
- وأما كيف دخلت بلاد المسلمين؟ ١٢٢
- ٣ - ما هي أهم وسائلها في تعميق عُلْمَنَة الدول؟ ١٢٧
- أ - في الدساتير الفكرية اللادينية..... ١٢٧
- ب - في إخماد الحركات الإسلامية..... ١٢٩
- ج - في القوانين التي يفرضونها..... ١٣٠
- د - في التعليم الذي يوجهونه :..... ١٣٢
- أولاً - حصر التعليم مادياً ومعنوياً..... ١٣٣

- ١٣٤ ثانياً - الابتعاث إلى الخارج.....
- ١٣٥ ثالثاً - السّاح للمدارس الأجنبيّة.....
- ١٣٥ رابعاً - تطوير المناهج التعليميّة.....
- ١٣٧ خامساً - الاختلاط بين الجنسين.....
- ١٤٠ هـ - في وسائل الإعلام التي يسخرونها.....
- ١٤٣ ٤ - ما هي آثار العلمانيّة على المجتمعات الإسلاميّة ؟.....
- ١٤٤ • في الحكم والدولة.....
- ١٤٤ • في الحياة الاجتماعيّة.....
- ١٤٥ • في الحياة السياسيّة.....
- ١٤٦ • في الحياة الاقتصاديّة.....
- ١٤٦ • في مجال وسائل الإعلام.....
- ١٤٧ • في المناهج التعليميّة.....
- ١٤٨ • في مخططات أعداء الإسلام.....
- ١٤٩ • ماذا جنوه على أمّتنا ؟.....
- ١٥٢ ٥ - لماذا يمتنّاها الحكماء في بلاد الإسلام ؟.....
- ١٥٣ الأول : الفساد في التصور الإسلامي.....
- ١٥٣ * بطلان زعمهم في فصل الدين عن الدولة.....
- ١٥٨ * بطلان زعمهم أن الدين استنفد أغراضه :.....
- ١٥٩ أولاً - لكون الإسلام يتصف بالشمول والتجدد والعالميّة.....
- ١٦١ ثانياً - شهادة الواقع بنظرياته القانونيّة.....
- ١٦٣ ثالثاً - شهادة المؤتمرات الدوليّة.....
- ١٦٤ رابعاً - شهادة المنصفين من علماء الغرب.....
- ١٦٦ * بطلان زعمهم ماذا نضع باليهود والنصارى.....
- ١٦٨ * ماذا عن التجربة التاريخيّة ؟.....
- ١٧٣ الثاني - التأثير بالفكر اللاديني.....
- ١٨١ الثالث - العمالة للأجنبي :.....
- ١٨٢ • العمالة للغرب في أنظمتها.....
- ١٨٢ • العمالة للشرق في شيوعيّتها.....
- ١٨٣ • العمالة لليهوديّة في ماسونيّتها.....

- ١٨٧ ٦ - ما هي أهم الحلول الإيجابية في مواجهة الشباب لها ؟
- ١٨٧ الأول - إعطاء التصوير الصحيح عن الإسلام
- ١٨٧ □ الحقائق الإسلامية عن الإسلام
- ١٨٨ □ مفاتيح الحضارة في المبادئ الإسلامية
- ١٨٨ أ - في شمولية الإسلام للعلم
- ١٩٠ ب - في تكريم الله للإنسان
- ١٩١ ج - في تقرير مبدأ المساواة
- ١٩٢ د - في قاعدة التعارف على الشعوب
- ١٩٦ الثاني - سلوك العمل المركّز
- ١٩٧ وسائل العمل المركز :
- ١٩٨ ١ - إيجاد القيادة الجماعية
- ٢٠٠ ٢ - الانطلاق في مضار التوعية
- ٢٠٦ ٣ - التركيز على التربية والإعداد :
- ٢٠٧ أ - التربية الروحية
- ٢١٥ ب - التربية النفسية
- ٢١٩ ج - التربية على الجندية
- ٢٢٩ ٤ - العمل على تكثير القاعدة
- ٢٣٥ ٥ - التدبر المحكم في الوصول إلى النصر :
- ٢٣٦ • هل يعتمد على الانقلابات العسكرية ؟
- ٢٣٧ • هل يعتمد على حرب العصابات
- ٢٣٨ • هل يعتمد على الثورة الشعبية ؟
- ٢٤٠ □ ماذا عن ثورة مجاهدي أفغانستان ؟
- ٢٤٢ • هل يعتمد على النظام الديمقراطي ؟
- ٢٤٦ □ أريد أن أهدم في أذن المتعجلين بالنصر

الفصل الخامس

- ٢٥٧ (تحديات التأسيس من العمل الإسلامي)
- ٢٥٧ أسباب اليأس :
- ٢٥٧ الأول - تأمر الأعداء على الإسلام
- ٢٥٩ الثاني - تعدد الجماعات الإسلامية وتناحرها
- ٢٦٤ الثالث - فشل الحركات الجهادية في تحقيق النصر

- ٢٦٦ الرابع - الاحتجاج بالنصوص التي تأمر بالعزلة
- ٢٧٥ التصور اليأس ناتج عن ماذا ؟ :.....
- ٢٧٥ أ - ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين.....
- ٢٧٧ ب - ناتج عن حب الدنيا وكرهية الموت.....
- ٢٧٨ ج - ناتج عن الجهل بالغاية التي خلق من أجلها الإنسان.....
- ٢٧٩ اليأس والتفاؤل من وجهة نظر الإسلام :.....
- ٢٧٩ ١ - القرآن الكريم حرم اليأس وندد باليائسين.....
- ٢٨٢ ٢ - التاريخ برهن على انتصارات الأمم المغلوبة.....
- ٢٨٥ ٣ - النصوص تؤكد أن الانتصار لهذا الدين قائم.....
- ٢٩٣ وبعد فيا شباب.....
- ٣٠١ محتوى الكتاب.....

تم بحمد الله وتوفيقه

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com